الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة

زاد المبلغين

الإرشادي

الجزء الثاني



البحثة والمستشارة التربوية

ثائر سباع

مُنَاسَبَاتُ شَهْرِ صَفَرِ الْخَيْرِ

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف

زاد المبلغين

الجزء الثاني

سلسلة زاد المبلغين

كتاب: زَادُ المُبَلِّغِينَ-الجُزْءُ الثَّانِي

تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع

تصميـــم: مياسة شبع

النـــاشر:

الطبعة:

عدد الصفحات: ٣٠٢ صفحة

مركز الإرشاد الأسري / النجف الأشرف

٠٧٨١٥٠٥٤٥٦٤ ـ ٠٧٨١٥٨٤٠٠٦٠

EMAIL: fgc.najaf@gmail.com

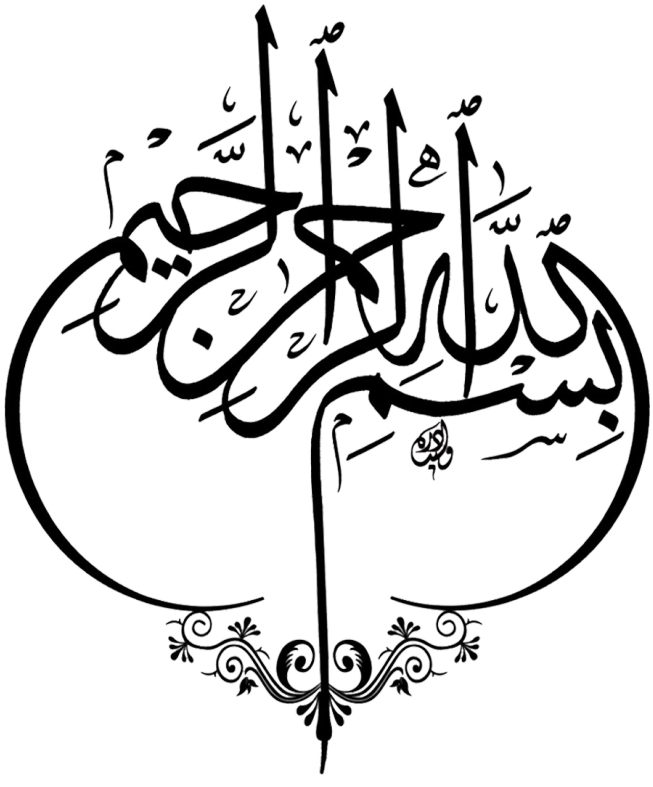
fgc.najaf@outlook.com

سلسلة

زاد المبلغين

الشعراوي

الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء



أهدي ثمرة هذا الجهد:

إلى رسول الله، وابنته فاطمة الزهراء، وبعلها أمير المؤمنين، والأئمة من ذريّتها، صلوات الله عليهم أجمعين؛ من هديهم تعلّمنا، وعلى حبّهم نشأنا.

وإلى إمام زماننا، صاحب العصر والزمان، روحي له الفداء؛ سائلةً الله أن يكتبني في عداد جنوده المخلصين.

وإلى والديَّ، محبّةً وامتنانًا ووفاءً لا تسعه الكلمات.



فهرس المحتويات

المقدمة ١٠

اليوم الأول من صفر: دخول السبايا الشام ١٣

عنوان المحاضرة (١): إثبات وجود الله تعالى..... ١٦

اليوم الثاني من صفر: شهادة زيد بن علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٤٠

عنوان المحاضرة (٢): اللَّطْمُ في الشعائر الحسينية ٤٢

اليوم الخامس من صفر: شهادة السيدة رقية عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ٦٣

عنوان المحاضرة (٣): احذروا هوس التجميل! ٦٦

اليوم السابع من صفر: شهادة الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٩٠

عنوان المحاضرة (٤): الحقوق الزوجية بين الحكم والحكمة ٩٣

اليوم السابع من صفر: ولادة الإمام موسى الكاظم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١١٦

عنوان المحاضرة (٥): الحرية في رحاب العبودية لله ١١٨

اليوم السابع عشر من صفر: شهادة الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٤١

عنوان المحاضرة (٦): الانتظار بين السلب والإيجاب ١٤٤

اليوم العشرون من صفر: أربعينية الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٦٩

عنوان المحاضرة (٧): زيارة الأربعين فوق الشبهات ١٧١

اليوم السادس والعشرون من صفر: شهادة ولدي مسلم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ١٩٣

عنوان المحاضرة (٨): الحذر من الجندرية! ١٩٦

اليوم الثامن والعشرون من صفر: شهادة رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٢٢
عنوان المحاضرة (٩): السحر والتابعة بين الحقيقة والوهم ٢٢٥
اليوم الثامن والعشرون من صفر: شهادة الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٤٧
عنوان المحاضرة (١٠): صراع الأجيال بين الآباء والأبناء ٢٥٠
الهوامش..... ٢٧٨



المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

تُعدّ مهمّة التبليغ من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان؛ لاتصالها في جوهرها برسالة الأنبياء والرسل والأولياء، القائمة على هداية الناس، وتعليمهم، ودعوتهم إلى العمل الصالح.

وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١]، يستنفر المبلِّغون والمبلِّغات في كل مناسبة دينية طاقاتهم لأداء هذه المهمّة الرسالية. وتشتدّ الحاجة إلى جهودهم في زمن تتّسع فيه وسائل التأثير، وتُسخَّر فيه إمكانات كبيرة لنشر أفكار تُضعف صلة الإنسان بدينه وقيمه. وفي مواجهة هذه التحدّيات، لا يكفي أن نحفظ تراثنا في الكتب؛ بل علينا أن نُحسن تقديمه للناس، ونُبيّن أثره في حياتهم، حتى يبقى حاضرًا في وعيهم وسلوكهم[٢].

وفي إطار مواكبة المبلِّغين والمبلِّغات في عملهم التبليغي، وتوفير مادّة ثقافية تعينهم على إحياء المناسبات الدينية وإرشاد الفرد والأسرة والمجتمع، عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف «زاد المبلِّغين» ضمن سلسلة «زاد المناسبات»، في خمسة عشر جزءًا. وتتوزّع على أجزاء السلسلة مناسبات الشهور الهجرية، ويرتبط أبرزها بمحاضرات تتناول موضوعات يحتاج إليها الناس، مع الإشارة إلى المناسبات الأخرى بإيجاز. ويضمّ كل جزء ما بين عشر مناسبات وثلاث عشرة مناسبة.

عودة إلى الفهرس

وليس المبلِّغ أو المبلِّغة مقيّدًا بإلقاء المحاضرة في المناسبة التي ارتبطت بها في الكتاب؛ فلكلٍّ منهما أن يوظّفها في مناسبة أخرى متى وجد صلةً مناسبة بينها وبين موضوعها.

واخترنا صيغة «المبلِّغين» في عنوان الكتاب على سبيل التغليب في العربية؛ لأن مادّته موجّهة إلى المبلِّغين والمبلِّغات على السواء. وحرصنا أيضًا على أن تتنوّع محاضرات كل جزء، لأن حاجة الناس إلى موضوعات مختلفة تشبه حاجة أجسامهم إلى غذاء متنوّع. فالمائدة المتكاملة تمدّ الجسم بالبروتينات والكربوهيدرات والدهون والفيتامينات والمعادن، وإذا افتقد غذاؤه بعض هذه العناصر باستمرار تأثرت صحته. وكذلك يحتاج الناس، في المجالس المتتابعة كليالي محرّم، إلى ما يغذّي عقولهم وقلوبهم ويعينهم في حياتهم؛ فتُختار لهم محاضرات عقائدية تعزّز الإيمان، وأخرى مهدوية تعرّفهم بإمام زمانهم، وأخلاقية وسلوكية تعينهم على إصلاح أنفسهم، وأسرية وتربوية تساعدهم في معالجة مشكلاتهم وتربية أولادهم. ويُقدَّم الأهمّ فالأهمّ من هذه الجوانب بحسب حاجة الناس وما يناسب المناسبة.

كما راعينا تفاوت المستمعين في أعمارهم وثقافتهم ومعارفهم؛ فقد يجتمع في المجلس الشابّ والكبير، والمتعلّم ومن لم تتح له فرصة التعلّم.

ومن هنا تأتي أهمية وضوح الفكرة، وقرب المثال، وحسن اختيار ما يلائم الحاضرين؛ فقد رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم»[٣].

ولا يقف دور المبلِّغين والمبلِّغات عند انتظار من يأتيه طالبًا للمعرفة؛ بل يقتضي منه أن يلتفت إلى حاجات الناس، ويقترب من مواطن أسئلتهم وحيرتهم. وقد وصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه... يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بكم... متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة»[٤].

وفي هذا الوصف ما يذكّر المبلِّغين والمبلِّغات بأن نجاح خطابهم يتوقّف على معرفة ما يحتاج إليه الناس، واختيار المعالجة التي تناسب حالهم.

وكما يقدّر الطبيب مقدار الدواء، يحتاج القائمون بالتبليغ من الرجال والنساء إلى تقدير مقدار ما يقدّمه في مجلسه؛ فالإطالة قد تُضعف انتباه المستمع، والاختصار المخلّ قد يترك الفكرة ناقصة. لذلك أعددنا المحاضرات بحيث يستغرق إلقاء الواحدة منها نحو خمسٍ وأربعين إلى خمسين دقيقة، ولكلّ مبلِّغ ومبلِّغة أن ينتخب منها ما يناسب الوقت والجمهور، وأن يختصرها مع المحافظة على وضوح الفكرة واكتمالها.

وختامًا، أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بأحسن قبوله، وأن ينفع به المبلِّغين والمستمعين، وأن يجعله موضع رضا صاحب العصر والزمان، عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

عودة إلى الفهرس



١ شهر صفر

دخول السبايا الى الشام

السلام على أم المصائب

اليوم الأول من شهر صفر

المناسبة: دخول السبايا إلى الشام

القصيدة: للسيد حيدر الحلي

أناعيَ قتلى الطَّف لا زلت ناعيا ... تُهيج على طول الليالي البواكيا[٥]

أعِدْ ذِكرَهم في كربلا إنَّ ذكرَهم ... طوى جَزَعَا طيَّ السجلِّ فؤاديا

ودعْ مُقلتي تحمُّر بعد ابيضاضِها ... بعدٍّ رزايا تتركُ الدمعَ داميا

ستنسى الكَرى عيني كأنَّ جفونَها ... حلفنَ بمن تنعاه أنْ لا تلاقيا

وتُعطي الدموعَ المستهلاتِ حقَّها ... محاجرُ تبكي بالغوادي غواديا

وأعضاءُ مجد ما توزَّعتِ الضبا ... بتوزيعِها إلا النَدى والمعاليا

لئن فرَّقتْها آلُ حربٍ فلم تكن ... لِتجمعَ حتى الحشرِ إلا المخازيا

ومما يُزيلُ القلبَ عن مستقرِّهِ ... ويترك زندَ الغيظِ في الصدر واريا

وقوفُ بناتِ الوحيِ عند طليقِها ... بحالٍ به يُشجين حتى الأعاديا

لقد ألزمت كفَّ البتولِ فؤادَها ... خطوبٌ يطيح القلب منهنَّ واهيا

أبا حسنٍ حربٌ تقاضتْك دينَها ... إلى أنْ أساءتْ في بنيك التقاضيا

وغُودرَ منها ذلك الضلعُ لوعةً ... على الجمرِ من هذي الرزيةِ حانيا[٦]

عودة إلى الفهرس

(نصاري)[٧]:

يحيدر گوم سار الظعن للشام — روس او عايله نسوان ويتام
يجدر گوم شال الظعن وابعد — تدري ابيا سبايا هالظعن مد
حرم بيت النبوه الله لحد — ليل انهار ما منها جفن نام
يتامه او فاجدات اوروعوها — او عن ذيچ الجثث گوّه خذوها



عنوان المحاضرة الأولى:

إثبات وجــود الله تعالى

روي عن الإمام الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّ أَفْضَلَ الْفَرَائِضِ وأَوْجَبَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ». (٨)

المبحث الأول: معرفة الربّ.. الفريضة العظمى وأول الدين

المطلب الأول: معرفة الله أساس العبادة

حين نتحدث عن واجبات الإنسان تجاه الله تعالى، يتبادر إلى أذهان كثير من الناس الصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات. وهذه فرائض عظيمة، ولكن هناك فريضة تقوم عليها معرفتنا بمعنى العبادة ولمن نؤديها، وهي معرفة الله تعالى والإقرار بأننا عباده.

رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إنّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالعبودية» (٩).

يدعونا هذا الحديث إلى أن نبدأ من الأساس: أن نعرف أن لنا ربًّا خلقنا، وأنعم علينا، وأنه وحده المستحق للعبادة. فنحن حين نصلّي، نقف بين يدي الله الذي يسمعنا ويعلم حالنا، وحين نصوم، نطيع ربًّا حكيمًا رحيمًا، وحين ندعوه، نتوجه إلى من يقدر على إعانتنا ويعرف حاجتنا.

ومعرفة الله لا تعني أن نحيط بحقيقة ذاته؛ فالإنسان لا يحيط بها، وإنما يعرفه من آياته ودلائل خلقه، ويؤمن بوحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته، وينزّهه عن مشابهة

عودة إلى الفهرس

المخلوقات.

ولنقرّب المعنى بمثال محسوس: لو أراد إنسان أن يبني بيتًا، فإنه يبدأ بأساس متين يحمل البناء. وكلما كان الأساس أقوى، كان البناء أقدر على الثبات. كذلك معرفة الله بالنسبة إلى حياة المؤمن؛ فهي الأساس الذي يعينه على فهم عبادته، ويقوّي ثقته بربّه، ويمنحه سببًا واعيًا للطاعة.

وهذه الصلة بين معرفة الله وعبادته يوضحها القرآن الكريم، وتبيّنها روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فقد قال الله تعالى في بيان الغاية من خلق الجنّ والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٠].

وقد ذُكر في تفسيرها أن المقصود «إلّا ليعرفون»؛ فمعرفة الله هي الأساس الذي تقوم عليه عبادته؛ إذ كيف يعبده الإنسان عبادةً واعيةً وهو لا يعرفه؟[١١]

ويوضّح هذه الصلة بين المعرفة والعبادة ما رواه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ». [١٢]

تأمّلوا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإذا عرفوه عبدوه»؛ فالمعرفة تفتح للإنسان باب الطاعة، وتجعله يفهم لمن يتوجّه بالعبادة، ولماذا يلتزم بأمره.

ولتقريب المعنى، لنتصوّر أنك تحدّثت مع امرأة ترتدي ثيابًا مخالفة للحجاب الشرعي، فقلت لها: «ألا تخافين حساب الله؟ لماذا لا تلتزمين بما أمر به؟»، فأجابتك: «أنا لا أؤمن بوجود الله، ولا برسالة النبي، ولا بتعاليم أهل بيته».

هنا نلاحظ أن حديثك عن الحساب ووجوب الحجاب يستند إلى أمور لا تؤمن بها أصلًا. ولذلك تحتاج أولًا إلى أن تعرف الدليل على وجود الله، ثم على صدق رسوله وحجّية ما جاء به؛ حتى تفهم أساس دعوتك إلى الالتزام.

فإذا اقتنعت بأن لها ربًّا خلقها وأنعم عليها، وأنه حكيم رحيم، وأن رسوله يبلّغها عنه، أصبح لسؤالها عن تكاليفها أساس واضح: ماذا يريد الله منّي؟ وكيف أشكره وأطيعه؟ وعندئذٍ يأتي الحديث عن الصلاة والصيام والحجاب وغيرها من الواجبات،

بوصفها أوامر ربٍّ آمنت به وعرفت حقّه عليها.

فالمعرفة ليست منفصلة عن العبادة، بل تمنحها الوعي والمعنى، وتعين الإنسان على الالتزام بها. وكلما عرف عظمة ربّه وفضله، ازداد حبًّا له وثقةً به ورغبةً في طاعته. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[١٣] فتأمّلوا قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾؛ إنه أمر بالعلم والمعرفة، ليقوم الإيمان بالتوحيد على وعي واقتناع، وتكون الطاعة ثمرةً لهذه المعرفة.

مثال ذلك: لو وصلتك رسالة من شخص لا تعرفه، تتضمن توجيهات تطلب منك تنفيذها، فقد تتردد في الأخذ بها. ولكن لو عرفت أنها من طبيب موثوق يعرف مرضك ويصف لك العلاج المناسب، فإنك تهتم بها، وتحرص على فهم تعليماته والعمل بها. ولو جاءتك رسالة من إنسان كريم تعرف صدقه، يخبرك بأنه أعدّ لك مساعدة تحتاج إليها، فإنك تقرؤها باهتمام وأمل. فمعرفتك بصاحب الرسالة جعلتك أكثر ثقةً بما يقوله واهتمامًا بما يطلبه.

وهذا يقرّب أثر معرفة الله في طاعته؛ فحين يعرف الإنسان أن الأمر صادر عن ربّه الحكيم الرحيم، الذي خلقه ويعلم ما يصلحه، يصبح أكثر استعدادًا لفهمه والالتزام به. وقد جمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المعنى بقوله: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ»[١٤]. فالمعرفة هي البداية التي يقوم عليها الإيمان، وتستند إليها الطاعة.

لهذا ينبغي أن نجمع في تعليمنا بين العبادة ومعرفة المعبود؛ فنعلّم أبناءنا كيف يصلّون، ونعرّفهم أيضًا بمن يصلّون له، ولماذا يحبّونه ويشكرونه ويطيعونه. بذلك تنمو عبادتهم على أساس من الفهم والإيمان.

المطلب الثاني: الأسباب الواقعية لطرح هذا الموضوع اليوم

معرفة الله حاجة في كل زمان، ولكن تحديات عصرنا جعلتها أكثر إلحاحًا؛ فالخطر يمتدّ إلى أصل الإيمان، بالتشكيك في وجود الله تعالى وحاجة الإنسان إلى هدايته وتعاليمه.

عودة إلى الفهرس

نعيش في ظل هجوم إعلامي شرس وغزو رقمي واسع؛ إذ يُمضي أطفالنا وشبابنا ساعات طويلة أمام شاشات الهواتف والألعاب الإلكترونية والأفلام والمسلسلات ومنصات التواصل. وهذه الوسائل تنقل، إلى جانب الترفيه، أفكارًا وقيمًا قد يتأثرون بها دون انتباه.

وتبثّ كثير من المحتويات مفاهيم إلحادية ضمنًا أو صراحة؛ كتصوير الكون على أنه جاء بالمصادفة دون خالق، أو جعل الإنسان المرجع الوحيد لتحديد ما ينفعه ويضرّه وما يجوز له، دون حاجة إلى هداية الله وأحكامه. وقد تسخر من الإيمان أو تصوّر قيمه عائقًا أمام الحرية والتقدم، فيألف الناشئ هذه الأفكار قبل أن يسأل عن دليلها.

وقد حذّر الله تعالى من طاعة من يردّ المؤمنين عن إيمانهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[١٥]، وهذا ينبّهنا إلى ضرورة الوعي بمن نأخذ عنه أفكارنا ومعتقداتنا.

وتزداد الخطورة حين تُقدَّم الشبهات برسوم متحركة ومقاطع تيك توك ومشاهد تمثيلية وتجارب علمية مبتورة؛ فقد يُشرح حدوث ظاهرة طبيعية، ثم يُستنتج منه إنكار الخالق، دون دليل يربط بين الأمرين. وإذا واجه الناشئ في المقابل خطابًا جافًا أو جوابًا لا يفهمه، فقد ينجذب إلى العرض الأسهل، وإن كان أضعف حجة.

ولهذا نحتاج إلى بيان واضح ومقنع، خاصة مع ظهور التساؤلات الوجودية مبكرًا؛ فقد يسأل الطفل: من خلق الله؟ ولماذا لا نراه؟ وكيف يسمعنا جميعًا؟ فإذا زجرناه بقولنا: «عيب هذا السؤال»، فقد يكتم حيرته ويبحث عن الجواب عند من يضلّله. أما الإصغاء إليه والإجابة بما يناسب إدراكه فيفتحان باب المعرفة، وما نجهله نبحث عنه في المصادر الموثوقة.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك»[١٦]. فبداية العمر فرصة لغرس المعرفة وتعليم التفكير، قبل أن تترسخ التصورات الخاطئة.

وهذه المبادرة تشبه اللقاح الطبي؛ فنحن نحرص على وقاية الطفل قبل المرض. وكذلك العقيدة المبسّطة المقنعة تمنحه أساسًا يرجع إليه عند الشبهة، وتعلّمه السؤال وطلب الدليل.

وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة»[١٧]. فالحديث يدعونا إلى المبادرة بتعليم الناشئة وإرشادهم قبل أن يسبق إليهم أصحاب الأفكار المضلّلة.

والإيمان الذي تغذّيه المعرفة يشبه شجرة عميقة الجذور، أقدر على الثبات أمام العواصف من نبتة سطحية الجذور. وأبناؤنا يحتاجون إلى معرفة بالله، وفهم لدلائل الإيمان، وثقة بأن أسئلتهم ستجد جوابًا؛ ليواجهوا الشبهات بفهم واقتناع.

المطلب الثالث: الإيمان بالله قناعة واعية

يدعونا الإسلام إلى أن يكون إيماننا بالله قائمًا على التفكير والقناعة، فلا نكتفي بقولنا: «نحن مؤمنون لأن آباءنا وأمهاتنا مؤمنون»، بل نستخدم العقل الذي وهبنا الله إياه لفهم عقيدتنا ومعرفة دليلها. والتعلّم من الوالدين والمعلّمين بداية نافعة، والمطلوب أن يقودنا إلى الفهم والاقتناع.

وقد ذمّ القرآن الذين رفضوا الحق وتمسّكوا بما ورثوه دون تفكير، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[١٨].

ولتقريب المعنى: لو أعطاك شخص قطعة معدن وقال: «هذه ذهب خالص»، فقبلت كلامه دون تحقق، فقد تكتشف أنها معدن مطلي. أما إذا عرضتها على صائغ موثوق، وتعرّفت إلى الدليل على حقيقتها، فإن ثقتك بها تصبح أقوى، ولا يربكك مجرد قول مخالف. وكذلك العقيدة؛ نحتاج إلى فهم دليلها، حتى تكون قناعتنا أرسخ من مجرد ترديد ما نسمعه.

ولهذا يدعونا القرآن إلى التأمل في خلق الله، فيقول: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[١٩]، ويقول سبحانه: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٢٠]، فالمؤمن الواعي

عودة إلى الفهرس

يتأمل في نفسه وفي المخلوقات من حوله، ويبحث فيما يراه عن دلائل قدرة الخالق وحكمته.

ورُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسنّة زالت الجبال قبل أن يزول»[٢١].

فالحديث يحذّر من تعليق الإيمان بالأشخاص؛ لأن من يؤمن لمجرد إعجابه بإنسان قد تضطرب عقيدته إذا تغيّر ذلك الإنسان أو أخطأ. أما من عرف الحق بدليله، فإنه يميّز بين الدين وأخطاء أتباعه، ويواجه الشبهة بالبحث والفهم.

ومثاله من يسير مغمض العينين ممسكًا بكتف غيره؛ فإنه قد يتعثر إذا تعثر من يقوده. أما من يفتح عينيه، ويعرف الطريق ويقرأ علاماته، فإنه يكون أقدر على متابعة السير وتصحيح الاتجاه. وكذلك من يفهم عقيدته؛ يستطيع أن يستفيد من الآخرين دون أن يجعل إيمانه تابعًا لتغيّرهم.

ولا يتطلب ذلك أن يصبح كل إنسان متخصصًا في العقائد؛ فالدليل الواضح يمكن أن يفهمه الكبير والناشئ إذا عُرض بلغة قريبة وأمثلة محسوسة.

ومن هنا ننتقل إلى سؤال محاضرتنا: كيف نعرف أن لهذا الكون خالقًا؟ نبدأ بطريق الفطرة، ثم نتأمل في الأدلة العقلية التي تعيننا على إيمان نفهمه وتطمئن إليه قلوبنا.

المبحث الثاني: طرق إثبات وجود الله

إنّ معرفة الله تعالى تشمل جوانب متعددة، منها معرفة وجوده ووحدانيته وصفاته وأفعاله، غير أنّ الإيمان بوجوده هو الأساس الذي تقوم عليه سائر هذه المعارف؛ إذ لا معنى للبحث في صفات الله ووحدانيته قبل الإيمان بوجوده. ولذلك سنركّز في هذه المحاضرة على إثبات وجود الله تعالى.

وإنّ أهم طرق إثبات وجود الله طريقان:

أوّلاً: طريق الفطرة.

ثانياً: طريق الاستدلال.

وسنبيّن هذين الطريقين في مطلبين، ونبدأ بطريق الفطرة الآن:

المطلب الأول: طريق الفطرة

من الطرق التي نعرف بها الله سبحانه وتعالى طريق الفطرة؛ أي الالتفات إلى ما أودعه الله في أصل تكوين الإنسان من معرفة بربّه وتوجّه إليه. فهذه المعرفة لها أصل في داخله، ويأتي التعليم والتذكير ليعيناه على الانتباه إليها وفهمها.

ولتقريب معنى وجود أمر في الإنسان قبل التعليم، نتأمّل في الطفل الصغير: حين يجوع يطلب الطعام، وحين يخاف يلجأ إلى من يشعر معه بالأمان، قبل أن يستطيع شرح حاجته بالكلام. وهذه أمثلة لحاجات جسدية ونفسية، وليست الفطرة الدينية نفسها؛ وإنّما تقرّب أنّ الإنسان يحمل في داخله دوافع تسبق التعليم. أمّا الفطرة التي نتحدّث عنها هنا فتتعلّق بمعرفة الله والتوجّه إليه.

وقد يظهر هذا التوجّه حين يقع الإنسان في شدّة وتعجز وسائل النجاة التي يعتمد عليها؛ فيجد قلبه يرجو الله ويطلب عونه. فالمال والقوّة ومساعدة الآخرين لا تضمن له دفع كلّ خطر، ولا تجعله مستغنيًا عن ربّه.

ومن الأمثلة على ذلك ما رُوي عن رجل تحيّر في معرفة الله، فسأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: «يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ فقال: نعم، قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا مُنجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث».[٢٢]

عودة إلى الفهرس

فموضع الاستشهاد هو التوجّه الداخلي إلى الله عند انقطاع الرجاء من غيره، وليس مجرّد الخوف من الموت. والشدّة لا تنشئ الفطرة من جديد، ولكنّها قد تزيل ما شغل الإنسان عن الالتفات إليها.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٢٣]. فالآية تصف قومًا توجّهوا إلى الله وحده عند الخطر، ثم عادوا إلى الشرك بعد النجاة. وقد تغيّر انتباههم وتوجّههم، أمّا حاجتهم إلى الله فبقيت في البحر والبرّ جميعًا.

ويظهر الإقرار بوحدانية الله عند الغرق حتى في قصة فرعون، الذي قال حين أدركه الغرق: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٢٤].

فلم تنفعه سلطته في دفع الموت، وأقرّ عند الغرق بالإله الواحد. لكنّ القرآن أعقب ذلك بقوله: ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٢٥]؛ فلا ينبغي أن يؤخّر الإنسان إيمانه وطاعته إلى ساعة انقطاع الاختيار.

وفي بيان أصل الفطرة قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٢٦]. ورُوي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير هذه الآية: «فطَرهم على معرفته أنه ربهم، ولولا ذلك لم يعلموا -إذا سُئلوا- من ربهم ولا من رازقهم».[٢٧]

وعلى ضوء هذه النصوص، تتعلّق الفطرة بمعرفة الله ربًّا وبالتوحيد؛ أي معرفة أنّه خالقنا ورازقنا، وأنّه واحد لا شريك له في ربوبيّته واستحقاقه للعبادة.

ويرتبط بيان هذه المعرفة في الروايات بميثاق بني آدم، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾[٢٨].

وقد يُطرح سؤال: إذا أقررنا بربوبيّة الله في ذلك الموقف، فلماذا لا نتذكّره الآن؟

ورد في تفسير القمّي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه»[٢٩]. فالرواية تميّز بين بقاء المعرفة وتذكّر الموقف؛ فالذي نُسي هو الموقف، أمّا المعرفة فقد ثبتت.

ولتقريب الفرق، نلاحظ أنّ الإنسان يعرف القراءة، لكنّه قد لا يتذكّر اليوم الذي تعلّم فيه أوّل حرف، ولا تفاصيل ذلك الدرس. وهو يستعمل كلمات تعلّمها في طفولته، مع أنّه لا يتذكّر متى سمعها أوّل مرّة. فنسيان موقف التعلّم لا يعني زوال ما تعلّمه.

وهذا المثال لا يثبت عالم الذرّ ولا يشرح كيفيّته؛ وإنّما يقرّب إمكان بقاء المعرفة مع نسيان الموقف. أمّا الميثاق فنتلقّى خبره من القرآن، وتبيّن الرواية بقاء المعرفة مع نسيان تفاصيله.

وقد يسأل آخر: إذا كانت الفطرة باقية، فلماذا يغفل بعض الناس عن الله؟ وأين «نداء الفطرة» الذي لا أشعر به؟

المقصود بالنداء ليس صوتًا تسمعه الأذن، بل معرفة داخلية وتوجّه قلبيّ قد يغفل الإنسان عنه. وكما أنّ المرآة قد يحجب الغبار صورتها دون أن يزيل أصلها، فقد يحجب الانشغال المستمرّ والمعاصي والأفكار المضلّلة انتباه الإنسان إلى فطرته.

وللتربية أثر في توجيه الإنسان وما يتلقّاه من معتقدات؛ فقد رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه»[٣٠]. فالإنسان يتأثّر منذ صغره بما يسمعه ويراه، وقد يألف معتقدات بيئته قبل أن يستطيع فحصها؛ ولذلك ينبغي أن تعينه التربية على معرفة ربّه وفهم دليل إيمانه، وتحفظه ممّا يحجب فطرته.

وقد تزيد المعاصي المتكرّرة هذه الغفلة، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣١].

ومن وظائف الأنبياء تذكير الناس وإيقاظ عقولهم، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول».[٣٢]

ولهذا نحتاج إلى التأمّل وذكر الله وشكره ومراجعة سلوكنا، وإلى طلب جواب ما يعرض لنا من أسئلة. فنتوجّه إلى الله في الرخاء كما نتوجّه إليه في الشدّة، وتتساند

الفطرة مع النظر العقلي في ترسيخ معرفتنا به.

المطلب الثاني: طريق الاستدلال العقلي

كما نتعرّف إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق الفطرة، نتعرّف إليه أيضًا عن طريق العقل؛ بالتأمّل في المخلوقات وفهم ما تدلّ عليه من وجود خالقها وعظيم صنعه. وقد رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بصنع الله يُستدلّ عليه، وبالعقول تُعتقد معرفته، وبالتفكّر تثبت حجّته»(٣٣).

والأدلة العقلية على وجود الله عديدة، وقد بيّنها العلماء في كتب العقائد وعلم الكلام. وسنذكر هنا دليلين من أيسرها فهمًا لعامّة الناس، ونشرحهما بلغة مبسّطة وأمثلة قريبة من حياتهم، وهما: برهان النظام وبرهان الحركة.

الدليل العقلي الأول: برهان النظام

من الأدلة العقلية على وجود الله سبحانه وتعالى «برهان النظام»، وهو الاستدلال بما في المخلوقات من إتقان وترابط وتناسب على أنّ لها خالقًا عالمًا حكيمًا. فنحن لا نتأمّل في وجود الأشياء فحسب، بل ننظر أيضًا في كيفية تركيبها، وفي تناسب أجزائها وتكامل وظائفها.

ولتقريب هذا الدليل، نبدأ بأمر نعرفه من حياتنا: حين نرى أثر قدم على الرمل، نعرف أنّ أحدًا مرّ من هناك، وإن لم نشاهده. وحين نجد رسالة مكتوبة، نعرف أنّ وراءها من كتبها، وإن لم نعرف اسمه. فعدم رؤيتنا لصاحب الأثر لا يمنعنا من الاستدلال عليه بما تركه من آثار.

وقد رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين سُئل عن إثبات الصانع، أنّه قال: «البعرة تدلّ على البعير، والروثة تدلّ على الحمير، وآثار القدم تدلّ على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير؟»(٣٤).

فالرواية تبدأ بآثار يعرفها الناس، ثم تدعوهم إلى النظر في السماء والأرض والاستدلال بهما على الخالق؛ إذ لا تنحصر معرفتنا فيما نراه بأعيننا مباشرةً.

إذن حين نرى أثرًا، نستدلّ به على وجود مَن أحدثه، وإن لم نشاهده. ولكنّ ما نعرفه من الأثر لا يتوقّف عند وجود مَن أحدثه؛ فقد نستدلّ من كيفية صنعه وإتقانه على صفات صانعه، كالعلم وحسن التدبير.

وقد قرّب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ دلالة المصنوع على صانعه بمثال البناء، فقال ضمن جوابه عن الدليل على الصانع: «ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنيّ علمت أنّ له بانيًا، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده؟»[٣٥].

فوجود البناء يدلّ على بانيه، ثم ننظر في إتقانه لنفهم دلالة النظام: فإذا وجدنا أساسه متينًا، وغرفه مناسبة للاستعمال، وأبوابه ونوافذه في مواضع ملائمة، عرفنا أنّ بناءه تضمّن معرفة وتخطيطًا؛ فليس الأمر مجرّد حجارة جُمعت بعضها فوق بعض.

إذن، وجود البناء يدلّ على وجود بانيه، وإتقان البناء يدلّ على علم بانيه وحسن تدبيره.

ومن هنا نفهم وجه الاستدلال في برهان النظام: الصنع المتقن يدلّ على صانع، ويكشف إتقانه عن علم وحكمة ظهرا في صنعه.

ما المقصود بالنظام؟

النظام ليس مجرّد جمال المنظر، ولا وضع الأشياء في صفوف؛ بل أن تكون الأجزاء مناسبة بعضها لبعض، ومترابطة على نحو يؤدّي وظيفة معيّنة.

ففي الساعة، لا يكفي وجود قطع كثيرة داخل علبة؛ بل لا بدّ أن تكون القطع ملائمة، وأن تُركّب بطريقة تجعلها تعمل معًا لإظهار الوقت. ولو وضعنا القطع نفسها في العلبة دون تركيب مناسب، لما أدّت هذه الوظيفة.

إذن، الذي يدعونا إلى التأمّل هو تناسب الأجزاء وتكامل عملها، وليس كثرتها أو

جمالها وحدهما.

◆ مثال الطابعة: كيف يدلّ العمل على المعرفة؟

لنفترض أنّنا دخلنا غرفة فيها شخصان، أمام كلّ منهما آلة طابعة، وطلبنا منهما كتابة قصيدة معلومة. الأوّل يعرف القراءة والكتابة ومواضع الحروف، أمّا الثاني فلا يعرف القراءة، ولا يميّز الحروف، وإن كان يستطيع الضغط على الأزرار.

يبدأ الأوّل بكتابة القصيدة، فيختار الحروف المطلوبة، ويضع الكلمات في مواضعها، ويترك المسافات المناسبة بينها. أمّا الثاني فيضغط الأزرار دون معرفة بما يكتبه.

ثم نعرض الورقتين على شخص لم يشاهد عملهما: فيجد في إحداهما حروفًا متتابعة لا تكوّن كلامًا واضحًا، وفي الأخرى أبيات القصيدة بكلمات مفهومة وترتيب صحيح.

إلى مَن ينسب كتابة القصيدة؟ إلى من يعرف الكتابة؛ لأنّ ترتيب الحروف والكلمات وفق النصّ المطلوب يدلّ على معرفة ظهرت في العمل.

وقد تظهر كلمة صحيحة اتفاقًا في الكتابة العشوائية، لكنّ ظهور كلمة واحدة لا يفسّر كتابة قصيدة كاملة تتتابع كلماتها وفق نصّ معلوم.

وهكذا، لا نحتاج إلى رؤية الكاتب أثناء الكتابة، ولا إلى معرفة اسمه، حتى نستدلّ من عمله المتقن على المعرفة التي أسهمت في إنجازه.

◆ من المثال المحسوس إلى نظام المخلوقات

إذا انتقلنا إلى المخلوقات، وجدنا مجالًا أوسع للتأمّل في تناسب الأجزاء وتكامل وظائفها.

لنتأمّل في أجسامنا: القلب يضخّ الدم، والأوعية تنقله، والرئتان تسهمان في تزويده بالأكسجين، ويحمل الدم الأكسجين والمواد الغذائية إلى خلايا الجسم. والمعدة والأمعاء تهضمان الطعام، وتمتصّ الأمعاء المواد الغذائية، والكبد يعالج هذه المواد ويسهم في إزالة المواد الضارّة، والكليتان تنقّيان الدم من الفضلات وتطرحانها

مع الماء الزائد في البول. هذه أعضاء مختلفة، لكنّ عمل بعضها يرتبط بعمل بعض، وتتكامل وظائفها في حفظ حياة الإنسان.

فليس موضع التأمّل وجود القلب وحده، أو الرئتين وحدهما، بل هذا التناسب الذي يجعل أعضاء متعدّدة تعمل معًا في جسم واحد.

وكذلك في النبات: جذور تمتصّ الماء والأملاح، وساق تحمل الأوراق وتنقل المواد بين أجزاء النبات، وأوراق تستفيد من الضوء في صنع الغذاء. فلا ينحصر التأمّل في جمال الورقة، بل يشمل علاقتها ببقية النبات، وتكامل عملها مع الجذور والساق.

ومن الأمثلة التي ذكرها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في الاستدلال على التدبير مثال البيضة؛ ففي مناظرته لأبي شاكر الديصاني وصف قشرتها وطبقاتها وما تحتويه، ثم قال: «تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّرًا؟»[٣٦].

فالإمام يلفت النظر إلى هذا التركيب وما يجري داخله حتى يخرج منه كائن حيّ؛ فلا يكتفي بالنظر إلى ظاهر البيضة، بل يدعو إلى التأمّل فيما تحتويه وما ينشأ منها. وهذا مثال قريب يوضّح دلالة إتقان المخلوقات على التدبير.

إنّ هذا الترابط والإتقان هو موضع الاستدلال في برهان النظام؛ فهو يوجّه العقل إلى أنّ وراء الخلق علمًا وتدبيرًا، وأنّ هذه المخلوقات آيات تدلّ على خالقها سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣٧].

ومن أبلغ النصوص التي تدعو إلى التأمّل في إتقان الخلق قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا ينظرون إلى صغير ما خلق؟ كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه، وفلق له السّمع والبصر، وسوّى له العَظمَ والبَشَر، أُنظروا إلى النّملة في صِغَرِ جُثّتها ولطافة هيئتها لا تكاد تُنال بلحظِ البَصَر ولا بمُستَدرَكِ الفِكَر، كيف دبّت على أرضها وصُبَّت على رزقها؟ تنقل الحبّة إلى جُحرها وتُعِدُّها في مستقرِّها، تجمَعُ في حرِّها لبردها وفي وِرْدِها لصَدْرها[٣٨]، فالويل لمن أنكر المقدِّر وجحد المدبِّر...»[٣٩].

يوجّه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أنظارنا إلى النملة، لنتأمّل إتقان تركيبها وحركتها وجمعها

عودة إلى الفهرس

غذاءها وحفظه، وله وصف بديع لمخلوقات أخرى، كالخفّاش والطاووس، يدعو إلى التأمّل في عجائب خلقها؛ فصغر المخلوق واعتياد رؤيته لا يسلبانه دلالته على عظمة خالقه.

◆ حكاية القصر: تقريب معنى النظام

ولتقريب المعنى، يمكن للمربّي أن يذكر الحكاية الآتية عند مشاهدة بناء فخم:

كان هناك ملك ينكر وجود الله تعالى، وله وزير يؤمن به. فأمر الوزير ببناء قصر فخم في حديقة غنّاء، وزيّنه بأجمل الأثاث، ثم مرّ به مع الملك.

سأل الملك: «لمن هذا القصر، ومن بناه؟».

قال الوزير: «لم يبنه أحد؛ لقد تكوّن بنفسه!».

تعجّب الملك وقال: «كيف يكون هذا القصر بلا بانٍ؟!».

قال الوزير: «اختلط الطين بالمطر فصار طابوقًا، وجمعته الأعاصير فبنت الجدران، وحملت السيول البذور فأنبتت الحديقة، ونثرت الرياح الأصباغ فلوّنت القصر. ثم تطاير الصوف من الخراف، فنسجته الرياح أقمشة، وتكسّرت الأشجار بالزلازل، فتجمّعت أخشابها وصارت أبوابًا وأثاثًا!».

قال الملك: «هل تظنّني بلا عقل؟ كيف تجتمع هذه المواد فتكوّن قصرًا متقنًا، دون بانٍ يعرف كيف يرتّبها ويضع كلّ شيء في موضعه؟!».

فقال الوزير: «إذا كنت لا تقبل أن يتكوّن هذا القصر المتقن دون علم وتدبير، فكيف تنكر خالق هذا الكون، بما فيه من أرض وسماء وإنسان وحيوان ونبات، وما بينها من ترابط ونظام؟». فأُفحم الملك، وأقرّ بوجود الله تعالى.[٤٠]

وقد يُقال: إنّ الطبيعة أو الصدفة هي التي أوجدت هذا الكون وما فيه من نظام. لكنّ هذا القول لا يكفي لتفسير وجوده وإتقان صنعه، وسنفصّل الردّ عليه في الجزء الثالث من كتاب «زاد المبلِّغين»، ضمن محاضرة «إثبات وجود الله تعالى ـ الجزء الثاني».

الدليل العقلي الثاني: برهان التغيّر والحركة

من الأدلة العقلية التي استدلّ بها العلماء على وجود الله سبحانه وتعالى برهان التغيّر والحركة. والمقصود بالحركة هنا التغيّر، لا الانتقال من مكان إلى آخر وحده. ولفهمه، نبدأ بمعنى بسيط: حدوث التغيّر يحتاج إلى سبب، وإن لم نره. وليس المقصود أنّ كلّ جسم متحرّك يحتاج إلى دفع متواصل ليستمرّ في حركته.

ولتقريب المعنى، لنتخيّل سفينة ساكنة على ماء هادئ، ثم بدأت تتحرّك، فقيل لنا: «تحرّكت دون أيّ سبب؛ فلا محرّك يعمل، ولا أحد يجدّف أو يدفعها، ولا رياح أو تيار يحرّكها». إنّنا لا نقبل هذا التفسير، بل نبحث عن سبب بدأ حركتها، وإن لم نره؛ فعدم معرفتنا بالسبب لا يعني أنّ الحركة حدثت بلا سبب. لكنّ معرفة سبب حركة السفينة بداية الاستدلال، وليست نهايته.

وإذا وسّعنا نظرنا من حركة السفينة إلى ما حولنا، وجدنا أنّ العالم المادي، بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجمادات، عالم حركة وتغيّر. ونقصد بالتغيّر انتقال الشيء من حال إلى حال؛ فقد يكبر حجمه، أو يتبدّل لونه، أو ترتفع حرارته، أو يتغيّر موضعه.

وقد ميّز الفلاسفة بين صور هذه الحركة: فالحركة في الكمّ هي التغيّر في المقدار، كنموّ جسم الطفل وزيادة حجمه. والحركة في الكيف هي التغيّر في الصفات، كتبدّل لون الثمرة وارتفاع حرارة الماء. والحركة في الوضع كدوران العجلة حول محورها. والحركة في الأين هي الانتقال من مكان إلى آخر، كانتقال الإنسان والسيارة.

وهذه الصور تتعلّق بمقدار الشيء أو صفاته أو وضعه أو مكانه. أمّا أصحاب نظرية الحركة الجوهرية، فيرون أنّ التغيّر يجري أيضًا في ذات الموجود المادي؛ أي إنّ وجوده نفسه يتجدّد تدريجيًّا، وليس التغيّر محصورًا في صفاته الظاهرة.

وبالعودة إلى ما نشاهده في حياتنا، نجد التغيّر في الكائنات الحيّة والجمادات معًا؛ فالطفل ينمو، والنبات يزهر ويثمر، والحديد يصدأ، والجدران تتشقّق، والمواد تتأثّر بالحرارة والرطوبة. وقد يكون التغيّر بطيئًا، فلا نلاحظه إلا بعد مرور وقت.

ويمتدّ النشاط والتغيّر إلى عالم الذرّات والإلكترونات، التي تخضع لقوانين تختلف

عودة إلى الفهرس

عن حركة الأجسام الكبيرة. وفي السماء تدور الأرض حول محورها وحول الشمس، ويدور القمر حول الأرض، وتتحرّك الشمس ومجموعتنا الشمسية حول مركز مجرّة درب التبانة. قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤١].

وأمام هذه المشاهد، يمكن أن نسأل: ومن الذي أحدث هذه الحركات؟ قد نقول: الإنسان حرّك الكرة، والرياح حرّكت الأغصان، والجاذبية تسهم في حركة الأجرام السماوية. وهذه إجابات تبيّن أسبابًا فعلية، لكنّنا نسأل: هل هذه الأسباب تعمل دون حاجة إلى غيرها؟

فالإنسان يحرّك الكرة بإرادته، لكنّه يحتاج إلى عضلات وأعصاب وغذاء وأكسجين. وكذلك الأسباب الطبيعية تحتاج إلى شروط تتوافر لها حتى تؤثّر. ومن هنا ننتقل من معرفة سبب الحركة إلى السؤال عمّا يمنح هذه الأسباب القدرة على العمل، ولماذا لا بدّ من محرّك أول؟

ولتقريب الفكرة، لنتخيّل شخصًا صنع مولّدًا كهربائيًّا، وشغّله وزوّده بالوقود، ووزّع الكهرباء منه على البيوت. فأخذ الناس يستعملونها في الإنارة والتدفئة والتبريد وتشغيل الأجهزة.

ننظر إلى مروحة تدور، وثلاجة تبرّد، ومدفأة تسخّن، ونسأل: من أين تأتيها الطاقة التي تجعلها تعمل؟ نتتبّع المقابس والأسلاك والتوصيلات حتى نصل إلى المولّد الكهربائي. فالأجهزة مختلفة، ووظائفها متنوّعة، لكنّ الطاقة التي تشغّلها ترجع إلى مصدر واحد في هذا المثال، وهو المولّد. أمّا المقابس والأسلاك فتنقل الطاقة ولا تُنتجها؛ ولذلك لا يكفي اتصال بعضها ببعض لتشغيل الأجهزة ما لم تصلها الكهرباء من مصدر.

وهذا المثال يقرّب معنى حاجة الأسباب إلى ما يمدّها بالقدرة على العمل؛ فالأسباب المحتاجة لا تزول حاجتها لمجرّد اعتماد بعضها على بعض، بل لا بدّ أن تستند إلى أصل لا يحتاج إلى غيره. ومن هنا نستدلّ على الخالق الغنيّ سبحانه وتعالى.

فكما تستمدّ الأجهزة من المولّد الطاقة التي تجعلها تعمل، فإنّ المخلوقات تستمدّ من الله سبحانه وتعالى وجودها وقدرتها على الحركة والتأثير. فالإنسان حين يرمي شيئًا، يرميه بإرادته وبقوّة عضلاته، لكنّ الله هو الذي منحه هذه القدرة، وهيّأ له أسباب استعمالها. وكذلك الأسباب الطبيعية تؤثّر بما أودعه الله فيها. والمثال لتقريب المعنى، لا لتشبيه الله بالمولّد؛ فهو سبحانه غنيّ عن كلّ شيء.

ويقرّب معنى عدم استقلال الإنسان بفعله قوله تعالى مخاطبًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[٤٢]. فقد أثبت له الرمي بقوله «إذ رميت»، وبيّن أنّ الأثر العظيم الذي أحدثته رميته يوم بدر كان بتأييد الله وقدرته. فالعبد يفعل حقًّا، ولكنّه لا يستغني في فعله عن ربّه.

فالله سبحانه وتعالى، الذي يمنح المخلوقات وجودها وقدرتها على الحركة والتأثير، ولا يحتاج هو إلى غيره، هو الذي نسمّيه في هذا الدليل «المحرّك الأول». والمقصود أنّه الأصل الذي تعتمد عليه الأسباب، لا أنّه جسم يدفع الأجسام، ولا أنّه مجرّد سبب سبقها في الزمن. فلو احتاج إلى من يمنحه الوجود والقدرة، لكان محتاجًا مثلها، ولم يكن الخالق الغنيّ الذي نبحث عنه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٤٣].

فالإنسان يفعل بإرادته وقدرته التي وهبها الله له، والأسباب الطبيعية تعمل بما أودعه الله فيها. وبذلك تتكامل دلالة الحركة والتغيّر على الخالق الغنيّ مع دلالة النظام على علمه وحكمته، كما شرحنا في الدليل السابق.

والإنسان العاقل يتأمّل في حركة الكون وانتظامه، فيُقرّ بأنّ له خالقًا عالمًا قديرًا حكيمًا، وهو الله سبحانه وتعالى. روي أنّ النبي الأكرم مرّ مع أصحابه على عجوز تغزل بمغزلها، فسألها: كيف عرفت الله؟ فحرّكت مغزلها بقوّة، وصمتت، حتى توقّف عن دورته، ثمّ قالت: بهذا عرفت الله، فكما أنّ المغزل يحتاج إلى يد تحرّكه، يحتاج الكون العظيم إلى يد قادرة تحرّكه باستمرار، حينئذ قال الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بدين العجائز».[٤٤]

لقد استدلّت هذه العجوز قبل نحو أربعة عشر قرنًا بمثال بسيط؛ فالمهمّ أن يستعمل الإنسان عقله، ولا يغفل عن دلائل خالقه مهما تقدّمت معارفه.

المبحث الثالث: مسؤولية المربّي في ترسيخ الإيمان

ترسيخ الإيمان بالله في نفوس الأولاد مسؤولية مستمرّة، ترافقهم في طفولتهم ومراهقتهم وما بعدها، وتجمع بين المعرفة والمحبّة والعمل. فالمطلوب أن يعرفوا ربّهم، ويفهموا أدلّة الإيمان به، ويطمئنّوا إليه، ويظهر أثر ذلك في حياتهم. ويراعي المربّي عمر كلّ واحد منهم ومستوى فهمه، ويحترم شخصيّته، ويعينه على بناء قناعته.

وقد رُوي عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في بيان حقّ الولد، أنّ المربّي مسؤول عن «حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة على طاعته»[٤٥].

ومن الأمور التي تعينه على أداء هذه المسؤولية:

١. التعريف بالله

يعرّف المربّي أولاده بالله سبحانه وتعالى وصفاته؛ فهو خالقهم، العليم بأحوالهم، الرحيم بهم، الذي يسمع دعاءهم ولا تخفى عليه أعمالهم. ويشرح هذه المعاني بما يناسب فهمهم، ثم يعمّقها مع تقدّم أعمارهم.

ويبيّن أنّ الله لا يشبه مخلوقاته، فلا يتصوّرونه جسمًا أو إنسانًا، وأنّ عدم رؤيته بأعيننا لا يمنع معرفته والاستدلال على وجوده بآثاره.

٢. تنمية المحبّة والشكر

يلفت المربّي أنظار أولاده إلى نعم الله في أنفسهم وحياتهم؛ من صحّة ورزق وقدرة على التعلّم والعمل. ويعلّمهم شكره بالقول والعمل، وحسن استعمال نعمه ومساعدة الآخرين بها.

ويوازن بين رحمة الله وعدله؛ فلا يجعل معرفتهم به قائمة على الخوف وحده، بل يبيّن أنّه يقبل التوبة، وأنّ الرجوع إليه ممكن، مع تحمّل مسؤوليّة إصلاح الخطأ.

٣. بناء القناعة

يساعد المربّي أولاده على فهم أدلّة وجود الله ووحدانيته بلغة واضحة وأمثلة قريبة من حياتهم. ولا يكتفي بحفظهم للدليل، بل يتحاور معهم ليتعرّف إلى فهمهم، ويساعدهم على التعبير عنه بكلماتهم.

ويبدأ تعليم التوحيد منذ الصغر، ثم يتعمّق مع نموّ الفهم. وممّا يُذكر في هذا السياق ما ورد في شجرة طوبى أنّ السيدة زينب عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ كانت صبيّة جالسة في حجر أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال لها: «بنيّة، قولي واحد»، فقالت: «واحد». ثم قال: «قولي اثنين»، فقالت: «أبتاه، ما أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد»، فقبّلها عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.[٤٦]

ويُستأنس بهذه الحكاية في تقريب حضور معنى التوحيد في وجدانها، وليس المقصود الامتناع عن تعلّم الأعداد.

٤. حماية الفطرة من الحجب

إلى جانب تعليم الأولاد العقيدة وأدلّتها، يعينهم المربّي على الالتزام بالتعاليم الشرعية وأداء الواجبات واجتناب المحرّمات؛ لأنّ الاعتياد على المعاصي والإصرار عليها قد يحجبان القلب تدريجيًّا عن الالتفات إلى الله والاستجابة لنداء الفطرة. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤٧].

ويتعهّدهم بالتذكير بالله ونِعمه، ويشجّعهم على مراجعة سلوكهم والتوبة وإصلاح الخطأ، ويساعدهم على تجنّب الصحبة والمحتويات التي تزيّن المعصية وتزيد الغفلة. وهذا ينسجم مع وظيفة الأنبياء التي بيّنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: «ويذكّروهم منسيّ نعمته... ويثيروا لهم دفائن العقول»[٤٨]. فحماية الفطرة تحتاج إلى معرفةٍ تُنير العقل، وطاعةٍ تحفظ القلب، وتذكيرٍ يوقظه من الغفلة.

عودة إلى الفهرس

٥. استقبال الأسئلة

يهيّئ المربّي جوًّا يستطيع فيه الأولاد عرض أسئلتهم عن الله والدين دون خوف من السخرية أو التوبيخ. ويستمع إلى السؤال كاملًا، ثم يجيب بما يناسب صاحبه.

ولا يعدّ كلّ سؤال اعتراضًا أو ضعفًا في الإيمان؛ فقد يكون طلبًا للفهم. وإذا لم يعرف الجواب، يصرّح بذلك، ويبحث في المصادر الموثوقة أو يسأل أهل المعرفة، ثم يعود إليهم بالتوضيح.

٦. تقديم القدوة

يحرص المربّي على أن يرى أولاده أثر الإيمان في سلوكه؛ فيصدق، ويحفظ الأمانة، ويعدل بينهم، ويرحم الناس، ويؤدّي واجباته، ويعتذر إذا أخطأ.

فتوافق القول والعمل يجعل توجيهه أقرب إلى القبول. أمّا مخالفة سلوكه لما يدعو إليه، فتضعف أثر تعليمه وثقتهم بكلامه.

٧. تقوية الصلة بالله

يعين المربّي أولاده على الصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن مع فهم المعاني، ويشجّعهم على ذكر الله في الفرح والشدّة، وشكره وطلب العون منه.

ويبيّن أنّ الدعاء لا يعني تحقّق كلّ طلب في الوقت والصورة اللذين يختارونهما؛ فالإنسان يدعو ويأخذ بالأسباب ويثق بحكمة الله، فلا يربط إيمانه بتحقّق رغبة معيّنة.

٨. مواجهة الشبهات

يتحدّث المربّي مع أولاده عمّا يقرؤونه ويسمعونه، ويعلّمهم ألّا يقبلوا كلّ كلام لمجرّد انتشاره أو ثقة قائله بنفسه، بل يسألوا عن دليله وصحّة معلوماته.

ويساعدهم على الرجوع إلى المصادر الموثوقة وأهل الاختصاص. ومع تقدّم أعمارهم، يتّسع دور الحوار والمشورة واحترام استقلالهم؛ ليواجهوا الشبهات بفهم،

ويتمكّنوا من البحث والتمييز.

٩. الثبات في المحن

يعلّم المربّي أولاده أنّ الإيمان لا يمنع المرض والحزن والصعوبات، لكنّه يعين على مواجهتها دون فقدان الأمل أو التخلّي عن الحقّ. ويرافقهم عند الشدّة، ويجمع في توجيهه بين الدعاء والصبر والسعي إلى الحلّ.

وقد رُوي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يُستقلّ منه، والمؤمن لا يُستقلّ من دينه شيء»[٤٩]. فالجبل يمكن أن تُقتطع منه أجزاء، أمّا المؤمن الراسخ فلا يفرّط في دينه تحت ضغط المحن.

ومن أبلغ الشواهد على هذا الثبات مواقف بنات الوحي والرسالة، وفي مقدّمتهنّ عقيلة بني هاشم، السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ فقد اجتمعت عليها آلام الفقد والأسر، وشهدت في كربلاء مصارع أحبّتها، ثم نهضت ترعى مَن بقي من أهل بيتها، وتواسي القلوب المفجوعة، وتحمل كلمة الحقّ في وجه الظالمين. لم يكن ثباتها غيابًا للحزن؛ فقد كان المصاب عظيمًا، ولكنّ إيمانها أعانها على حمله دون أن تتخلّى عن واجبها، أو تسمح للقهر أن يسلبها عزّتها.

ومن كربلاء إلى الكوفة، ثم إلى الشام، مضت بنات الرسالة يحملن وجع الفراق ومرارة الأسر؛ وراءهنّ أجساد الأحبّة على أرض الطفّ، وأمامهنّ رؤوسهم مرفوعة على الرماح. وفي كلّ منزل يتجدّد الحزن، وتشتدّ الحاجة إلى قلب يصبر، ويد ترعى، وكلمة تحفظ للحقّ صوته. وكانت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ حاضرة في هذه الشدائد، تجمع بين لوعة الأخت ومسؤوليّة الرعاية، وبين دمعة المصاب وشجاعة الموقف.

ثم بلغ الركب الشام، حيث ازدادت المصيبة إيلامًا: أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يدخلون أسرى، وبنو أميّة يستقبلون رأس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالفرح! فأيّ وجع أن يُستقبل فقدُ الأحبّة بالاحتفال، وأن ترى بنات الرسالة مظاهر الزينة وهنّ مثقلات بالحزن والأسر؟ ولنتأمّل ما نُقل عن ذلك الدخول، لندرك شيئًا

عودة إلى الفهرس

من شدّة المحنة التي واجهنها بذلك الثبات.

فقد نقل المحدّث القمّي في نفس المهموم: «في أول صفر أُدخل رأس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى دمشق، وهو عيد عند بني أمية»[٥٠].

وقال البهائي في الكامل: أوقفوا أهل البيت على باب الشام ثلاثة أيام، حتى يزينوا البلد فزينوها بكل حلي وزينة، ثم استقبلهم أهل الشام من الرجال والنساء مع الدفوف، وخرج أمراء الناس مع الطبول والصنوج والبوقات، فلما ارتفع النهار أدخلوا الرؤوس إلى البلد ومن ورائها الحرم الأسارى من أهل البيت.

قال سهل بن سعد الساعدي: رأيت الرؤوس على الرماح ويقدمهم رأس العباس بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فنظرت كأنه يضحك ورأس الإمام كان وراء الرؤوس أمام المخدرات، وللرأس مهابة عظيمة، ويشرق منه النور، بلحية مدورة قد خالطها الشيب، والريح تلعب بلحيته الشريفة يمينا وشمالا كأنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

رأسُ ابنِ بنتِ محمدٍ ووصيه ... للناظرين على قناة يُرفَعُ

والمسلمونَ بمسمعٍ وبمنظر ... لا منكرٌ منهم ولا متفجِّع

وأكثر من ذلك ما قاله أبو مخنف عن سهل: أن عجوزا قامت إلى رأس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبيدها حجر ضربت به وجه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأدمته وسال الدم على شيبته، فالتفتت أم كلثوم إلى الرأس الشريف فرأت الدم سائلا على وجهه وشيبته، فلطمت وجهها. ونادت وا غوثاه، وا مصيبتاه، وا محمدا، وا علياه، وا حسناه، وا حسيناه، ثم غشي عليها.[٥١]

(نصارى)

بالحجر صابت راس الحسين ... فوگ الذبح دام الوجنتين

وزينب نادت او هملت العينين ... يرموك ابحجر واحنه انتفكر

وروي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ انه قال: أتي بنا يزيد بن معاوية بعد ما قتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونحن اثنا عشر غلاما وكان أكبرنا يومئذ أبي علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأدخلنا عليه وكان كل واحد منا مغلولة يده إلى عنقه. فجعل رأس الحسين بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه – أي لوجه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه يريد حرمانهم من النظر إليه وتلك من خساسة طبعه – إليه ثم دعا بسوط فجعل ينكب به ثنايا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويترنم بأبياته ابن الزبعرى:

لعبت هاشـــــــم بالملك فلا ... خبر جـــــاء ولا وحي نـــــزل

أما زينب فإنها لما رأته ينكت ثنايا أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نادت بصوت حزين يقرّح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكة ومنى، يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، ويا ابن بنت المصطفى[٥٢].

(مجردات)

يحسـين راسـك حـين شـفته ... تلعـب عصـه ايزيـد اعلـه شـفته

ذاك الوكـت وجهـي لطمتـه ... او صديـت لـه ابحركـه او ندهتـه

شـلّت يمينـك يالضربتـه ... شـتمني او تعـدت لـه شـتمته

يـا سـلوة الهـادي او مهجتـه ... يـا أخـو المثلـك ضيّـع اختـه

(لچن) معذور يالحزوا ركبته[٥٣]



٢ شهر صفر

زيد الشهيد

ذكرى شهادة
زيد بن علي بن
الحسين (عليهما السلام)
سنة ١٢١ هجريّة

عظم الله لكم الأجر والثواب

اليوم الثاني من شهر صفر

المناسبة: شهادة زيد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر جعفر النقدي

جار الزمانُ على أهل الهدى وغدا ... مَن كان من شيعةِ الكرارِ يظلمهُ

أعطى يدا لبني مروانَ فانقلبت ... بمعولِ الشركِ للتوحيدِ تهدمهُ

تحكمت فاستباحت مايحلِّلُه ... دينُ الهدى وأباحت ما يحرِّمه

وقدَّمت بهواها مَن يؤخّره ... وأخَّرت بأذاها مَن يُقدِّمه

فأنهضتْ بالضُبا زيدا حميَّتُه ... لرغم مَن بات للإسلام يُرغمه

وثار كالليث لا تُلوى عزيمتُه ... وقلبُه الغيظُ يذكيهِ ويُضرمه

وشبَّها للسما حمراءَ ساطعةً ... كادت لملك بني مروانَ تَلهمه

لكنَّ صرفَ القضا أمضى مقدَّرُه ... وعاق مسعاه ما يُفضي محتَّمه

أَصابه السهمُ مسموما بجبهتِه ... فسال فوق الثرى من وجهِه دمه

ويا قتيلا له عينُ الوجودِ هَمَتْ ... دما يُخضِّب وجهَ الكونِ عَندمُه

وليت من أحرقوا تلك العظامَ بهم ... هوت من اللهِ في الدنيا جهنمه [٥٤]

عودة إلى الفهرس

(بحر طويل)

أنشدني عن أبويحيى التحـــت الســـاجيه دفنوه

عليه دلوه بني مروان اجوامن حفرته شـــــالوه

چتله ما كفـــــاهم ذاك بغضا للجـــذع صلبوه

ثلث اسنين اهوامعلَّگ شـوف الكُرِه والتعنيد

هذي اصياحها يازيد خلها اتنـــوح بت الدوح

انشدني عن بگايه الطير بعد المـــن يون وينوح

نوحه اعله الغريب المات عاري ابكربله مطروح

اوراسه اعلى الرمح شالوه واعياله مشت ليزيد [٥٥]



عنوان المحاضرة الثانية:

اللَّطْمُ في الشعائر الحسينية

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب».(٥٦)

اللطم فعلٌ من الأفعال التي يعبّر بها الإنسان عن شدّة حزنه وتفجّعه، وقد اتّخذه المؤمنون مظهرًا من مظاهر العزاء على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فيجتمعون على ذكر مصيبته، وتتحرّك مشاعرهم لما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه، فيعبّرون عن حزنهم بالبكاء واللطم، ويجدّدون بذلك ذكرى مظلوميته وارتباطهم به.

ومع حضور اللطم في المجالس والمواكب الحسينية، تُطرح حوله أسئلة واعتراضات؛ فبعضهم يسأل عن دليله الشرعي، وبعضهم يتركه اعتقادًا بحرمته، ويعترض على الذين يمارسونه. ويستند هؤلاء إلى القول بأنّه لم يثبت أنّ الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يلطمون على صدورهم، أو أنّهم حثّوا غيرهم على ذلك، ويقولون: لو كان اللطم شعيرةً ذات أهمّية، لورد في أخبارهم ما يدلّ على ممارسته أو الحثّ عليه. ويرى بعضهم أنّه من مصاديق الجزع المحرّم، وأنّه ينافي الصبر والرضا بقضاء الله، بل قد يعترض على إقامة مجالس العزاء نفسها؛ لأنّها تشتمل عليه.

وهذه الأسئلة تستحقّ جوابًا واضحًا؛ لأنّ الحكم على أيّ ممارسة دينية يحتاج إلى معرفة حقيقتها ومستندها وضوابطها. كما أنّ وجود ممارسة غير صحيحة في بعض المجالس، إن وقع، يستدعي تصحيحها، ولا يكفي وحده للحكم على أصل العزاء أو سائر مظاهره.

عودة إلى الفهرس

ومن هنا نخصّص هذه المحاضرة للحديث عن اللطم على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنبيّن مستنده الشرعي، ونتأمّل معانيه وآثاره، ونجيب عن هذه الأسئلة والاعتراضات في المباحث الآتية:

المبحث الأول: اللطم؛ معناه وحكمه

نتناول في هذا المبحث معنى اللطم وصور ممارسته، ثم حكمه الشرعي وبعض الأحكام المرتبطة به، وذلك في نقطتين:

أولاً: معنى اللطم وصور ممارسته

اللطم هو الضرب بالكفّ المبسوطة على بعض مواضع البدن، كالضرب على الصدر. وهو من الشعائر التي يمارسها الشيعة لإظهار التفجّع والحزن لمصيبة سيد الشهداء الإمام الحسين، ومصائب الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ومن صوره أن يجتمع حشدٌ من الموالين في مسجدٍ أو حسينيّةٍ أو غيرهما من أماكن إقامة العزاء، فيلطمون صدورهم، وقد يجرّد بعض الرجال القسم الأعلى من أبدانهم، وتختلف طرائق التعبير عن الحزن باختلاف الأعراف، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

ولتنسيق ضربات اللطم على الصدور، يصعد شاعرٌ أو حافظٌ للشعر، وينشد قصائد بأسلوبٍ خاصٍّ يذكّر المعزّين بمصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتحافظ نبراتها على تناسق الضربات، وهم يتجاوبون مع الراثي في ترديد بعض الأبيات الشعرية.(٥٧)

واللطم من أبرز وسائل إظهار الجزع على المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأكثرها انتشارًا؛ فالإنسان حين يستحضر مصيبةً عظيمةً قد لا يكتفي بالحزن القلبي، بل يعبّر عنه بالبكاء أو اللطم أو غيرهما من مظاهر التفجّع. وقد يجد بعض المعزّين في اللطم متنفسًا لحزنهم وتعبيرًا عمّا يعتمل في نفوسهم من ألمٍ لما وقع على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من ظلمٍ وسلبٍ للحقوق.(٥٨)

ثانيًا: حكم اللطم وبعض الأحكام المرتبطة به

إنّ اللطم حزنًا وجزعًا على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأعمال التي أفتى فقهاء باستحبابها، وقد صرّح بذلك السيد السيستاني في كتابه الفتوائي «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، إذ عدّه من مصاديق الجزع والعزاء المستحب والموجب للتقرّب إلى الله تعالى، بشرط عدم الضرر الشديد.[٥٩] وقال السيد الخوئي: «نعم اللطم ونحوه أمر راجح».[٦٠]

ولممارسة هذا العزاء أحكامٌ ينبغي مراعاتها، ومن فتاوى السيد السيستاني المتعلّقة به:

١. لطم المرأة وجهها: سُئل: «هل يجوز للمرأة أن تلطم وجهها وتنثر شعرها في العزاء الحسيني؟»، فأجاب: «نعم يجوز».[٦١]

٢. تجريد الرجال أبدانهم ونظر النساء إليهم: لا إشكال في تجريد الرجل القسم الأعلى من بدنه للطم بحدّ ذاته، ولكن لا يجوز للمرأة الأجنبية النظر إلى صدره وبطنه، على الأحوط وجوبًا، سواء مباشرةً أم من خلال الصور والتسجيلات.[٦٢]

المبحث الثاني: مشروعية اللطم على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد بيان الحكم الشرعي، نعرض أدلّة مشروعية اللطم في الشعائر الحسينية من خلال ثلاث نقاط، هي كالآتي:

أولًا: اندراج اللطم تحت أدلة رجحان الحزن والجزع

وردت نصوص عديدة تدلّ على رجحان الحزن والجزع على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنها ما رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، ما سوى الجزع والبكاء لقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ».[٦٣]

وتؤيّد ذلك الروايات الواردة في حزن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبكائه عليه

عودة إلى الفهرس

قبل استشهاده، وحزن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجزعهم وبكائهم عليه، وما رُوي من بكاء السماء والأرض لمصابه. وقد فصّلنا الحديث عن هذه الأدلة في الجزء الأول من كتاب «زاد المبلّغين»، في محاضرة «مشروعية الجزع على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فليراجعها من أراد التفصيل.

واللطم في مقام العزاء من مظاهر الحزن والجزع؛ فقد رُوي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين سُئل عن الجزع، أنّه قال: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي...».[٦٤]

فاللاطم يعبّر بفعله عن تألّمه وتفجّعه للمصيبة، فيندرج فعله تحت الأدلة العامة الداعية إلى إظهار الحزن والجزع على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

وقد يُطرح هنا سؤال: هل توجد أحاديث تدلّ على استحباب اللطم، تذكر اللطم باسمه وتصرّح باستحبابه؟

أجاب مركز الأبحاث العقائدية عن هذا السؤال:

«نحن لا نحتاج إلى حديث يدلّ على استحباب اللطم مادامت المسألة راجعة إلى العرف، ففي العرف كلّ شيء يكون من مظاهر الحزن على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون مستحبًّا، وكما تعلمون فإنّ لكلّ أُناس عادات وتقاليد في إظهار الحزن، ومن عاداتنا وتقاليدنا في إظهار الحزن اللطم، فيكون داخلًا تحت العمومات التي تحثّ على إحياء أمر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإظهار الحزن عليهم».[٦٥]

ولتوضيح المراد من هذا الجواب، فإنّ المقصود بالعُرف هنا ما ألفه الناس وتعارفوا عليه في أقوالهم وأفعالهم، فيفهمون دلالة التصرّف بحسب سياقه.[٦٦] وليس معنى الرجوع إليه أنّ كلّ عادةٍ تصبح مشروعةً لمجرّد انتشارها؛ وإنما نرجع إليه لمعرفة ما ينطبق عليه العنوان الذي ثبت حكمه بالأدلة الشرعية.

ولتقريب ذلك، فإنّ وجوب صلة الرحم حكمٌ ثابتٌ بالقرآن والسنة؛ فقد قال

تعالى محذّرًا من قطيعتها: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[٦٧]، ولكن بعد معرفة وجوبها، نسأل: كيف نصل أرحامنا؟ وما الأفعال التي تتحقّق بها الصلة؟

هنا نرجع إلى العرف؛ فهذا يتّصل بأقاربه ويسأل عن أحوالهم، وآخر يرسل إليهم رسالةً مكتوبةً أو صوتيةً، وثالث يزورهم ويحمل إليهم هديةً، ورابع يساعدهم عند حاجتهم. ومع اختلاف هذه الأفعال، يفهم الناس أنّها صورٌ للتواصل مع الأقارب والإحسان إليهم، فيعدّونها من مصاديق صلة الرحم. وقد بيّن السيد السيستاني أنّ الصلة تحصل بالسؤال عن الحال ولو بالهاتف، وعيادة الأقارب إذا مرضوا ونحو ذلك، ولا تتوقّف على الزيارة.[٦٨]

فلا نحتاج إلى روايةٍ تذكر تطبيقات التواصل الحديثة بأسمائها وتقول: إنّ إرسال الرسائل من خلالها صلةٌ للرحم؛ لأنّ الشرع بيّن وجوب الصلة، والعرف يبيّن أنّ هذه الأفعال تتحقّق بها الصلة.

وكذلك إظهار الحزن والجزع؛ فمن رأى شخصًا يبكي في مجلس العزاء تألّمًا للمصيبة، فهم أنّه حزين، ومن رأى شخصًا يلطم صدره تفجّعًا لما جرى على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهم أنّه يعبّر عن حزنه وجزعه. فما دام اللطم من مظاهر هذا الحزن والجزع، فإنّه يندرج تحت الأدلة العامة الداعية إليهما، ولا يتوقّف الاستدلال على ورود نصٍّ خاصٍّ يقول: «الطموا»، كما لا تتوقّف صلة الرحم بالوسائل الحديثة على نصٍّ يسمّي كلّ وسيلةٍ بعينها.

وذلك كلّه مع مراعاة الضوابط الشرعية؛ فلا يصبح كلّ فعلٍ مشروعًا لمجرّد أنّ صاحبه يقصد به الحزن، بل لا بدّ من ملاحظة حكم طريقة التعبير عنه وما قد يقترن بها من محاذير.

عودة إلى الفهرس

ثانيًا: أصالة الإباحة

لا نحتاج إلى دليلٍ خاصٍّ يذكر اللطم باسمه لإثبات أصل جوازه؛ لأنّ الأصل في الأفعال الإباحة ما لم يقم دليلٌ شرعيٌّ معتبرٌ على المنع. ومعنى ذلك أنّ الفعل إذا شُكّ في حرمته، ولم يُعثر بعد البحث في الأدلة على ما يثبت تحريمه، حُكم بجوازه، مع استيفاء شروط جريان هذا الأصل.

ومن الآيات التي استُدلّ بها في بحث البراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٦٩]؛ أي إنّ الله تعالى لا يعاقب عباده قبل بيان التكليف وإقامة الحجة عليهم. فليس لأحدٍ أن ينسب التحريم إلى الله من دون دليلٍ معتبر.[٧٠]

وعليه، فإنّ من يقول: «اللطم حرام» يُطالَب بالدليل على تحريمه، ولا يكفي أن يقول: «لم يرد نصٌّ خاصٌّ يأمر به»؛ فعدم ورود أمرٍ خاصٍّ بالفعل لا يعني تحريمه. والدليل على المنع قد يكون نصًّا يذكر الفعل نفسه، أو دليلًا عامًّا يشمله.

ولتقريب ذلك، فإنّ ركوب الطائرة واستعمال الهاتف ونحو ذلك من الوسائل الحديثة لم تكن موجودةً في عصر التشريع، ومع ذلك لا نحتاج إلى روايةٍ تسمّي كلّ وسيلةٍ منها وتصرّح بجواز استعمالها؛ بل يجوز استعمالها ما لم ينطبق على الاستعمال عنوانٌ محرّم. وكذلك لا يصحّ تحريم اللطم لمجرّد عدم وجود نصٍّ خاصٍّ باسمه.

إذن مع افتراض فقد الدليل على اللطم، يُرجع إلى أصل الإباحة، وإنّ مدّعي الحرمة والمنع يحتاج إلى دليل.[٧١] وهذا الوجه يثبت أصل الجواز، أمّا استحبابه فيُستدلّ عليه بما تقدّم من اندراجه تحت الأدلة العامة الداعية إلى الحزن والجزع على الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثالثًا: النصوص والشواهد الخاصة الواردة في اللطم

ومع أنّ الاستدلال على مشروعية اللطم لا يتوقّف على ورود نصٍّ خاصٍّ باسمه، فقد ورد ذكره في روايات وأخبار ومقاطع من الزيارة والشعر المنقول بحضور المعصوم. ولفهم وجه الاستدلال بها، نبيّن أنّ السنّة تشمل قول المعصوم وفعله

وتقريره.

فقوله: أن يبيّن الحكم بكلامه، فيصرّح بجواز فعلٍ أو يحثّ عليه. وفعله: أن يقوم بالفعل، فيدلّ على جوازه وعدم حرمته في الظروف التي وقع فيها.

وأمّا تقريره: فأن يصدر قولٌ أو فعلٌ من شخصٍ آخر، ويعلم به المعصوم ويلتفت إليه، فلا ينكره، مع تمكّنه من الإنكار وعدم وجود مانع كالتقيّة؛ فيدلّ سكوته حينئذٍ على إقراره، إذ لو كان الفعل محرّمًا وكان المقام يقتضي النهي عنه، لما أقرّه عليه.[٧٢]

وسنذكر فيما يأتي شواهد يُستدلّ فيها بلطم النساء بحضور المعصوم، ولا سيما الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبما جرى في مجلس الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ووجه الاستدلال ليس أنّ النساء قمن باللطم؛ ففعل غير المعصوم وحده لا يثبت الحكم الشرعي، وإنما يُستدلّ بإقرار الإمام لفعلهنّ، بعد ثبوت علمه به وعدم إنكاره، مع تحقّق شروط التقرير المتقدّمة.

وهذا الإقرار يدلّ على أصل الجواز، أمّا الاستحباب فيُستفاد من الحثّ على الفعل، كما يُستدلّ بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية الأولى الآتية: «وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»، أو من دخوله تحت أدلة رجحان الجزع، كما بيّنّا في النقطة الأولى من هذا المبحث.

وهذه النصوص متفاوتة في السند والدلالة، ويُستفاد منها بحسب منزلتها، ونذكر منها:

١. رواية لطم الفاطميات

روى الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «وقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود، الفاطميات على الحسين بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وعلى مثله تلطم الخدود، وتشقّ الجيوب».[٧٣]

فالرواية لا تقتصر على ذكر لطم الفاطميات على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل تتضمّن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب»، وفيه تأييدٌ لفعلهنّ. وقد نقل صاحب الجواهر قولًا بأنّ وقوع هذا الفعل منهنّ ورد في أخبارٍ كثيرة بلغت حدّ

التواتر، أي إنّ كثرة طرق نقلها توجب الاطمئنان بوقوعه.[٧٤]

٢. لطم السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ليلة عاشوراء

روى الشيخ المفيد، في خبر سماع السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ أخاها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينشد: «يا دهر أُفٍّ لك من خليل»، أنّها «لطمت وجهها، وهوت إلى جيبها فشقّته، وخرّت مغشيًّا عليها».[٧٥]

٣. لطمها عند إخبار الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ برؤياه

ورد في «الإرشاد» أنّ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر أخته بأنّه رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام، فقال له: «إنّك تروح إلينا»، «فلطمت أخته وجهها ونادت بالويل»، فقال لها: «ليس لك الويل يا أخية، اسكتي رحمك الله».[٧٦]

٤. لطم النساء عند المرور بالشهداء

نُقل في أخبار مرور السبايا على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه وهم صرعى: «صاحت النساء ولطمن وجوههنّ»، ورفعت السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ نداءها: «يا محمداه...».[٧٧]

٥. اللطم في زيارة الناحية

ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة من فعل الفواطم: «برزن من الخدور، ناشرات الشعور على الخدود، لاطمات الوجوه»[٧٨]، إذ جاءت هذه الزيارة على لسان معصوم، فضلاً عن سكوت الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ زمن الحادثة الدالّ على تقريره.

٦. اللطم عند رجوع العيال إلى كربلاء

روى السيد ابن طاووس في «اللهوف» أنّ نساء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعياله، عند رجوعهم من الشام، وصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعةً من بني هاشم، «وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد».[٧٩]

٧. إنشاد دعبل بحضور الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ

فقد روي عن العلّامة المجلسي أنّ دعبل الخزاعي لمّا أنشد الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إذاً لـلطمـت الخـدّ فاطمُ عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات[٨٠]

لطمت النساء، وعلا الصراخ من وراء الستار، وبكى الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حتّى أُغمي عليه مرّتين، وفيه من التقرير والرضا ما لا يخفى، إذ لو كان فيه خلاف الشرع لأنكره عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبذلك يتّضح أنّ الاستدلال على مشروعية اللطم يقوم على الأدلة العامة الداعية إلى الحزن والجزع على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأصالة الإباحة في موردها، وما تقدّم من نصوص وشواهد خاصة؛ فلا يتوقّف على وجود حديثٍ واحدٍ يذكر اللطم باسمه ويصرّح باستحبابه.

المبحث الثالث: مناقشة أبرز الاعتراضات على اللطم

تُثار حول اللطم تساؤلاتٌ واعتراضاتٌ تستدعي الوقوف عندها ومناقشتها، استكمالًا لما تقدّم من بيان مشروعيته، وإيضاحًا لما قد يلتبس بشأنه. ونذكر أبرزها فيما يأتي:

أولًا: أليس اللطم إلقاءً بالنفس في التهلكة؟

قد يقول المعترض: إنّ الله تعالى نهى عن تعريض النفس للهلاك، فقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٨١]، واللطم ضربٌ للبدن؛ فيكون مشمولًا بهذا النهي.

والجواب: إنّ الاستدلال بالآية يحتاج إلى إثبات أنّ الفعل الذي نتحدّث عنه يعرّض الإنسان للهلاك فعلًا؛ فلا يكفي أن نسمّي كلّ ضربٍ للصدر، مهما كانت درجته، إلقاءً في التهلكة.

عودة إلى الفهرس

فاللطم المتعارف في مجالس العزاء، الذي يمارسه الإنسان بما يناسب قدرته وحالته، لا يصحّ وصفه بالتهلكة لمجرّد كونه ضربًا للصدر. أمّا إذا كانت لدى شخصٍ حالةٌ صحية تجعل ممارسةً معيّنة خطرًا على حياته، فلا يصحّ أن يتمسّك بمشروعية اللطم لتبرير تعريض نفسه لذلك الخطر؛ لأنّ الحكم لا يُطبَّق بمعزلٍ عن حال الشخص وطريقة ممارسته.

ولتقريب الفكرة: إنّ ركوب السيارة جائز، مع احتمال وقوع الحوادث، ولكنّ ذلك لا يبيح قيادتها بطريقةٍ خطرة، ولا يبيح لشخصٍ عاجزٍ عن التحكّم بها أن يعرّض نفسه والآخرين للهلاك. وفي المقابل، لا نحكم بتحريم ركوب السيارات جميعًا لأنّ حادثًا مميتًا وقع لإحداها.

وكذلك هنا: وقوع حادثةٍ نادرة لا يكفي وحده لتحريم أصل اللطم، كما أنّ جواز أصل اللطم لا يبيح صورةً يثبت خطرها على الإنسان. والعبرة بحقيقة الخطر وملابسات الممارسة، لا بمجرّد إطلاق كلمة «التهلكة» عليها.[٨٢]

وبهذا يتّضح أنّنا لا نرفض النهي القرآني، بل نرفض تطبيقه على كلّ لطمٍ من دون إثبات أنّه من مصاديقه.

ثانيًا: أليس اللطم إضرارًا بالنفس، والإضرار حرام؟

قد يقال: سلّمنا أنّ اللطم لا يؤدّي إلى الموت، ولكنّه يسبّب ألمًا، وقد يترك أثرًا في البدن؛ أليس ذلك كافيًا لتحريمه؟

والجواب: لا بدّ من التمييز بين مجرّد الألم أو الأثر اليسير، وبين الضرر الذي يمنع منه الشرع؛ فليست هذه الأمور جميعًا بدرجةٍ واحدة.

فالإنسان قد يتحمّل ألمًا في ممارسة الرياضة، أو تعبًا في السفر والعمل، ولا يُحكم بحرمة هذه الأفعال لمجرّد اشتمالها على الألم والتعب. فوجود الألم وحده لا يكفي لإثبات الحرمة، ولم تثبت حرمة كلّ إضرارٍ بالنفس؛ بل المحرّم تعريضها للهلاك أو للضرر البالغ، والعقلاء قد يتحمّلون ضررًا يسيرًا من أجل غرضٍ مشروعٍ يرونه

أهمّ.[٨٣]

ولا يصحّ افتراض أنّ اللطم لا يترتّب عليه إلّا الضرر؛ فيحتمل وجود فوائد صحيةٍ له، فقد انتشر في بعض وسائل الإعلام كلام ينسب إلى دراسات طبية عن فوائد للطم الصدور، كتنشيط الدورة الدموية وعلاج انسداد الشرايين والوقاية من السكتات القلبية، دون إحالته إلى مصدر علمي محدّد. ولكن بعد البحث تبين أن بعض الدراسات أظهرت نتائج إيجابية لاستخدام أجهزةٍ تُحدث اهتزازاتٍ على جدار الصدر من الخارج، بقوّةٍ وتردّدٍ وتوقيتٍ محدّد؛ ففي دراسةٍ يابانية شملت ٤٦ مشاركًا، تحسّن مؤشّر ارتخاء البطين الأيسر عند تطبيق هذه الاهتزازات بالتزامن مع مرحلة انبساط القلب.[٨٤] كما أظهرت تجربةٌ مخبرية كندية أنّ اهتزازاتٍ خارجية ساعدت على إعادة جريان السائل في نموذجٍ يحاكي وعاءً دمويًّا مسدودًا بخثرة.[٨٥] وقد يُطرح هنا احتمال وجود تأثيراتٍ مشابهة لبعض صور اللطم، باعتباره ضرباتٍ متكرّرةً على الصدر.

كما أنّ اللطم لا ينحصر بالضرب على موضع القلب؛ فلو ثبت الضرر المحرّم في طريقةٍ معيّنةٍ منه، وجب اجتنابها، ولا يلزم من ذلك تحريم سائر صوره. والعبرة بالضرر الذي يثبت بحسب كيفية الممارسة وحالة الشخص، لا بمجرّد تسمية الفعل لطمًا.

ثالثًا: ألا يؤدّي اللطم إلى توهين المذهب؟

قد يقول المعترض: إنّ بعض الناس يستغربون هذه الممارسة، وقد يسخرون منها، فينبغي تركها محافظةً على صورة المذهب.

والجواب: ينبغي التمييز بين مجرّد استغراب الآخرين أو سخريتهم، وبين تحقّق التوهين الذي يجب اجتنابه شرعًا.

فليس كلّ ما يسخر منه مخالفٌ يصبح محرّمًا؛ وإلّا لأمكن جعل السخرية وسيلةً للاعتراض على كثيرٍ من مظاهر التديّن. فقد يستغرب بعض الناس الطواف حول الكعبة، أو رمي الجمرات، أو السجود على الأرض، ولكنّ استغرابهم لا يكفي لإبطال

هذه الأعمال أو المطالبة بتركها.

وكذلك اللطم؛ فقد يجهل الناظر دلالته، فيراه مجرّد ضربٍ للبدن، بينما يفهمه المشاركون في العزاء تعبيرًا عن الفجيعة والمواساة. وهنا تكون الحاجة إلى شرح معناه وبيان مستنده، لا إلى الحكم بتحريمه لمجرّد عدم فهمه.

لكنّ ذلك لا يعني إهمال عنوان التوهين؛ فما يوجب توهين العزاء أو هتك حرمة مجالس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ محرّمٌ يجب اجتنابه.(٨٦) وقد تصاحب بعض الممارسات تصرّفاتٌ من هذا القبيل، كتحويل مجلس اللطم إلى هيئةٍ تُشبه مجالس اللهو والطرب في ألحانها وطريقة أدائها، على نحوٍ يُعدّ هتكًا لحرمة العزاء.

فإذا ثبت محذورٌ في تصرّفٍ معيّن، عولج ذلك التصرّف؛ ولا تُجعل مخالفته سببًا لإلغاء أصل العزاء أو تحريم اللطم بجميع صوره.

رابعًا: أليس اللطم بدعةً لم يأمر بها الشرع؟

قد يقول المعترض: إنّ اللطم بدعة؛ لعدم ورود أمرٍ شرعيٍّ به.

والجواب: البدعة المذمومة هي إدخال ما ليس من الدين فيه، ونسبة حكمٍ إلى الشرع من دون مستند. أمّا اللطم حزنًا على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد بيّنّا مستند مشروعيته في المبحث الثاني، من خلال اندراجه تحت أدلّة رجحان الحزن والجزع، وأصالة الإباحة التي تثبت أصل جوازه، والنصوص والشواهد التي ورد فيها ذكره.

فلا يصحّ وصفه بالبدعة لمجرّد المطالبة بنصٍّ خاصٍّ يأمر به باسمه؛ إذ يكفي في الاستدلال اندراجه تحت دليلٍ شرعيٍّ عام، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

بل كما لا يجوز نسبة الاستحباب إلى الشرع من دون دليل، لا يجوز نسبة التحريم إليه من دون دليل؛ فتحريم اللطم ونسبة ذلك إلى الله بلا حجّةٍ شرعية من التشريع المحرّم.

خامسًا: لو كان اللطم مشروعًا، فلماذا لم يثبت أنّ الأئمة عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مارسوه؟

قد يقول المعترض: إنّ الأئمة عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أقاموا العزاء وبكوا على الإمام الحسين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولكن لم يثبت أنّهم مارسوا اللطم بهذه الصورة؛ فكيف نحكم بمشروعيته؟

والجواب: تقدّم في المبحث الثاني، في النقطة الثانية «أصالة الإباحة»، أنّ عدم ورود أمرٍ خاصٍّ بالفعل لا يدلّ على تحريمه. وكذلك عدم ثبوت ممارسة المعصوم لفعلٍ لا يكفي للحكم بعدم مشروعيته؛ فليس كلّ فعلٍ جائزٍ أو مستحبٍّ يجب أن يثبت أنّ المعصوم مارسه بنفسه. فإذا حثّ المعصوم على صلة الرحم، لم نحتج بعد ذلك إلى خبرٍ يثبت أنّه مارس كلّ صورةٍ من صورها. وإذا ثبت الحثّ على إطعام المؤمنين، لم نحتج إلى روايةٍ تذكر كلّ طعامٍ أو وسيلةٍ لتقديمه.

فمعرفة الحكم لا تنحصر بفعله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بل قد تثبت بقوله أو تقريره أو بالأدلّة العامة، وعند فقد الدليل يُرجع إلى الأصل العملي مع استيفاء شروطه. وقد بيّنّا مستند مشروعية اللطم في المبحث الثاني، فلا يصحّ إغفال تلك الأدلّة وحصر الاستدلال في السؤال عن ممارسته الشخصية.

ويضاف إلى ذلك أنّ عدم نقل الفعل لا يساوي ثبوت عدم وقوعه؛ فما وصلنا من أخبار المعصومين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ لا يشتمل على كلّ تفاصيل حياتهم.

ولهذا لا يكفي أن يقول المعترض: «لم أجد أنّ الإمام لطم بهذه الهيئة»؛ بل عليه أن ينظر في سائر الأدلة التي يمكن أن تثبت الحكم، وقد تقدّمت في المبحث الثاني.

سادسًا: أليس اللطم منافيًا للصبر والرضا بقضاء الله؟

قد يقول المعترض: إنّ المؤمن مأمورٌ بالصبر، فكيف يجتمع الصبر مع البكاء واللطم والجزع؟

والجواب: إنّ الصبر لا يعني أن يكون الإنسان بلا حزنٍ أو دموع، بل أن يبقى ثابتًا على الإيمان وطاعة الله، مهما اشتدّ ألمه. فقد يبكي الإنسان ويتفجّع للمصيبة، من دون

أن يعترض على الله تعالى أو يتّهمه بالظلم.

وقد حكى القرآن حزن نبيّ الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على يوسف، فقال: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.[٨٧] فلم يكن حزنه الشديد منافيًا لصبره. ونحن نذكر هذه الآية لبيان أنّ شدّة الحزن لا تعني الاعتراض على الله، أمّا حكم اللطم فيُعرف من أدلّته الشرعية.

كذلك لا يصحّ أن نفهم كلّ لطمٍ على أنّه اعتراضٌ على قضاء الله؛ لأنّ هذه الحركة قد تصدر لأسباب مختلفة. فقد يلطم الإنسان حزنًا على فقد عزيز، أو تفجّعًا لما أصاب مظلومًا، أو تعجّبًا من خبرٍ لم يتوقّعه، وقد يضرب على وجهه ندمًا على خطأٍ ارتكبه. فلا نعرف سبب فعله من الحركة وحدها، بل ننظر إلى الموقف الذي صدرت فيه وما يعبّر عنه صاحبها.

ومن الشواهد على اختلاف معنى الحركة باختلاف سببها، ما حكاه القرآن عن زوجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين بُشّرت بالولد: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾.[٨٨]

وقد نقل الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ بأنّها جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجّبًا، وذلك عن مقاتل والكلبي، ثم نقل عن ابن عباس أنّها لطمت وجهها.[٨٩] وكذلك جاء في «تفسير الجلالين»، وهو من تفاسير أهل السنّة، تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ بكلمة: «لطمته».[٩٠]

فالحركة هنا كانت تعبيرًا عن التعجّب من بشارتها بالولد مع كبر سنّها وكونها عقيمًا، وليست حزنًا على ميّت. ومن هنا يتّضح أنّ لطم الوجه قد يصدر لأسباب مختلفة، فلا يصحّ أن نحكم بأنّ كلّ من فعله إنّما يعترض على الله تعالى. ونذكر هذا الشاهد لتوضيح اختلاف أسباب الفعل ومعانيه، أمّا مشروعية اللطم في العزاء فتُبحث من خلال أدلّتها الخاصة.

والرضا بقضاء الله أو الاعتراض عليه أمرٌ في قلب الإنسان، فلا نحكم على شخصٍ بأنّه معترضٌ على الله لمجرّد بكائه أو لطمه؛ بل نستعين بأقواله ومواقفه على فهم ما يعبّر عنه. فقد يلطم من شدّة حزنه على المظلوم، وهو مؤمنٌ بعدل الله وحكمته. أمّا إذا قال كلامًا يتّهم فيه الله بالظلم، فهذا الكلام محرّم، ولا تجعله شدّة الحزن جائزًا. فالفرق بين الحالتين هو وجود الاعتراض على الله أو عدمه، وليس مجرّد البكاء واللطم.

ومن أوضح الشواهد على اجتماع شدّة الحزن مع الإيمان والرضا موقفُ السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ فقد واجهت أعظم المصائب بثباتٍ وصبر، وقالت لابن زياد: «ما رأيتُ إلّا جميلًا».(٩١) فلم يمنعها ألم الفاجعة من رؤية جمال الطاعة والتضحية في سبيل الله، ولم يكن رضاها بالله رضا بجرائم الظالمين. وكذلك نُقل عنها أنّها وضعت يديها تحت جثمان أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالت: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان».(٩٢)

ولهذا لا يصحّ تفسير ما نُقل من حزنها ولطمها ـ على فرض ثبوته ـ بأنّه اعتراضٌ على قضاء الله؛ فمواقفها وكلماتها تعبّر عن عظيم إيمانها وتسليمها له. وبذلك يتّضح أنّ شدّة الحزن واللطم لا تنافيان الصبر والرضا بمجرّدهما؛ وإنّما ينافيهما التسخّط على الله والاعتراض على عدله وحكمته، مع بقاء الالتزام بالضوابط الشرعية لازمًا في جميع الأحوال.

سابعًا: أليس في وصيّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخته زينب نهيٌ عن اللطم؟

قد يُستدلّ على منع اللطم بما نُقل من قول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخته زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ: «يا أختاه، إنّي أقسمت عليك فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليّ جيبًا، ولا تخمشي عليّ وجهًا، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت».(٩٣)

فيُقال: كيف يجوز اللطم مع هذه الوصيّة؟ وكيف نفهمها مع ما نُقل من لطم الفاطميات على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

والجواب يكون بملاحظة الأمور الآتية:

١. إنّ الوصيّة المذكورة لا تتضمّن النهي عن اللطم، بل عن شقّ الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور، وهي ضعيفة السند لإرسالها.[٩٤]

نعم، ورد في «دعائم الإسلام» عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه أوصى عند احتضاره فقال: «لا يلطمن عليّ خدّ، ولا يشققن عليّ جيب...».[٩٥] وهذه روايةٌ أخرى تتضمّن النهي عن اللطم صراحةً، ولا تتعلّق بالسيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، وهي ضعيفة السند أيضًا.[٩٦]

٢. تقدّم قول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، ما سوى الجزع والبكاء لقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ».[٩٧] واللطم من مظاهر الجزع، وقد ذكرنا أدلّة رجحانه في العزاء الحسيني.

فإن كانت رواية المنع ضعيفةً لا يصحّ الاعتماد عليها، فلا نترك بسببها ما ثبت بالدليل المعتبر. وعلى فرض ثبوت الوصيّة، يمكن فهمها بما سيأتي في النقطتين الثالثة والرابعة.

٣. على فرض ثبوت وصيّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخته زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، يمكن فهم النهي فيها بملاحظة الظروف التي كانت مقبلةً عليها؛ فقد كانت ستتحمّل بعد استشهاده مسؤولية رعاية النساء والأطفال ومواجهة الأعداء. ولذلك كان المطلوب منها أن تضبط بعض مظاهر حزنها في ذلك الموقف؛ لتبقى مصدر قوّةٍ وثباتٍ للعائلة، ولا تتيح للأعداء فرصة الشماتة بها.

وعلى هذا الفهم، لا يكون النهي عن إظهار الجزع في جميع الأحوال، بل عن إظهاره أمام الأعداء في تلك الظروف الخاصة. أمّا ما ورد من لطم الفاطميات وشقّهنّ الجيوب على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلا يظهر من الرواية أنّه وقع أمام الأعداء؛ ولذلك يمكن الجمع بين الروايتين باختلاف الظروف التي تتحدّث عنها كلٌّ منهما.[٩٨]

٤. ويمكن فهم الوصيّة على وجهٍ آخر، وهو أنّ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من أخته زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ترك بعض مظاهر الجزع لخصوصيةٍ تتعلّق بها، لا لأنّ تلك الأفعال محرّمةٌ على الجميع. ويؤيّد هذا الفهم أنّه أقسم عليها وطلب منها أن تبرّ

قسمه.

ولتوضيح ذلك: قد يكون الفعل جائزًا في أصله، ومع ذلك يُطلب من شخصٍ معيّنٍ تركه بسبب مسؤوليته أو ظروفه الخاصة. فالسيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت مقبلةً على مسؤولياتٍ عظيمة، ويمكن أن يكون الإمام قد ألزمها بترك بعض مظاهر الجزع مراعاةً لتلك المسؤوليات، مع بقاء الفعل جائزًا لغيرها.

وعلى هذا الاحتمال، تكون الوصيّة متعلّقةً بما ينبغي لها فعله في موقعها الخاص، ولا تدلّ على تحريم تلك الأفعال على سائر المعزّين. وهذا وجهٌ آخر للجمع بين الوصيّة وما ورد من جزع الفاطميات على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.[٩٩]

المبحث الرابع: دلالات اللطم وثمرات المشاركة في العزاء الحسيني

بعد بيان مشروعية اللطم ومناقشة أبرز الاعتراضات عليه، نتناول دلالته الوجدانية وبعض ثمرات المشاركة في العزاء الحسيني، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الدلالة الوجدانية للطم على الصدر

يحمل اللطم على الصدر، ولا سيّما حين يقع قريبًا من موضع القلب، دلالةً وجدانيةً على شدّة المحبّة والتفجّع؛ فالمعزّي يضرب بيده على الصدر الذي يحتضن قلبه النابض بالحياة، ليعبّر عن أنّ أغلى ما يملك يرخص في سبيل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ والمبادئ التي ضحّى من أجلها. وكأنّه يقول: يا أبا عبد الله، إنّ مصابك بلغ أعماق قلبي، وإنّني مستعدّ لبذل نفسي نصرةً للحقّ الذي استُشهدتَ من أجله.

فهذه الحركة تجسّد الحزن والمواساة والاستعداد للتضحية، ويجد فيها بعض المعزّين متنفسًا لانفعالهم أمام عِظَم الظلم الواقع والحقّ المسلوب، مع مراعاة الضوابط الشرعية.[١٠٠]

عودة إلى الفهرس

ثانيًا: ثمرات المشاركة في العزاء الحسيني

لا تختصّ الثمرات الآتية باللطم وحده، بل يمكن أن تتحقّق في مختلف صور إحياء العزاء، ويشارك اللطم في تحقيقها حين يقترن باستحضار المصاب وفهم معناه. ومن أبرز هذه الثمرات ما يأتي:

١. التعبير عن المحبّة والمواساة:

يعبرّ الموالي بمشاركته في العزاء عن تألّمه لمصاب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومشاركتهم الحزن، ولا سيّما مواساة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في مصاب ولدها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فمن أحبّ إنسانًا تأثّر بمصيبته. وتُظهر الدمعة واللطمة هذا الارتباط الوجداني، وتجدّدان في النفس الشعور بالقرب منهم والاهتمام بما جرى عليهم.

٢. استحضار المظلومية ورفض الظلم:

يستحضر المعزّون ما جرى على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه، ويعبرّون عن رفضهم لتلك الجريمة؛ فتبقى المظلومية حاضرةً في وجدانهم، ولا تتحوّل إلى خبرٍ بعيدٍ عن حياتهم. ومن ثمار هذا الوعي أن يحرص الموالي على السير على نهج الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإصلاح ونشر العدل، واجتناب ظلم الآخرين؛ فينصف أهل بيته، ويحفظ حقوق من يتعامل معهم، ويتحرّى العدل عند الاختلاف. وهكذا تكون مشاركته في العزاء دافعًا إلى الالتزام بالمبادئ التي ضحّى الإمام من أجلها.

٣. إبقاء الذكرى حيّةً وتجديد الولاء:

تمنح المشاركة في الرثاء والبكاء واللطم القضية الحسينية حضورًا متجدّدًا في النفوس؛ فالقصيدة تروي المصاب، والمحاضرة تشرح أبعاده، والدمعة واللطمة تعبرّان عن التأثّر به. كما تساعد هذه المشاركة على نقل الارتباط بالقضية بين الأجيال؛ فالأجيال الجديدة ترى مشاركة أسرها ومجتمعها في العزاء، وتسأل عن معناه، فتتعرّف

إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومواقفه وتضحياته. ومن المهمّ أن تُجاب هذه الأسئلة بما يبيّن أنّ العزاء ارتباطٌ بإمامٍ دعا إلى الحقّ ورفض الظلم، وأنّ إحياء ذكراه يدعونا إلى تعلّم سيرته والاقتداء به.

٤. تقوية الشعور بالمشاركة والانتماء:

يجمع العزاء الجماعي الموالين على الحزن والولاء، ويُشعرهم بأنّهم يشتركون في إحياء ذكرى إمامهم، على اختلاف أعمارهم وأعمالهم وأحوالهم. ويفتح هذا الاجتماع بينهم أبواب التعارف والخدمة والتعاون؛ فيشارك أحدهم بالقراءة، وآخر بالتنظيم، وثالث بخدمة الحاضرين. وينبغي أن ترافق ذلك مراعاة اختلاف قدرتهم على التعبير؛ فلا يُحرج من لا يستطيع اللطم، ولا تُقاس المحبّة بقوّة الضربات أو ارتفاع الأصوات.

وهذه الدلالات والثمرات لا يستحضرها جميع المشاركين بالدرجة نفسها، بل تنمو بالإخلاص والمعرفة وحسن التوجيه، ويكتمل أثرها حين تمتدّ من مجلس العزاء إلى سلوك الموالي في حياته.

إذن، نفهم من هذه المحاضرة أنّ الحزن واللطم على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرٌ مشروع، فاللطم أحد مظاهر الحزن والتفجّع على مصابه. وهذا التعبير عن الحزن لا يختصّ بالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل يشمل مَن كان مثله في الهداية والتضحية في سبيل الله، مع مراعاة الضوابط الشرعية؛ فقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب».[١٠١]

فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وعلى مثله» يشير إلى عظمة مَن يستحقّ هذا التفجّع، لما يمثّله من الإيمان والهداية ونصرة الحق. ونحن نحزن لمصاب سائر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولمصاب مَن سار على نهجهم من ذراريهم المؤمنين، ومنهم صاحب الذكرى الشهيد زيد بن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه وعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حيث يصادف اليوم الثاني من شهر صفر شهادته، فقد روي عن الفضيل بن يسار قال: دخلت على

أبي عبد الله بعدما قتل زيد بن علي فقال يا فضيل: قتل عمي زيد؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: رحمه الله، أما إنه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالما صدوقا أما انه لو ظفر لوفى أما انه لو ملك لعرف كيف يضعها.[١٠٢]

لقد أبدى زيد بن علي شجاعة فائقة أثناء المعارك، بحيث أعاد للأذهان بطولات أجداده الطاهرين واستطاع أن يلحق الهزائم بالعدو مرات عديدة، فكانت الحرب تسير لصالحه لولا ذلك السهم الغادر الذي أصاب جبهته.

تقول الروايات: فبينما زيد (رض) يقاتل جنود الأمويين في الكوفة وقد أصيب بثلاثة عشر سهما إذ رُمي بسهم وقع في جبهته اليسرى فنزل السهم في الدماغ فرجع ورجع أصحابه إلى بيت حران بن أبي كريمة وجاؤوا له بطبيب فقال له: إنك إن نزعته من رأسك مت قال زيد (رض): الموت أيسر عليّ مما أنا فيه وانتزع السهم من جبينه فما أن انتزعه حتى قضى نحبه (رض).

قال أصحابه: أين ندفنه وأين نواريه؟ فقال بعضهم: نلبسه درعين ثم نلقيه في الماء وقال بعضهم: لا بل نحتز رأسه وقال بعضهم: نحمله إلى العباسية فندفنه فيها فقبلوا رأيه، فانطلقوا به إلى العباسية فدفنوه وأجروا عليه الماء وكان معهم غلام سندي فذهب إلى السلطة وأخبرهم بالخبر فاستخرجوه وحزوا رأسه وسيروه إلى دمشق فنصب في أحد شوارعها.

قال بعضهم: فنظرت إليه حين أقبلوا به على جمل قد شد بالحبال وعليه قميص أصفر فألقى من البعير على باب القصر فخر كأنه جبل فأمر به فصلب بالكناسة عاريا ومكث مصلوبا أربع سنين حتى أن الفاختة عششت في جوفه.

ولما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف بن عمرو أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فأحرقه وأنسفه في اليم نسفا فأمر يوسف عند ذلك أحد أصحابه فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار ثم جعله في قواصر[١٠٣]، ثم حمله في سفينة ثم ذرّاه في الفرات. وشوهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرؤيا متساندا إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب وهو يقول للناس: أهكذا تفعلون بولدي؟

نعم: إن مصيبة زيد أحرقت قلوب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا سيما سيدنا وإمامنا أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يبكي عمه بحرقة. يقول الأمين في كتابه: (زيد الشهيد) عن حمزة بن حمران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي: يا حمزة من أين أقبلت؟ قلت من الكوفة فبكى حتى بُلَّت لحيته فقلت له: يا ابن رسول الله ما لك أكثرت البكاء؟

قال: ذكرت عمي زيدا وما صُنع فيه فبكيت فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه السهم فجاء ابنه يحيى فانكب عليه وقال: أبشر يا أبتاه فإنك ترد على رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) قال: أجل يا بني ثم عاد بطبيب فنزع السهم من جبينه فكانت نفسه معه.[١٠٤]

أقول: رحم الله الشيخ يعقوب النجفي إذ يقول:

يبكي الإمام لزيد حين يذكره ... وإن زيدا بسهم واحد ضُربا

فكيف حال علي بن الحسين وقد ... رأى أباه لنبل القوم قد نصبا

(بحر طويل)

الصادق من ذكر عمه حن اوسچب دمع العين

الله ايساعد السجاد من عاين لبوه احسين

شافه للنبل مرمي او ماله من اخوته امعين

ظل الحالته يبكي او ينوح ابليله وانهاره

اشلون اهجع وبطل النوح وانته اموسد الغبره

اشلون التذ ابشرب الماي بويه اوما اجر حسره

عودة إلى الفهرس



٥ شهر صفر

السلام على عزيزة الحسين عليها السلام

ذكرى رحيل **الشهيدة بنت الشهيد**

السيّدة رقية بنت الإمام الحسين

صلوات الله وسلامه عليهما

اليوم الخامس من شهر صفر

المناسبة: شهادة السيدة رقية عَلَيْهَا السَّلَامُ

القصيدة للسيد حسين محمد تقي بحر العلوم

طفـــلةٌ بنـتُ أربـــعٍ أو ثـلاثٍ ... يَشـهَقُ العِطـرُ مـن عبيـره شـذاها

هـي بنـتُ الحسـين لـم تعـرفِ اليتـمَ ... ولـم تـــــدر كيـف تنعـى أباهـا

لـم تـزل تسـأل الأرامـــلَ والأيتامَ ... عنـه ولـــم تحـــصِّل مُنـــاها

وغفـت عينُهـا لتهجـعَ بلـــواها ... وتنـــسى مصـــابَـها وأســـــاها

رأتِ الوالـدَ العطـــوفَ بعينَيهـا ... فهبّـــت مذعـــورةً مـن رؤاهـــا

وانبـرت تشـتكي لـه الـذُلَّ واليتـمَ ... فتَـــذوي القلـــوبُ مـن شكـــواها

واستفاقت من غفوةِ الضيمِ تبكي ... وتنـادي ولا يُجـــابُ نِداهـــا

فاستجاشـت عواطـفُ الثَـكل بالـ ... ـحزن ضجيجا من أرضها وسماها[١٠٥]

عودة إلى الفهرس

(نصارى)

او طفلـه النايمـه فـزت او نـادت — أبـوي احسـين اريـده او عيـب هـادت

ابـــــوها وين يـا مَبعـد الرادت — تشـــــوفه اولا شـفت يومه عساني

جابـوا راس أبوهـا ابطشـت يا ويل — گلبهـــــا والمدامـع شـاطره اتهيـل

عـن الراس مـا شـالوا المنـــــديل — صاحـــــت آه يـا بويـه الجفـاني

هـوت للـراس شـمت وجـه أبوهـا — اجـوا ليهـا اليتـــــيمه او حرِّكوهـا

الـروح امفـــــارجه منهـا لگوهـا — صاحـــوا كل فـرد مثلچ عسـاني[١٠٦]



عنوان المحاضرة الثالثة:

احذروا هوس التجميل!

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر».[١٠٧]

برز في السنوات الأخيرة اهتمام متزايد بالمظهر والتجميل، يؤسفنا أن يتحول لدى بعض الناس، ومنهم مسلمون، إلى شغل شاغل يستنزف التفكير والوقت والمال. ولم يعد الأمر مقتصرًا على المساحيق والملابس والإكسسوارات؛ بل اتسع إلى نفخ الشفاه وتوريدها، وحقن الخدود بالفيلر، واستعمال البوتوكس، وتركيب الرموش والأظافر، وصولًا إلى جراحات تغيير شكل الوجه والبدن.

ومع هذا الانشغال، دخل بعضهم في دوامة هوس التجميل دون أن ينتبه، ويطلب تعديلًا بعد آخر ولا يبلغ الرضا. وقد صاحب ذلك تهاون بأوامر الله وأحكام الستر والعفاف، وتقديم إعجاب الناس على رضاه سبحانه، فضلًا عن الأضرار النفسية والصحية والمالية.

ومن هنا تأتي ضرورة الوقوف عند هذه الظاهرة، والتمييز بين التجمل المشروع والانشغال المؤذي بالمظهر، وبيان أسباب هوس التجميل وآثاره وسبل علاجه، وهو ما تتناوله المباحث الآتية:

عودة إلى الفهرس

المبحث الأول: هوس التجميل ومعناه وأسبابه وآثاره

المطلب الأول: التعريف وصور الانشغال بالمظهر

نقصد بهوس التجميل الانشغال المفرط بتحسين المظهر، حين يستحوذ التفكير فيه على مساحة كبيرة من الحياة، ويصبح الرضا عن النفس معلقًا بإخفاء عيب أو تعديل ملامح أو الوصول إلى صورة معينة. فقد تشعر امرأة بأنها لن ترضى عن نفسها حتى تغير أنفها، ثم تنشغل بشفتيها وخديها، ويظل السؤال حاضرًا: ماذا أغير بعد؟

ونستعمل هذا التعبير لوصف الانشغال، وليس تشخيصًا طبيًا محددًا؛ فقد يكون مبالغة في الاهتمام بالمظهر، وقد يرتبط باضطراب تشوه الجسم، الذي يحتاج تشخيصه إلى تقييم متخصص. وفي هذا الاضطراب ينشغل المصاب بعيوب تبدو للآخرين طفيفة أو لا يلاحظونها، ويتكرر التفحص أو المقارنة أو الإخفاء، مع ضيق مؤثر في حياته.[١٠٨]

ولا يقتصر الانشغال على الجراحة. فقد يتعلق لدى النساء بحجم الشفاه والخدين، وشكل الأنف، وصفاء البشرة ولونها، والتجاعيد، وتناسق الجسم، وكثافة الشعر، وطول الرموش وشكل الأظافر؛ فتكرر إحداهن حقن شفتيها أو شد وجهها، أو تلاحق كل وسيلة تعدها ببشرة خالية من العيوب ومظهر أصغر سنًا.

وقد يتعلق لدى الرجال بحجم العضلات، وشعر الرأس والصلع، وفراغات اللحية وكثافتها وطريقة تحديدها، وشكل الفك والأنف والبشرة؛ فينشغل أحدهم بتكبير عضلاته، أو ملء كل فراغ في لحيته، أو تعديل فكه ليشبه أحد المشاهير.

وهذه أمثلة قد يشترك فيها الجنسان؛ والعناية بها أو طلب علاج مناسب لها لا يثبتان وحدهما وجود الهوس، وإنما تظهر المشكلة حين تصبح هذه التفاصيل شاغلًا مستمرًا يدفع إلى تكرار التعديل دون رضا مستقر.

فالفرق بين العناية المتزنة وهوس التجميل يظهر في مقدار الانشغال بالمظهر وتأثيره في الحياة. فقد تعتني المرأة بهندامها قبل الخروج للتسوق، ثم تنشغل بشراء

ما تحتاج إليه، وتعود إلى دارها دون أن تراقب نظرات الناس أو تنتظر مديحهم، ولا يتوقف رضاها عن نفسها على التفاتهم إليها.

بينما تنشغل أخرى أثناء التسوق بمراقبة نظرات الناس، وبالأخص الرجال: هل يلتفتون إليها؟ وهل يصفونها بالجمال أو يوجهون إليها كلمات الغزل؟ فإذا لم تجد الاهتمام الذي تنتظره، حزنت، وربما اعتقدت أنها تحتاج إلى مزيد من التجميل حتى تلفت الأنظار. وهنا يصبح رضاها عن نفسها معلقًا بإعجاب الآخرين، وينصرف اهتمامها عن الغرض الذي خرجت من أجله. وقد تنشغل امرأة أخرى بمظهرها خوفًا من السخرية والرفض، لا طلبًا للمديح.

فالعبرة بسيطرة الانشغال وما يسببه من ضيق وتعطيل، مع بقاء الحكم الشرعي مستقلًا؛ فالمخالفة الشرعية لا تثبت وحدها وجود الهوس، وغيابه لا يجعل الممارسة المحرمة جائزة.

المطلب الثاني: الأسباب والدوافع

الأسباب هي العوامل التي تسهم في نشوء هوس التجميل أو زيادته، أما الدوافع فهي ما يسعى الإنسان إلى تحقيقه من خلال تغيير مظهره. وقد يجتمع أكثر من سبب ودافع لدى الشخص نفسه، دون أن يؤدي أي منها حتمًا إلى الهوس.

ومن أبرز الأسباب ما يأتي:

١. الاعتقاد بأن قيمة الإنسان تتحدد بجمال مظهره: يعتقد أن جمال ملامحه يجعله أفضل وأكثر استحقاقًا للمحبة والاحترام، فيرى ما لا يعجبه في شكله نقصًا في قيمته، ويسعى إلى التجميل حتى يشعر بأنه جدير بالتقدير.

٢. المقارنة المتكررة بالصور المعروضة: يقارن مظهره الطبيعي بصور المشاهير والأصدقاء، دون الانتباه إلى ما تحسنه الإضاءة والمستحضرات وبرامج تعديل الصور؛ فيشعر بالنقص، وربما يطلب التجميل ليشبه صورة لا تمثل الحقيقة كاملة.

عودة إلى الفهرس

٣. السخرية والتعليقات الجارحة: قد يتعرض لتعليقات على لونه أو وزنه أو ملامحه من الوالدين أو الإخوة أو الأقارب وغيرهم، فتظل كلماتهم تؤلمه، ويكثر من مراقبة الجزء الذي سخروا منه، ويتصور أن تغييره سيخلصه من الإهانة.

٤. ضغط المحيط ووعود الإعلانات: قد يكون راضيًا عن مظهره، ثم يقنعه المحيط بأن من لا يجري التعديلات يهمل نفسه. وتزيد الإعلانات هذا الضغط حين تعده بأن التجميل سيمنحه الثقة والسعادة والمحبة، فينتظر منه تغيير حياته كلها.

أما أبرز الدوافع فهي:

١. طلب الكمال والتفوق في الجمال: لا يكتفي الإنسان بأن يكون حسن المظهر، بل يريد أن يكون الأجمل والأكثر لفتًا للأنظار. وقد ينال المديح، لكنه يحزن إذا نال غيره مديحًا أكثر، فيبحث عن تعديل يضمن له التفوق.

٢. طلب المحبة والقبول والخوف من الرفض: يعتقد أن ملامحه تمنعه من المحبة أو الزواج، أو أن تغير جسده سيحرمه اهتمام شريكه؛ فيتعلق بالتجميل ليحصل على القبول أو يحافظ على محبة يخشى فقدانها.

٣. إزالة كل عيب والاحتفاظ بالشباب: يريد مظهرًا خاليًا من المسام والتجاعيد والاختلافات الطبيعية، فيدقق في كل تفصيل، وكلما غيّر شيئًا انشغل بآخر. وقد يلاحق الإجراءات لأنه يخشى أن ينقص تقديره عند الناس مع تقدم عمره.

٤. تخفيف القلق والحصول على الطمأنينة: يلجأ إلى التفحص أو الإخفاء أو التعديل ليتخلص من قلقه بشأن مظهره. وقد يشعر براحة مؤقتة، ثم يعود القلق، فيبحث عن تغيير جديد ظنًا منه أنه سيمنحه الطمأنينة النهائية.

ولتقريب كيفية اجتماع هذه الأسباب والدوافع، لنتصور فتاة سخرت قريبتها من شفتيها، فبدأت تفحصهما، وتقارنهما بشفاه المشهورات، ثم سمعت من صديقاتها أن الجميع يجرين الحقن، وشاهدت إعلانًا يعدها بمظهر أجمل وثقة أكبر. وهكذا تدفعها السخرية والمقارنة وضغط المحيط والإعلان إلى التفكير بالتجميل، طلبًا للتخلص

من الإحراج ونيل الإعجاب والطمأنينة.

وإذا ظل رضاها معلقًا بالمقارنة وإعجاب الآخرين، فقد تنجح الحقن في تحقيق الشكل المطلوب، ثم تعود إلى السؤال: «هل أصبحت شفتاي كبيرتين؟ وهل يناسبهما أنفي؟». فتنتقل من تعديل إلى آخر دون رضا مستقر؛ ولذلك تحتاج المعالجة إلى تصحيح الأفكار والدوافع التي تقودها إلى تكرار التجميل، لا الاكتفاء بتغيير مظهرها.

المطلب الثالث: العلامات والآثار

من العلامات التي تستحق الانتباه: تكرار النظر في المرآة أو تجنبها بشدة، وتكبير الصور ومقارنة الملامح، والانشغال الطويل بما يراه الإنسان عيبًا في شكله. وقد يبالغ في محاولة إخفائه، كاستعمال طبقات من كريم الأساس لتغطية ما يزعجه في بشرته، أو ترتيب شعره لإخفاء جانب من وجهه، مع سؤال الأهل عن شكله مرارًا دون اطمئنان مستقر.

وقد يتجنب الدراسة أو العمل أو الزيارات بسبب مظهره، أو تتكرر مراجعاته لعيادات ومراكز التجميل؛ فبعد تعديل أنفه مثلًا، ينشغل بشفتيه، ثم بتفصيل آخر في وجهه أو جسده يراه عيبًا يحتاج إلى تغيير. وهذه علامات تستدعي الفهم والتقييم لدى المختص، ولا تكفي وحدها لتشخيص الآخرين.

وقد تمتد الآثار إلى جوانب متعددة، منها:

١. الآثار النفسية: يزداد القلق وعدم الرضا عن النفس، ويصبح التفكير بالمظهر مصدرًا للحزن والتوتر، حتى يصعب الاستمتاع باللقاءات أو التركيز في الأعمال اليومية.

٢. الآثار الأسرية والاجتماعية: قد ينسحب الإنسان من علاقاته، ويؤجل مسؤولياته، وتتكرر خلافاته مع أسرته بسبب انشغاله المستمر بمظهره أو مطالبته بإجراءات

عودة إلى الفهرس

جديدة.

٣. الآثار المالية: يتكرر الإنفاق على المستحضرات والحقن والعمليات، وقد يزاحم حاجات الأسرة الأساسية أو يدفع إلى الاقتراض، دون أن يحقق الرضا المنتظر.

٤. الآثار الصحية: تحمل الإجراءات مخاطر تختلف بحسب نوعها وحالة الشخص وكفاءة من يجريها، وقد يؤدي تكرار العبث بالبشرة إلى جروح والتهابات أو آثار تزيد معاناته بدل أن تحسن مظهره.

٥. الآثار الشرعية: قد يدفع التعلق بالمظهر إلى إظهار الزينة على نحو محرم، أو إبقاء مواد تمنع وصول الماء إلى مواضع الوضوء أو الغسل، أو تضييع الواجبات وحقوق الآخرين. وهذه الآثار ترتبط بالمخالفة والإفراط، ولا تترتب بالضرورة على كل عناية بالجمال.

وقد يرتبط هوس التجميل في بعض الحالات بمرض نفسي يسمى «اضطراب تشوه الجسم»، ينشغل فيه المصاب بعيوب يراها كبيرة، بينما تبدو للآخرين طفيفة أو لا يلاحظونها. وقد يصاحبه اكتئاب شديد، وتصل المعاناة أحيانًا إلى التفكير بإيذاء النفس أو الانتحار بسبب الاعتقاد بقبح المظهر أو الخوف من الرفض. وعند ظهور هذه الأفكار تلزم مساعدة نفسية عاجلة، وعند وجود خطر مباشر يتوجه المصاب إلى الطوارئ، ولا يترك وحده.[١٠٩]

المبحث الثاني: الجمال وحقيقة الكمال في المنظور الإسلامي

المطلب الأول: التجمل المشروع ومعيار الكرامة

لا يدعو الإسلام إلى إهمال الهيئة والتجميل؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[١١٠] وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله عز وجل يحب الجمال والتجمل».[١١١] فالنظافة والثياب المرتبة والعناية بالشعر والرائحة الحسنة من العناية المشروعة، مع مراعاة أحكامها. ولا يتوقف حسن الهيئة

على كثرة المال أو شراء العلامات الباهظة.

والعناية مسؤولية مشتركة؛ فلا ينتظر الرجل من زوجته أن تتجمل له ثم يهمل نظافته ومظهره. كما أن جمال الثوب لا يبرر التعالي على من يلبس البسيط، والتدين لا يقتضي تعمد الإهمال مع القدرة على النظافة والترتيب.

لكن حسن المظهر لا يكشف وحده عن حقيقة صاحبه؛ كما نستحسن تفاحة بلونها ثم نجدها فاسدة عند فتحها، وقد تكون واجهتها بسيطة وداخلها سليمًا. والمقصود معرفة الأخلاق والمواقف، لا ربط الجمال بسوء الخلق أو البساطة بالصلاح.

وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الجمال الظاهر حسن الصورة»، و«الجمال الباطن حسن السريرة».[١١٢] فالأول تدركه العين، والثاني يظهر في الصدق والإخلاص والرحمة والأمانة. وقد يجتمعان أو يفترقان؛ فلا نحكم على دين الإنسان وأخلاقه من وسامته أو لون بشرته.

وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر».[١١٣] فزينة البواطن هي التزين بالصدق والعفة والرحمة، وهي أجمل وأعظم قيمة من زينة الظواهر وهي التزين بالثياب والمساحيق؛ ولذلك يستحق إصلاح قلوبنا وأخلاقنا عناية أكبر من تحسين مظهرنا.

وإليكم أمثلة توضح هذه الحقيقة:

نقل الطبرسي في «مجمع البيان» قولًا بأن أبا لهب سمي بذلك لحسنه وإشراق وجهه، حتى كأن وجنتيه تلتهبان.[١١٤] لكن جماله لم يمنعه من عداوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإيذائه، ولم يدفع عنه عاقبة عمله؛ قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.[١١٥]

وفي المقابل رفع الله لقمان بالحكمة، فقد وصفت بعض الأخبار لقمان بأنه أسود البشرة، غليظ الشفتين[١١٦]، ولكن منزلته لم تحددها ملامحه، وإنما رفعه الله بالحكمة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[١١٧]، وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا

عودة إلى الفهرس

جمال»، ثم ذكرت الرواية ورعه وعمق تفكيره وحرصه على التعلم والإصلاح بين الناس.[١١٨]

وقد نبه القرآن إلى الحذر من الاغترار بالمظهر، فقال في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾[١١٩]، ومن الأقوال التي أوردها الطبرسي أنهم كالخشب المتآكل الذي يروق ظاهره ولا يفيد باطنه؛ فكذلك المنافق يعجب بظاهره، وباطنه منحرف عن الخير.[١٢٠]

وقد يجتمع حسن الظاهر والباطن، كما هو الحال مع نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فليس جمال الملامح دليلًا على فساد صاحبه، ولا على صلاحه. ونحتاج إلى هذا الميزان عند اختيار الزوج أو الزوجة والصديق، وفي العمل والأموال؛ فنتعرف إلى الصدق والأمانة من المعاملة، ولا نكتفي بالمظهر والكلام. وبالميزان نفسه ننظر إلى أنفسنا؛ فلا يشغلنا تحسين ملامحنا عن إصلاح أعمالنا.

ولمعرفة ما ينبغي العناية به، ننتقل إلى أبرز جوانب الجمال الظاهر والباطن.

المطلب الثاني: أركان جمال الظاهر والباطن

أولًا: أركان جمال الظاهر

نستعمل جمال الظاهر هنا بمعنى واسع، يشمل المظهر وما يلفت الناس من أحوال الإنسان، ومن أبرز جوانبه:

١. حسن الصورة والهندام: ويشمل جمال الملامح وتناسق الجسد ونظافة الثياب وترتيبها. وقد يلفت الأنظار، لكنه لا يكشف وحده عن الأخلاق؛ فقد يكون الإنسان جميلًا وأنيقًا، لكنه يكذب ويؤذي الآخرين.

٢. النسب والحسب: قد ينال الإنسان تقديرًا لانتسابه إلى أسرة معروفة أو صالحة، لكن فضائل الآباء لا تصبح أعمالًا للأبناء؛ فكل إنسان مسؤول عن سلوكه، ولا يبرر اسم عائلته تكبره أو إساءته.

٣. المال والثروة: يتيح المال وسائل الراحة والتجمل والإحسان، لكنه لا يجعل صاحبه أفضل من غيره؛ وإنما تظهر فضيلته حين يكسبه من الحلال وينفقه فيما ينفع، دون إسراف أو تعالٍ على المحتاجين.

٤. المكانة الاجتماعية: كالمنصب والشهرة والشهادة الجامعية. وقد تكون ثمرة اجتهاد، لكن قيمتها تظهر في حسن استعمالها؛ فالعلم الذي ينفع الناس والمنصب الذي يحفظ حقوقهم أولى بالتقدير من الألقاب وحدها.

ثانيًا: أركان جمال الباطن

يتجسد جمال الباطن في صفات توجه تفكير الإنسان واختياراته ومعاملته، ومنها:

١. العلم والمعرفة: يعينان على الفهم والتمييز بين النافع والضار، والتثبت قبل التقليد. ويظهر جمال العلم بالعمل به؛ فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جمال العالم عمله بعلمه».[١٢١]

٢. الحلم والسماحة: الحلم ضبط النفس عند الغضب، والسماحة لين المعاملة وسعة الصدر؛ فيعالج الإنسان الخطأ دون إهانة، ويقبل الاعتذار دون إذلال. وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جمال الرجل حلمه».[١٢٢]

٣. الحكمة: وهي حسن الفهم والتصرف والنظر في العواقب؛ فلا يجعل الإنسان تعليقًا جارحًا أو إعلانًا جذابًا سببًا لقرار متعجل، بل يتروى ويستشير ويختار ما ينفعه.

٤. العفة والاحتشام: يصون الإنسان زينته، ويراعي أحكام الله في لباسه ومظهره وتعامله. وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «زكاة الجمال العفاف».[١٢٣] فالجمال نعمة، ومن شكرها استعمالها في الحلال.

٥. الورع والطاعة: يحجزه الورع عن الحرام، وتحمله الطاعة على أداء واجباته؛ فيحفظ صلاته وأمانته وحقوق الآخرين، ويصون لسانه عن إيذائهم. وروي عن أمير

المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جمال المؤمن ورعه»، و«جمال العبد الطاعة».[١٢٤]

ويحث الإسلام على العناية بالظاهر، لكنه يجعل صلاح الباطن أساس التفاضل والقرب من الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٢٥] فلا يعوض جمال الوجه فساد العمل، ولا تنقص الملامح العادية منزلَة المتقي.

ولكن لماذا ينبغي أن نعطي جمال الباطن اهتمامًا أكبر من جمال الظاهر؟

١. لأنه أبقى أثرًا: يتغير المظهر بالعمر والمرض، أما التقوى وحسن الخلق فلا تبطلهما التجاعيد، ويبقى ثوابهما عند الله.

٢. لأنه يتجدد بالمعاشرة: قد يألف الناس جمال الملامح، لكنهم يظلون محتاجين إلى الصدق والرحمة والوفاء؛ فهذه الصفات تبني الثقة وتمنح العلاقات الأمان.

٣. لأنه قابل للتنمية: لا يختار الإنسان أصل ملامحه، لكنه يستطيع تنمية معرفته وتهذيب أخلاقه بالتعلم والتدريب والتوبة؛ فيجد كل يوم فرصة ليصبح أحسن عملًا ومعاملة.

وهكذا يعتني الإنسان بمظهره، ويمنح قلبه وأخلاقه العناية الأوسع، فلا ينشغل بتجميل وجهه عن إصلاح ما يؤذي به نفسه والآخرين.

المبحث الثالث: أبرز الأحكام الشرعية لممارسات التجميل

وفيما يأتي بيان بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالتجميل:

- المكياج: لا يجوز للمرأة إظهار المكياج أمام الرجل الأجنبي[١٢٦]، ولو كان خفيفًا وغير ملفت للنظر.[١٢٧]
- الحلي والإكسسوارات: يجوز استعمالها في نفسها، لكن يجب سترها عن الرجال الأجانب، ويستثنى الخاتم والسوار بشرط ألا يكون إبداؤهما بقصد إيقاع الغير في

النظر المحرم[١٢٨]، ولا موجبًا لإثارة الفتنة نوعًا[١٢٩]، وألا تخاف المرأة على نفسها الوقوع في الحرام بسببه[١٣٠]. [١٣١]

- الكحل: يجوز إظهاره مع عدم قصد إيقاع الغير في النظر المحرم، وعدم التسبب في الفتنة ولو نوعًا، وعدم العلم بوقوع المرأة في الحرام بسببه، وإن كان الأحوط استحبابًا ترك إظهاره مطلقًا. [١٣٢]
- إجراء الحقن: يجوز للمرأة إجراء حقن البوتوكس والفيلر في الوجه مع مراعاة أحكام النظر واللمس المحرمين. [١٣٣]
- نفخ الشفاه وتوريدها: يجوز في نفسه، ولكن إذا عُدّ زينة وجب إخفاؤه عن الرجال الأجانب. [١٣٤]
- العدسات اللاصقة: إذا عدت زينة للمرأة، لم يجز إظهارها أمام الرجال الأجانب. [١٣٥] أما العدسات الطبية التي تستعمل لتحسين النظر ولا تُعدّ زينة، فلا تدخل في هذا المنع لمجرد كونها عدسات.
- إزالة شعر الوجه وتصفيف الحواجب: هذان لا يمنعان في نفسيهما من كشف الوجه، بشرط الأمن من الوقوع في الحرام، وألا يكون الإبداء بقصد إيقاع النظر المحرم عليها. [١٣٦]
- الوشم والتاتو على الحاجبين: الوشم تحت الجلد: جائز في نفسه، ولا يضر بالوضوء والغسل والصلاة، ويجب ستره أمام الأجانب إذا عد زينة. [١٣٧]

أما الطلاء فوق الجلد، فإذا كان يمنع وصول الماء إلى البشرة، وجبت إزالته عند الوضوء، وإذا كانت إزالته متعذرة ففي جواز إحداث هذا الطلاء إشكال. [١٣٨] فالتجمل لا يكون على حساب العبادة وطاعة الله.

وعلى فرض أنها وشمت حاجبيها وأرادت الطهارة للصلاة، فإذا أحدث الوشم جرحًا مكشوفًا يضره الماء، وأمكن غسل ما حوله دون ضرر، غسلت ما حوله وأكملت وضوءها، ولا يجب عليها التيمم في هذه الحالة. أما إذا وجب عليها الغسل، فتتخير بين التيمم بدلًا عنه وبين الغسل مع غسل أطراف الجرح وبقية البدن، دون

عودة إلى الفهرس

غسل الجرح المتضرر بالماء.[١٣٩]

- تركيب الرموش: إذا كان تركيبها يمنع من أداء الوضوء أو الغسل الصحيحين، فلا يجوز على الأحوط وجوبًا في الحالات الاعتيادية[١٤٠]، سواء أكان بتركيب الشعر على منبت الرمش الطبيعي، أم بلصقه بالرموش الطبيعية دون ملامسة الجفن، أم بوضع رموش متفرقة بينها، وسواء أكان الشعر صناعيًا أم طبيعيًا دون بصيلات؛ فإذا منع اللاصق وصول الماء إلى ظاهر الجفن أو الرموش الطبيعية، وجبت إزالته للوضوء والغسل.[١٤١] أما زراعة الرموش الطبيعية ببصيلاتها بحيث تنمو، فلا تمنع صحة الوضوء والغسل من جهة الشعر المزروع نفسه، مع مراعاة سائر الأحكام الشرعية[١٤٢]، وإذا عدت زينة وجب سترها عن الرجال الأجانب على الأحوط وجوبًا.[١٤٣]
- الأظافر الصناعية الملصقة: لا يصح الوضوء معها؛ لأنها تمنع وصول الماء إلى موضع اللصق.[١٤٤] ويجب سترها عن الرجال الأجانب لأنها من الزينة.
- طلاء الأظافر: الطلاء المتعارف يمنع وصول الماء، فتجب إزالته للطهارة في المواضع التي يجب إيصال الماء إليها.[١٤٥] ويجب سترها عن الرجال الأجانب أيضًا.
- تمنع بعض وسائل التجميل وصول الماء إلى المواضع الواجب غسلها، كطلاء الأظافر والأظافر الصناعية الملصقة والرموش المركبة؛ فيجب إزالة ما يشكل حاجبًا، ولو كان بمقدار رأس إبرة. فإذا توضأ الإنسان أو اغتسل مع بقاء الحاجب، لم يصح وضوؤه أو غسله، وتبطل الصلاة المؤداة بهذه الطهارة[١٤٦]، ويحرم مس كتابة القرآن.[١٤٧]

وإذا بطل غسل الجنابة أو الحيض، بقيت أحكام الحدث، ومنها حرمة المكث في المساجد، وكذلك في النفاس على الأحوط لزومًا[١٤٨]، وتلحق مشاهد المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالمساجد على الأحوط وجوبًا، دون الأروقة والصحون التي لم تثبت مسجديتها.[١٤٩]

- عمليات التجميل: هي جائزة في ذاتها، بشرط اجتناب النظر واللمس المحرمين.

وفي معالجة الطبيب الرجل للمرأة الأجنبية، فالقفازات تمنع اللمس المباشر، لكنها لا تبيح كشف الشعر وسائر ما يجب ستره، ولا النظر إلى الوجه بشهوة أو ريبة. ومراجعة الطبيبة أيضًا لا تبيح كل كشف، ككشف العورة لمجرد التجميل.[١٥٠]

ويستثنى ما تدعو إليه الضرورة أو الحرج الشديد الذي لا يتحمل عادة، وفق شروطه؛ فإذا كان الطبيب الرجل أرفق بالعلاج، اقتصر النظر واللمس على مقدار الحاجة. ومن تطبيقاته السمنة التي توقع في مرض شديد أو حرج شديد، أما مجرد طلب الأناقة فلا يبيح المحظور. وإذا اقتصر إجراء الوجه على ما يجوز كشفه، دون لمس مباشر أو نظر محرم، جاز من هذه الجهات.[١٥١]

المبحث الرابع: علاج هوس التجميل

عند معالجة المصاب بهوس التجميل، لا يكفي أن نقول للمرأة: «أنت جميلة»، أو للرجل: «أنت وسيم»؛ بل تحتاج إلى فهم الأفكار والعادات والضغوط التي تغذيه، ومعالجة إيمانية وتربوية ونفسية وأسرية بحسب الحاجة، وقد تستدعي دواءً يحدده الطبيب. وفيما يأتي أبرز وسائل المعالجة:

أولًا: الثقة بحكمة الخالق والتحرر من ربط القيمة بالمظهر

ويتحقق ذلك من خلال الآتي:

- **الثقة بحكمة الخالق:**

أيهما أعلم بحسن خلقة الإنسان: الخالق أم المخلوق؟ بالتأكيد هو الله سبحانه وتعالى؛ فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١٥٢]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[١٥٣]، وقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.[١٥٤]

وتوجهنا هذه الآيات إلى حكمة الخالق وإتقان صنعه؛ فالإنسان ليس وجهًا يقرر الناس قيمته، بل له جسد وعقل وقدرات يتعلم بها ويعمل ويعبد الله. وحسن خلقته أوسع من مقاييس الملامح التي تختلف فيها الأذواق.[١٥٥]

عودة إلى الفهرس

فإذا لم يعجب شخص بلون بشرتك أو شكل أنفك، فهذا ذوقه، وليس ميزان كرامتك عند الله؛ قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[١٥٦]فاحترم نفسك، وتقبل خلقتك، ولا تجعل اختلاف أذواق الناس سببًا لاحتقارها.

ومما يعين المصاب بهوس التجميل على ترسيخ هذه المعاني أن يردد بتدبر بعض الآيات الدالة على حسن خلقة الإنسان وإتقان صنع الله، قال تعالى:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[١٥٧]، مستحضرًا ثقته بالله الذي أحسن خلقه، وراجيًا سكينة القلب بذكره؛ قال تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾.[١٥٨]

ومن هنا يستطيع أن يقول لنفسه: «أنا مخلوق كرمه الله، ولست مطالبًا بأن تطابق ملامحي أذواق الجميع حتى أحترم نفسي».

◆ العناية بجمال الباطن بالتقوى وصلاح العمل

كما عرفنا، لا يجعل الإسلام جمال الملامح ميزان التفاضل عند الله؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١٥٩]وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».[١٦٠] فليعتنِ الإنسان بصدقه وأمانته وعفته وحفظه للحقوق، بدل أن يحصر اهتمامه في صفاء بشرته وجمال ملامحه.

فقد تجد رجلًا وسيمًا لكنه خائن، وآخر عادي الملامح لكنه أمين، أو امرأة جميلة لكنها مخادعة، وأخرى عفيفة وورعة؛ فالتقدير لحسن السيرة، لا لجمال الصورة وحده.

ولهذا تكون عنايتنا الكبرى بإصلاح الباطن؛ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته».[١٦١] والسريرة هي باطن الإنسان ونياته.

ولتقل المرأة لنفسها: «أعتني بمظهري، لكن كرامتي لا تتوقف على إعجاب الناس؛ وما يرفع منزلتي عند الله هو تقواي وصلاح قلبي وعملي».

◆ التحرر من ملاحقة رضا الناس:

فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط».[١٦٢]

فأذواق الناس مختلفة ومتغيرة؛ قد يعجب أحدهم بالبشرة الفاتحة، ويفضل آخر البشرة السمراء أو اللون البرونزي. وقد يستحسن شخص الشفاه الرقيقة، ويميل آخر إلى الممتلئة، ويعجب بعضهم بالنحافة، وغيرهم بالامتلاء. ويختلف الذوق كذلك في شكل الأنف وسائر الملامح.

وتتغير الموضة أيضًا؛ فقد تزيد المرأة امتلاء شفتيها، ثم تضيق بهما حين تسمع أن الشكل الطبيعي أجمل، وربما تغير ما كانت راضية عنه لمجرد مجاراة المحيط.

وهنا تسأل نفسها: «هل جسدي عجينة أعيد تشكيلها كلما تغيرت أذواق الناس؟ إنه جسد من لحم ودم، ولكل تدخل تبعاته. فأي ذوق سألاحق؟ وهل سأرضي الجميع؟ أم أجعل رضا الله وطاعته أساس اختياراتي؟».

وقد تقول امرأة: «أفعل ذلك لإرضاء نفسي». فنقول: «طلب إصلاح أثر حرق أو تشوه مفهوم. أما إذا كنت راضية عن ملامحك، ثم كرهتها بعد المقارنات والتعليقات، فاسألي نفسك: هل تأثر رضاي بأذواق الآخرين، حتى صرت أطلب لنفسي ما يمدحونه؟».

ثانيًا: ترشيد المتابعة الإعلامية وتجنب المقارنات

قد تشاهد المرأة في مواقع التواصل والبرامج والمسلسلات مذيعات وممثلات ومغنيات، أو نساء يعرضن زينتهن ويقدمن محتوى تافهًا، فتحسب مظهرهن طبيعيًا. لكن الصورة قد تحسنها المساحيق والإضاءة وزاوية التصوير والفلاتر؛ وهي أدوات رقمية تعدل الصور والفيديو، فتنعم البشرة، وتخفي التجاعيد، وتغير الملامح، وتجعل صاحبتها تبدو أصغر سنًا.

ومع تكرار المقارنة بين وجهها الطبيعي وهذه الصور المحسنة، قد تحتقر مظهرها وتظن أنها أقل قيمة. وتزيد بعض البرامج والإعلانات هذا الشعور حين تختزل قيمة المرأة في جاذبيتها، وتجعل الموضة والتفوق في الجمال غايتها.

وهنا ينبغي الانتباه إلى الأفكار التي نتلقاها؛ فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس».[١٦٣]

وينبهنا الحديث إلى خطورة تسليم الفكر والاتباع لكل متحدث؛ فلا نقبل ما يختزل قيمة المرأة في جسدها، أو يدعوها إلى مخالفة تعاليم الله طلبًا للإعجاب.

وقد تستخدم المرأة فلاتر التجميل، فترى أنفها أصغر وبشرتها أنعم، ثم تعتاد هذه الصورة وتنفر من وجهها، وربما تطلب إجراءً لتشبهها. لكن الفلتر غير الصورة، ولم يكشف عيبًا يجب إصلاحه، ولا يضمن أن الجراحة تحقق نتيجته. وقد وجدت دراسة ارتباطًا بين استعمال بعض الفلاتر وزيادة تقبل الإجراءات التجميلية، دون إثبات أنها السبب وحدها.

وللحد من ذلك، تلغي متابعة الصفحات التي تغذي انشغالها بالمظهر أو تكتم منشوراتها، وتقلل البرامج المثيرة للمقارنة، وتترك الفلاتر التي تزيد نفورها من وجهها. وتحدد وقتًا للتصفح، وتوقف إشعارات العروض، وتختار محتوى نافعًا في العلم والدين والمهارات. ويمكنها كتم منشورات قريبة دون قطع صلتها بها.

وقبل متابعة صفحة أو شخص في مواقع التواصل، تسأل: «هل يقدم لي ما ينفعني، أم يكرر إقناعي بأنني ناقصة حتى أشتري؟».

فبعض الإعلانات يضخم القلق من المسام والتجاعيد والعمر ليبيع منتجه؛ فلا تجعل لغة البيع حكمًا على نفسها، ولا صور «قبل وبعد» دليلًا كافيًا على كفاءة المركز. وإذا بدأت المقارنة، تغلق المحتوى وتعود إلى عمل نافع، بدل تفحص ملامحها في المرآة.

ثالثًا: مراجعة القرارات التجميلية والتروي قبل تكرارها

قبل الإقدام على إجراء تجميلي، يحتاج الإنسان إلى مراجعة هادئة تشمل الأمور الآتية:

١. تحديد ما ينتظره من الإجراء:

قد تريد المرأة تعديل أنفها، وتتوقع أن يمحو ذلك ألم السخرية، أو يجعلها راضية عن نفسها، أو يعيد اهتمام زوجها، وغيرها من الآمال. لكن تغيير الملامح لا يضمن تحقيق هذه المطالب؛ فإصلاح العلاقة ومعالجة الألم النفسي يحتاجان إلى معالجة أسبابهما.

٢. التحقق من مشروعية الإجراء وعواقبه:

تسأل قبل التجميل: هل يجوز شرعًا؟ وهل تتضمن طريقة إجرائه أو إظهار نتيجته مخالفة؟ وهل يؤثر في صحة الوضوء والغسل؟ فالرموش والأظافر المركبة تستلزمان مراعاة أحكام الحاجب عن وصول الماء، والوشم ونفخ الشفاه وتوريدها لها أحكامها؛ فما عُدّ زينة وجب ستره وفق التفصيل الشرعي. ولا يباح نظر الطبيب الرجل أو لمسه المحرمان إلا بمسوغ شرعي وبمقدار الحاجة.

وتعرف مخاطره الصحية؛ فالنجاح غير مضمون. وقد تسبب الجراحة نزيفًا أو عدوى أو ندبات دائمة، والفيلر تكتلات، ونادرًا انسداد وعاء دموي يؤدي إلى تلف الأنسجة أو العمى. وقد يسبب البوتوكس تدلي الجفن، وإذا انتشر تأثيره فقد تحدث صعوبة في البلع أو التنفس.[١٦٤]

٣. التروي وتأجيل القرار:

لا تقرر بسبب تعليق جارح أو إعلان مغر، بل تستشير مختصًا، وتعرف المخاطر والتكاليف والبدائل، وتتأنى. وإذا لم تتضح مصلحتها فلا تستمر لمجرد الحجز أو الدفع. وعند الانشغال المرضي بالمظهر، تحتاج إلى تقييم نفسي قبل تكرار الإجراءات؛ فقد يكون المطلوب علاج المعاناة، لا تعديلًا جديدًا.

عودة إلى الفهرس

رابعًا: معالجة السخرية والتعليقات الجارحة

قد تسهم السخرية في هوس التجميل، وبالأخص من الأهل، كقولهم: «أنفك كبير»، أو: «لونك غير جميل»، أو: «أختك أجمل منك». وقد تأتي من صديق أو جار أو زميل، بالكلام أو التلميح والضحك والألقاب والصور الساخرة، فتدفع المتأذي إلى تغيير مظهره هربًا من الإحراج.

وقد نهى الله تعالى عن السخرية فقال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾.[١٦٥]

ولا يبررها قول الأب: «أنا أمزح»، أو الأخ: «تعرف أنني أحبها»؛ فقد تسكت الفتاة أو تضحك لتخفي حرجها، لا لأنها لم تتألم.

وقد تؤدي الإساءة المتكررة إلى الشعور بالنقص، وتجنب اللقاءات، والانشغال بالجزء الذي تعرض للسخرية. وتذكر المصادر الطبية التنمر والإساءة في الطفولة ضمن العوامل المحتملة المرتبطة باضطراب تشوه الجسم، دون أن يصاب به كل متأذٍ.[١٦٦]

ولمعالجة هذه السخرية والتعليقات الجارحة والحد من آثارها، ينبغي مراعاة ما يأتي:

- تتفق الأسرة على ترك الألقاب المرتبطة بالوزن واللون والملامح، وتقدم النصيحة الصحية بخصوصية واحترام. ومن أساء يقول: «تعليقي كان مؤذيًا وأخطأت ولن أكرره»، ثم يثبت الاعتذار بتغير المعاملة، لا باتهام المجروح بالحساسية.
- يقال للمتأذي: «ما حدث مؤلم، لكنه لا يثبت أنك ناقص أو أن الجميع يحتقرونك». ويتعلم ردًا واضحًا: «هذا التعليق يجرحني وأطلب ألا يتكرر». ويستعين عند الحاجة بقريب مأمون أو مرشد، ويتدخل الأهل والمدرسة لحماية الطفل. وتسانده الأسرة للعودة إلى أنشطته وتقدر قدراته، وتطلب معه مساعدة نفسية إذا استمر الانعزال أو التفحص أو طلب التجميل هربًا من الإهانة.

- يتدخل الكبار لحماية الصغير بدل مطالبته بالضحك مع المسيء؛ فإذا سخر قريب من لون طفلة، يقول أهلها: «لا نعلق على شكلها بهذه الطريقة». وتناقش الحاجة الصحية بلغة الرعاية، لا بتخويفها من أن أحدًا لن يقبلها بهذا الجسم.
- وفي الإساءة الإلكترونية يحتفظ بالأدلة اللازمة، ويبلغ ويحظر ويطلب الحماية، دون جدال يوسع انتشار الصورة. ويمنحه أهله وقتًا للتعافي، فلا يقولون بعد الاعتذار: «لماذا لم تنس؟»، ويستمر اهتمامهم به خارج موضوع شكله.
- مما يقوي النفس أمام السخرية ما نقل عن لقمان الحكيم؛ فقد نقل الشيخ الطبرسي أن شخصًا قال له: «ما أقبح وجهك!»، فأجابه: «تعتب على النقش أو على فاعل النقش؟».[١٦٧] أي: أتعيب الصورة أم خالقها؟ فكأنه ينبهه إلى أن تعييره بهذه الخلقة يتجاوز إيذاء صاحبها إلى الاعتراض على صنع الله؛ فالله هو الذي خلقه وصوره، وهو أحسن الخالقين. ويمكن للمتأذي أن يستفيد من ذلك فيرد بأدب: «هذه خلقة الله، واختلاف ملامحي عما يعجبك لا يبيح لك السخرية مني».

خامسًا: مقاومة ضغط المحيط ومساندة الأسرة

قد تكون المرأة راضية عن مظهرها، ثم تجد من حولها يتنافسن في التجميل ويستغربن ممن لا تجاريهن. وحين يصبح التبرج مألوفًا، قد تُنتقد الملتزمة بالستر وكأنها المخطئة. وقد حذر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من انقلاب المقاييس فقال: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟».[١٦٨]

- ولذلك وجب على المؤمن والمؤمنة عدم التنازل عن طاعة الله بحجة أن «الجميع يفعلون ذلك»؛ فكثرة الفاعلين أو قلتهم ليست ميزان الصواب، بل تعاليم الله. وما خالفها لا يصبح صوابًا بانتشاره. وقد قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[١٦٩] فرفض الكثيرين للحق لا يبطله.

ويعينها على الثبات قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله».[١٧٠] فتختار صحبة تحترم دينها وقرارها، وتقلل حضور مجالس الإلحاح،

عودة إلى الفهرس

دون قطع صلة الرحم أو الدخول في جدال متكرر.

- ومن الوسائل العملية تدريب الفتيات على ردود مهذبة وواثقة؛ فقد تعرف الفتاة موقفها، لكنها ترتبك أمام الانتقاد. فيدربها المربي على التعبير بهدوء ووضوح، لتثبت على قناعتها، وربما تؤثر في غيرها.

فإذا قيل لها: «لماذا لا تضعين المكياج؟ وجهك شاحب»، أمكنها اختيار أحد الردود المختصرة، ومنها:

١. «قررت أن أترك المكياج عند خروجي التزامًا بطاعة الله؛ ورضاه أعز علي من إعجاب الناس بمظهري».
٢. «يسرني الكلام الطيب، لكنني قررت ألا أجعل رضا الناس عن مظهري شرطًا لرضاي عن نفسي».
٣. «أقدر اهتمامك، وأحتاج إلى تشجيعك على هذا القرار؛ فالكلمة التي تعينني على الرضا والطاعة أنفع لي من تجميل وجهي بما يخالف رضا الله».

- وعلى الزوج والأسرة ترك المقارنات، وعدم ربط المحبة والقبول بتغيير المظهر. وإذا قارن الزوج زوجته بغيرها، تستطيع أن تقول: «هل يريحك أن أقارنك برجل آخر؟ أحتاج إلى تقديرك، وإن أردنا مناقشة مظهرنا فلنتحدث باحترام دون مقارنة أو تجريح».

- ومن المساندة تيسير العلاج، واحترام الخصوصية، وتشجيع المصاب، دون مجاراته في تفحص صوره وملامحه أو الإجابة المتكررة عن سؤاله: «هل أنفي مشوه؟ هل أبدو قبيحًا؟». وتقلل الأسرة هذه المجاراة تدريجيًا وفق الخطة العلاجية، مع استمرار محبتها واهتمامها.

سادسًا: التعامل المتزن مع التقدم في العمر

تغير الجسم مع التقدم في العمر سنة كونية، وجزء طبيعي من مراحل الحياة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.[١٧١]

- فلا يجعل الإنسان همه ملاحقة التجاعيد وشد الجلد لاستعادة الشباب؛ فتكرار الإجراءات قد يرهقه، وقد لا تسمح صحته ببعضها، وجسده لا يبقى شابًا إلى الأبد.
- وتذكره التجاعيد بأن الدنيا ليست دار بقاء، فتدفعه إلى التقرب من الله والعمل النافع. وكلما تغير جماله الظاهري، زاد اهتمامه بجماله الباطني، الذي ينميه بالإيمان والتقوى وحسن الخلق؛ فبه ترتفع منزلته عند الله، وهو أولى بعنايته من الاستغراق في ملاحقة جمال يزول.
- ويجمع بين العناية المتزنة والاستعداد للآخرة، ويرجو نعيم الجنة الذي لا تفسده الشيخوخة. فقد رُوي أن عجوزًا من الأنصار طلبت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لها بالجنة، فقال لها ممازحًا: «إن الجنة لا يدخلها العجوز». فلما بكت، بيّن لها المعنى مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[١٧٢]؛ فالمقصود أنها لا تدخلها على هيئة العجوز، وليس حرمانها من دخولها.[١٧٣]

وهكذا يعتني بنفسه ويستمتع بالزينة المباحة ويطلب رضوان الله؛ فتغير جسده لا يعني انتهاء ما يرجوه من الخير والجمال.

سابعًا: العلاج النفسي

تبدأ المعالجة بتقييم المختص، وقد تشمل ما يأتي بحسب حاجة المصاب:

١. العلاج المعرفي السلوكي: يساعد المصاب على مراجعة أفكاره عن مظهره، وفصل قيمته عن ملامحه. ويتدرب مع المعالج على مواجهة المواقف التي يتجنبها تدريجيًا، وتقليل تفحص المرآة والصور وطلب الطمأنة. ولمزيد من التوضيح، يمكنكم مراجعة كتاب «احذروا هوس التجميل».[١٧٤]

عودة إلى الفهرس

٢. العلاج الدوائي عند الحاجة: قد يصف الطبيب أدوية تخفف أعراض اضطراب تشوه الجسم، ومنها مثبطات إعادة امتصاص السيروتونين الانتقائية. ولا يوقفها المصاب أو يغير جرعتها دون إشراف الطبيب.[١٧٥]

ثامنًا: معالجة الفراغ والوحدة والحاجة إلى التقدير

قد تصبح متابعة التجميل أو زيارة عيادات التجميل وسيلة لملء اليوم، أو مناسبة يحصل فيها الإنسان على اهتمام يفتقده. فلا تكفي مطالبته بالتوقف؛ بل يحتاج إلى أعمال وعلاقات تشبع حاجته إلى المشاركة والتقدير.

- ليسأل نفسه: «هل تشتد رغبتي في متابعة التجميل عند الوحدة، أو قلة الاهتمام، أو الفراغ؟». فقد تفتقد المراهقة أو الشابة الحب والحنان، فتأمل أن يجلب لها جمالها الاهتمام. وقد تنشغل امرأة بالتجميل بعد فتور علاقتها الزوجية أو طلاقها أو ترملها أو سفر أبنائها؛ فنفهم حاجتها دون افتراض سبب واحد للجميع.
- وتتواصل مع امرأة مؤمنة ترتاح إليها، وتشارك في لقاء أو نشاط نافع، وتختار ما يناسبها من تعلم مهارة أو تطوع، وخصوصًا ما يقوي إيمانها وثقتها بحكمة الله ورضاها بقضائه، كتدبر القرآن وتعلم معارف الدين والعمل الصالح.
- وعلى الأسرة، وبالأخص الوالدين، إظهار المحبة والتقدير لأبنائهم وإشباع حاجتهم إلى الحنان دون ربطه بالمظهر، وكذلك الزوج مع زوجته. ويصارح من يفتقد الاهتمام أهله أو زوجه: «أشعر بالوحدة، وأحتاج إلى قربكم ووقت نتحدث فيه»، بدل كتمان ألمه ومحاولة تعويضه بتغيير شكله.

وبعد هذا البيان، يتضح أن المؤمن يحتاج إلى تصحيح نظرته إلى الجمال؛ فإن كان حريصًا عليه، فليجعل أكبر اهتمامه بزينة قلبه وأخلاقه، كما روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر».[١٧٦] فبالإيمان والعفة وحسن العمل ينال الإنسان الرفعة عند الله وخير الدنيا والآخرة.

ولنا في بنات الوحي والرسالة أسوة حسنة، وفي مقدمتهن فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومن بعدها عقيلة بني هاشم زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ونساء البيت الحسيني؛ فقد تجلى جمال باطنهن في إيمانهن وصبرهن وعفافهن، وحرصهن على الستر حتى في أشد المصائب، وهي مصيبة كربلاء وما أعقبها من الأسر والسبي.

فأي عفة هذه التي لم تنكسر أمام المصائب! وفي ذلك دعوة لنا إلى الاقتداء بهن، وتربية بناتنا على الحياء والاحتشام منذ الصغر، برفق ومحبة، دون انتظار بلوغ سن التكليف، مستلهمين تربيتهن من بيت الوحي والرسالة الذي نشأت فيه صاحبة الذكرى، السيدة رقية بنت الإمام الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ فقد نقل أن عمرها ثلاث سنوات، وقيل أربع، وكانت مع الأسرى في الشام، وكانت تبكي لفراق أبيها ليلها ونهارها وكانوا يقولون لها هو في السفر، فرأته ليلة في النوم، فلما انتبهت جزعت جزعا شديدا، وقالت: ائتوني بوالدي وقرة عيني، وكلما أراد أهل البيت إسكاتها ازدادت جزعا وبكاء، ولبكائها هاج حزن أهل البيت فأخذوا في البكاء، ولطموا الخدود، وحثوا على رؤوسهم التراب، ونشروا الشعور، وقام الصياح.

فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم فقال: ما الخبر؟ قيل له: إن بنت الحسين الصغيرة رأت أباها بنومها فانتبهت وهي تطلبه وتبكي. فلما سمع ذلك قال: ارفعوا إليها رأس أبيها وحطُّوه بين يديها تتسلى به، فأتوا بالرأس في طبق مغطى بمنديل.[١٧٧]

(مجردات)

جابوه او شافتهم امن ابعيد — او صاحت هله ابراسك يلعميد

يهلال عزنه ابليلة العيد — ليش اگطعت بينه يصنديد

او عفتنه اويه ناس موش اجاويد

فوضعوه بين يديها فرفعت المنديل وضمت الرأس إلى صدرها وهي تقول: يا أبتاه من ذا الذي خضَّبك بدمائك يا أبتاه من ذا الذي قطع وريديك يا أبتاه من ذا الذي ايتمني على صغر سنى.

عودة إلى الفهرس

(مجردات)

يـــــا والـــــدي والله هظيمـه اصيـــــــر مـن صغـري يتيمـه

والنـــــــوح مـن بعـدك لجيمـه أثـاري الأبـــــو يـا نـاس خيمـه

ايفيي على ابناتـــــه او حريمه

يا أبتاه، من لليتيمة حتى تكبر، يا أبتاه من للنساء الحاسرات، من للأرامل المسبيات، يا أبتاه، من للعيون الباكيات، يا أبتاه من للضائعات الغريبات، يا أبتاه، من لنا بعدك، يا أبتاه، من لنا بعدك، يا أبتاه ليتني قبل هذا اليوم عمياء، يا أبتاه، ليتني توسدت التراب ولا أرى شيبك مخضبًا بالدماء.

ثم وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم وبكت حتى غشي عليها!!

قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: عمه زينب ارفعي اليتيمة من على رأس والدي فإنها فارقت الحياة.

(مجردات)

عمـه يزينـــــــب گومـي ليهـا شـيليها عـن راسـه وليهـا

ماتـت الطفلـــــه مـن بچيهـا واختـي انكـسر گلبـي عليهـا

فلما حركتها زينب وإذا بها قد ماتت فارتفعت الأصوات وعلا الصراخ.

قيل: وأحضر لها أهل البيت مغسلة لتغسلها، فلما جردتها عن ثيابها قالت: لا أغسلها، فقالت لها زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ولم لا تغسلينها؟ قالت: أخشى أن يكون فيها مرض، فإني أرى أضلاعها زرقا، قالت: والله ليس فيها مرض، ولكن هذا من ضرب سياط أهل الكوفة. قال في معالي السبطين: وكان متنها مجروحا من كثرة الضرب.[١٧٨]

(مجردات)

مـن جلـة الوالـــــي علـينه يضربونـه او نشـگف بدينـه

او يشـتمون حامينـه او ولينـه إتمنينـه أبـو فاضـل العينـه

ايشاهد اخلافه اشصار بينه[١٧٩]



٧ شهر صفر

ذكرى استشهاد سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
كريم أهل البيت وسيد شباب أهل الجنة (عليه السلام)

الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)

الشرفاوي

اليوم السابع من شهر صفر

المناسبة: شهادة الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر الشيخ محمد الملا الحلي

قد جلَّ رزءُ المجتبى حسنٍ ... لكن رزءَ حسينٍ قد سما رُتَبا

إن قَطَّعَ السمُّ منه في مرارته ... أحشاه والقلبُ منه كابد الوَصبا

فإنَّ حرَّ الظما من صِنوِهِ قطَّع الـ ... الأحشاءَ من حيث قد أذكى بها لهبا

وإنْ أُصيبَ له في خِنجَرٍ فَخِذٌ ... فالسبط بالباتراتِ البيضِ قد ضُربا

أو صيرت نعشَه حربٌ لأَسهمها ... مرمى ولم يرعَوُوا أو يرعَوا النسبا

فإنَّ جسمَ حسينٍ يومَ مصرعِه ... دَريَّةٌ لسهام القومِ قد نُصبا

أو أنهم سلبوا منه عَمامتَه ... فبعد قتلِ حسينٍ جسمُه سُلبا

وإنْ قضى حسنٌ ألفَتْ جنازتُه ... التشييعَ والندبَ حتى أُودِعَ التُرُبا

والسبطُ لما قضى لم يُلفِ من أحد ... سوى نساه تَصوبُ الدمعَ منسكبا

أو دفنَه القومُ تِلقا جدِّه منعوا ... وغيرُه جاور المختارَ مغتصبا

فالسبطُ عن دفنِه أعداؤُه منعوا ... حتى أقام ثلاثا بالعرا تَرِبا[١٨٠]

(نصاري)

مصـــــــــايب عـترة الهادي چثيره — بـين المـــــــــات منهـم غـرب ديـره
او بـين الـلي گضـه ابهظمـه چبـيره — او منهـم مـن تفتـت چبـده بسـموم
لاچن يـا خـــــــلگ أم الرزايه — يـوم احســـــــين واعيالـه ظمايـه
يوم اللي غـدوا كلهم ضـــــــحايه — او گلـب زينـب الحـر امجسـم اجسـوم
(يجـدي احسـينكم منحـور نحـره) — يجـدي وگطعـوا منـه خـــــــنصره
او هـاذي خيلهـم هشـمت صـدره — واعلينـه يجـــــــدي دارت الگـوم[١٨١]



عنوان المحاضرة الرابعة:

الحقوق الزوجية بين الحكم والحكمة

(الجزء الأول)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.(١٨٢)

الأسرة هي النواة التي يتكوّن منها المجتمع، وفي أحضانها ينشأ الأبناء، ويتعلّمون أساليب التعامل مع الآخرين، وتحمّل المسؤوليات. وقد جعل الله تعالى أساس بنائها زواج رجل بامرأة، يجمعهما عقد شرعي، ويتعاونان على إقامة حياة يسودها الاستقرار، وتربية أولادهما على طاعته.

ومن المؤسف أن نرى في زماننا محاولات لتغيير هذا الأساس، وتقديم ارتباط الرجل بالرجل، أو المرأة بالمرأة، على أنّه زواج تتكوّن منه أسرة؛ مع أنّ تسمية هذه العلاقات زواجًا لا تجعلها مشروعة، فاللواط والمساحقة من الكبائر التي حرّمها الله تعالى.

ولكي تستقيم الحياة الزوجية، لا يكفي أن يجتمع الزوجان تحت سقف واحد؛ إذ لكلٍّ منهما حاجاته ورغباته، وقد يختلفان في الطباع والتفكير. فلا بدّ من حقوق وواجبات تنظّم علاقتهما، وتُلزم كلًّا منهما باحترام الآخر وأداء حقوقه.

ولهذا وزّع الله تعالى الحقوق والواجبات بين الزوجين؛ فأوجب على الزوجة حقوقًا لزوجها، منها: تمكينه من نفسها في الفراش ضمن الحدود الشرعية، وعدم الخروج من بيتها دون إذنه إلّا في الموارد المستثناة شرعًا. وأوجب على الزوج حقوقًا لزوجته،

منها: النفقة، وأداء حقّها في المعاشرة الزوجية، وعدم هجرها أو إيذائها وإهانتها. فكلّ حقّ لأحدهما يقابله واجب على الآخر، وكلاهما مسؤول عن أداء ما عليه؛ وهذا ما تؤكّده الآية الكريمة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١٨٣].

ولكنّ الواقع يكشف عن معاناة في كثير من البيوت؛ فقد تشكو الزوجة من زوج يطالب بحقوقه ويهمل حقوقها، وقد يشكو الزوج من زوجة لا تؤدّي ما عليها. ومع الجهل بحدود الأحكام، والخلط بينها وبين العادات، وتأثير الخطابات التي تصوّر المرأة المسلمة مستعبدة في زواجها، تتكاثر الاعتراضات والتساؤلات.

فنسمع امرأة تقول: لماذا يجب عليّ أن أمكّن زوجي من نفسي في الفراش متى ما شاء، مع أنّني قد لا أرغب بذلك، بينما لا يستجيب هو حين أرغب أنا؟ ولماذا يجب عليّ استئذانه عند الخروج، بينما يخرج دون أن يستأذنني؟ ولماذا جُعلت سلطة الطلاق بيده دوني؟ ولماذا يجب عليّ أن أطيعه فيما يريد، بينما لا يجب عليه أن يطيعني؟

وقد يُفهم من الآية ما لا تدلّ عليه؛ فيقول أحد الأزواج: تخرج زوجتي دون إذني، وحين أبيّن لها الحكم تجيبني: مثلما تخرج أنت دون إذني، أخرج أنا دون إذنك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فلماذا تختلف حقوقنا؟

وتتساءل أخرى: لماذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؟ أليس في ذلك تفضيل للرجل وانتقاص من المرأة؟

وفي هذه المحاضرة نتناول هذه الأسئلة، ونبيّن أجوبتها وحدود الحقوق المتبادلة بين الزوجين، ونبدأ بتفسير الآية الكريمة؛ ليتّضح المقصود بالمماثلة والدرجة فيها.

المبحث الأول: فهم الحقوق الزوجية في ضوء الآية الكريمة

قبل الإجابة عن التساؤلات المتعلّقة بالحقوق الزوجية، ينبغي أن نفهم معنى الآية الكريمة، وكيف يتحقّق العدل مع اختلاف بعض الحقوق والواجبات.

فقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[١٨٤] يبيّن أنّ للمرأة حقوقًا كما أنّ

عودة إلى الفهرس

عليها واجبات. وقد ذكر الطبرسي من حقوقها حسن العشرة وترك الإضرار والنفقة والكسوة.[١٨٥]

فهل كلمة «مِثْلُ» تعني تطابق الحقوق في جميع التفاصيل؟ وما حكمة اختلاف بعضها؟ وما معنى المعروف والدرجة؟

هذا ما نبيّنه في النقاط الآتية:

أولًا: هل المماثلة تعني التطابق في جميع الحقوق؟

قد يُفهم من كلمة «مثل» أنّ حقوق الزوجين وواجباتهما يجب أن تكون متطابقة؛ فإذا وجب على الرجل الإنفاق على زوجته، وجب عليها أيضًا أن تعمل وتنفق عليه، وإذا وجب عليها استئذانه عند الخروج، وجب عليه أن يستأذنها أيضًا، وكما لا يجوز له ترك معاشرتها الزوجية أكثر من أربعة أشهر دون عذر شرعي، يكون لها أن تمتنع عن معاشرته خلال المدّة نفسها؛ ظنًّا أنّ العدالة تقتضي تطابق الحقوق والواجبات في جميع التفاصيل.

ولكن هل العدل يعني دائمًا أن نعطي الجميع الشيء نفسه، ونطلب منهم العمل نفسه؟

العدل هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه؛ ففي بعض الحالات يكون التساوي عدلًا، وفي حالات أخرى يكون الاختلاف عدلًا. ولتوضيح ذلك نذكر مثالين:

المثال الأول: اختلاف الحاجة إلى الطعام.

لو كان لدينا شخصان متساويان في حاجتهما إلى الطعام، ولهما الاستحقاق نفسه فيه، فإنّ إعطاء أحدهما حصّته وحرمان الآخر دون سبب يكون ظلمًا. فالعدل هنا يقتضي أن نساوي بينهما.

ولكن لو كان أحدهما رضيعًا والآخر بالغًا، فهل نطعمهما الطعام نفسه وبالكمية نفسها؟ أو كان أحدهما مريضًا يضرّه طعام معيّن، بينما يناسب الآخر، فهل نقدّم لهما

الطعام نفسه بحجّة المساواة بينهما؟

بالتأكيد لا؛ لأنّ المساواة هنا قد تضرّ بالمريض، فالعدل يقتضي أن نعطي كلّ واحد منهما ما يناسب صحّته وحاجته.

المثال الثاني: أسئلة الامتحان.

إذا كان الطلبة في المرحلة الدراسية نفسها، ويدرسون المادة نفسها، فالعدل يقتضي أن يُمتحنوا بأسئلة متكافئة، وأن تُصحّح إجاباتهم بالميزان نفسه، دون محاباة أحدهم.

ولكن إذا كان بعضهم يدرس الطب، وبعضهم الهندسة، وبعضهم الأدب، فهل من العدل أن نضع لهم الأسئلة نفسها؟ بالتأكيد لا؛ لأنّ كلّ مجموعة درست مواد تختلف عمّا درسته المجموعة الأخرى. فاختلاف الأسئلة هنا يحقّق العدل، بينما توحيدها قد يظلم الطلبة.

إذن، العدل لا يعني المساواة في كلّ شيء؛ فقد يقتضي المساواة حين تتشابه الأحوال، وقد يقتضي الاختلاف لمراعاة العمر أو الصحّة أو التخصص أو المسؤولية، وغيرها من الأمور التي تؤثّر في ما يستحقّه الإنسان أو يُطلب منه.

وكذلك الرجل والمرأة؛ فهما يشتركان في الإنسانية، وفي كثير من الأحكام الشرعية؛ فكلاهما مأمور بالصلاة والصيام والصدق والأمانة، وكلاهما منهيّ عن الكذب والخيانة والظلم. ولكنّ هذا الاشتراك لا يعني أنّهما متطابقان في جميع الخصائص، ولذلك لا يلزم أن تتطابق جميع واجباتهما.

فهناك فروق جسدية؛ فالرجل في الغالب أقوى عضلات وأكثر قدرة على تحمّل بعض الأعمال البدنية الشاقّة. وهناك فروق في بعض الجوانب النفسية والعاطفية؛ إذ تتميّز المرأة عادةً برقّة العاطفة وقوّة الاستجابة لحاجات طفلها. وهناك وظائف جسدية تختصّ بها المرأة؛ فهي المهيّأة للحمل والولادة والرضاعة، وما يصاحبها من تعب وحاجة إلى الراحة والرعاية.

ومن هنا نفهم أنّ مراعاة اختلاف تكوين الرجل والمرأة ومسؤولياتهما من حِكَم تكليف الرجل بالنفقة، ويظهر جانب من ذلك في أعباء الحمل والولادة والرضاعة.

عودة إلى الفهرس

وهذا يقرّب لنا كلام العلامة الطباطبائي، بما مضمونه: أنّ التساوي يتحقّق بإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.(١٨٦)

أي إنّنا لا ننظر إلى الزوجين فنقول: لا بدّ أن نطلب منهما العمل نفسه في كلّ شيء؛ بل ننظر أيضًا إلى ما يتحمّله كلّ واحد منهما، ثمّ نفهم حقوقه وواجباته ضمن مجموع المسؤوليات التي وزّعها الشرع بينهما.

ثانيًا: العدل والتكامل في توزيع المسؤوليات الزوجية

عرفنا أنّ اختلاف بعض الحقوق والواجبات لا ينافي العدل، بل قد يكون هو ما يحقّقه. وإلى جانب تحقيق العدل، يساعد توزيع المسؤوليات بين الزوجين على التكامل؛ أي أن يؤدّي كلٌّ منهما دورًا تحتاج إليه الأسرة، فيجتمع جهدهما لتوفير حاجاتها، ويساند أحدهما الآخر. واختلاف دوريهما لا يعني بمجرّده أنّ أحدهما أفضل من الآخر.

ولتقريب الفكرة، نتأمّل سُلَّمًا يتكوّن من عشر درجات؛ فهل ارتفاع الدرجة العاشرة يجعل الدرجة الأولى أقلّ أهمية؟ وهل نستطيع الاستغناء عن الدرجات التي قبلها؟ إنّ لكلّ درجة موقعًا نحتاج إليه في الصعود؛ فالأولى توصلنا إلى الثانية، والثانية إلى الثالثة، وهكذا نبلغ غايتنا بتتابعها. فاختلاف مواقعها لا يُلغي أهمية أيٍّ منها، بل تتكامل جميعها لتؤدّي الغرض من السُّلَّم.

ونرى التكامل أيضًا في الليل والنهار؛ فالنهار يتيح للناس السعي والعمل، والليل يتيح لهم السكون والراحة، وباختلافهما تنتظم حياتهم. قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.(١٨٧)

وكذلك تتكامل أعمال الناس؛ فالطبيب يحتاج إلى المعلّم الذي يعلّم أبناءه، والمعلّم يحتاج إلى المزارع الذي ينتج غذاءه، والجميع يحتاجون إلى أصحاب الحِرَف والخدمات. ولو انشغل الناس جميعًا بعمل واحد، فمن يقوم ببقية الأعمال التي تحتاج إليها حياتهم؟

وهكذا الأسرة؛ فهي تحتاج إلى تأمين الطعام واللباس والمسكن، وإلى رعاية الأطفال وتربيتهم، والاهتمام بالمريض ومساندة المتعب. وتوزيع المسؤوليات يتيح للزوجين التعاون على هذه الحاجات، بحيث يسند جهدُ أحدهما جهدَ الآخر، ويقدّر كلٌّ منهما ما يقدّمه شريكه. أمّا إذا انشغل كلّ واحد بنفسه، وترك الآخر يتحمّل الأعباء وحده، فإنّ هذا التعاون يضعف، وتزداد مشقّة الحياة عليهما.

ثالثًا: ما المقصود بقوله تعالى: «بالمعروف»؟

بيّن صاحب «مختصر الأمثل» معنى المعروف بقوله: «الأعمال الحسنة المعقولة والمنطقية».[١٨٨]

ونقصد بها التصرّفات الطيّبة التي يقبلها العقل السليم، وتناسب الموقف، وتراعي حاجة الطرف الآخر وظروفه وقدرته؛ فمساعدة المريض ومراعاة المتعب تصرّف حسن ومعقول، أمّا مطالبة المريض بما يعجز عنه، ثمّ لومه على عدم فعله، فتصرّف لا يقبله العقل السليم.

وهكذا ينبغي أن يعامل كلٌّ من الزوجين الآخر؛ فإذا مرضت الزوجة، راعى الزوج مرضها وأعانها، وإذا عاد الزوج متعبًا، راعت الزوجة تعبه واختارت الوقت المناسب لمناقشة ما يمكن تأجيله. وإذا وقع خلاف بينهما، استمع كلٌّ منهما إلى الآخر، وناقشا المشكلة دون سبّ أو تحقير، وسعيا إلى حلّ منصف.

ولا يقتصر حسن التعامل على مراعاة الظروف، بل يشمل طريقة أداء الحقوق والمطالبة بها؛ فالزوج الذي ينفق على زوجته ثمّ يعيّرها بنفقته، والزوجة التي تؤدّي واجباتها ثمّ تتعمّد إهانة زوجها، كلاهما يحتاج إلى إصلاح معاملته؛ لأنّ أداء الواجب لا يبرّر الإساءة. فالمطلوب أن تُؤدّى الحقوق وتُطلب بطريقة تحفظ كرامة الطرفين وتعين على استقرار حياتهما.

وقد تختلف بعض صور التعامل باختلاف أحوال الناس وأعرافهم الصحيحة، لكنّ شيوع عادة ظالمة لا يجعلها معروفًا؛ فالإهانة وأكل الحقوق لا يصبحان مقبولين

عودة إلى الفهرس

لأنّ الناس اعتادوهما. قال تعالى:[وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ].[١٨٩]

ومن هنا ينبغي أن يسأل كلٌّ من الزوجين نفسه: هل أؤدّي حقّ الآخر بطريقة تحفظ كرامته؟ وهل أطلب حقّي بإنصاف؟ وهل أراعي مرضه وتعبه وقدرته؟ فهذه المعاني تجعل المعرفة بالحقوق سببًا لاستقرار البيت وحسن العشرة.

رابعًا: ما معنى الدرجة؟ وهل تدلّ على انتقاص المرأة؟

قد تعترض بعض النساء فتقول: لماذا فضّل الله تعالى الرجل على المرأة، وجعل له درجة عليها بقوله:﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[١٩٠]، أليس في ذلك انتقاص من المرأة؟

وينشأ هذا الاعتراض من فهم «الدرجة» بمعنى الأفضلية وعلوّ المنزلة؛ فتُفهم الآية على أنّ الرجل أفضل من المرأة عند الله لمجرّد كونه رجلًا. وللإجابة، ينبغي أن نميّز بين منزلة الإنسان عند الله، وبين ما له من حقوق ومسؤوليات في الحياة الزوجية.

فالرجل والمرأة يشتركان في أصل الإنسانية والخِلقة، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.[١٩١] فالخطاب موجّه إلى الناس جميعًا، ويذكّرهم بأصلهم الواحد، فلا يصحّ أن يتّخذ الرجل جنسه سببًا لاحتقار المرأة أو الانتقاص من إنسانيتها.

وقد يُقال: إنّ آدم خُلق من طين، بينما خُلقت حوّاء من ضلع آدم الأيسر، فيُتّخذ ذلك دليلًا على أنّ المرأة أقلّ منزلة منه. ولكنّ هذا التصوير لخلق حوّاء ورد إنكاره في رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد رُوي عن زرارة أنّ الإمام سُئل عن قول أناس إنّ الله خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فأنكر ذلك وقال: «أيقول من يقول هذا إنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه؟».[١٩٢]

ومهما يكن البحث في تفاصيل روايات الخِلقة، فلا يصحّ أن نجعل منها دليلًا على أنّ كلّ رجل أكرم عند الله من كلّ امرأة؛ فالقرآن بيّن ميزان الكرامة بقوله:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.[١٩٣]

فقد تكون الزوجة أتقى من زوجها، وأصدق وأحرص على أداء الحقوق، فتكون أكرم منه عند الله. وقد يكون الزوج أتقى منها، فيكون أفضل بتقواه وعمله، لا بمجرّد كونه رجلًا. ويؤيّد ذلك ما رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «المرأة الصالحة خيرٌ من ألف رجلٍ غير صالح».[١٩٤] فالذكورة وحدها لا ترفع منزلة الإنسان عند الله، والأنوثة لا تنقصها.

إذن ما المقصود بالدرجة؟

ذكر العلماء في تفسيرها وجوهًا، نتوقّف عند وجهين منها:

١. التفضّل بالعفو والصفح

نقل الشيخ الطبرسي عن ابن عباس تفسير الدرجة بالتفضّل في المعاملة؛ أي ألّا يستوفي الزوج جميع حقوقه من زوجته، بل يتسامح ويعفو عن بعض التقصير.[١٩٥] فمثلًا، إذا بدر منها كلام أساء إليه، ثمّ اعتذرت، قَبِل اعتذارها ولم يبقَ يذكّرها بإساءتها ويعاتبها عليها.

وتؤيّد فضلَ العفو في الحياة الزوجية روايةُ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حقّ المرأة على زوجها: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها». وورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كانت امرأة عند أبي عَلَيْهِ السَّلَامُ تؤذيه فيغفر لها».[١٩٦]

فالزوج يُدعى إلى حسن المعاملة؛ فيقدّر ظروف زوجته، ويصفح عمّا يحتمل الصفح، ولا يجعل كلّ هفوة سببًا للخصام. فإذا قصّرت في أمر بسبب تعب أو انشغال، لم ينسَ ما قدّمته من إحسان، ولم يحتفظ بأخطائها ليعيّرها بها. والعفو لا يمنع معالجة الأخطاء، وإنّما يدعو إلى معالجتها بحكمة، دون تشهير أو إذلال.

وهذا لا يعني أنّ العفو فضيلة تختصّ بالرجل؛ فقد أشار الشيخ حسن الجواهري إلى أنّ الزوجة إذا عفت عن تقصير زوجها في أداء حقوقها، كان لها فضل عليه أيضًا.[١٩٧] وإنّما يتوجّه هذا التفسير للآية إلى حثّ الزوج على التفضّل في معاملة زوجته.

٢. القيام بالنفقة والرعاية

نقل الشيخ الطبرسي عن الزجّاج أنّ الفضل مرتبط بنفقة الزوج وقيامه بشؤون زوجته؛ أي بما يقدّمه لها من نفقة ورعاية.(١٩٨)

وربط السيد عبد الأعلى السبزواري الدرجة بالقوامة، موضّحًا أنّ الأسرة تحتاج إلى من يتحمّل مسؤولية الإنفاق والحماية والقيام بمصالحها، وقد جعل الإسلام هذه المسؤولية للرجل، وجعل له منزلة تتناسب معها.(١٩٩)

ولتقريب معنى الفضل في هذين الوجهين: لو أساء شخص إلى آخر، فعفا عنه مع قدرته على المطالبة بحقّه، قيل للمسيء: «له فضل عليك بعفوه عنك». وكذلك من ينفق على إنسان ويرعاه، يكون له فضل عليه بما يقدّمه له. فالدرجة هنا تُفهم من جهة العفو أو الرعاية، ولا تعني أنّ صاحبها أفضل من الآخر في كلّ شيء.

فالدرجة، وفق هذا البيان، ترتبط بما يتحمّله الزوج من مسؤوليات وما له من حقوق في الحياة الزوجية، ولا تعني أنّه أكرم عند الله من زوجته لمجرّد كونه رجلًا؛ فقد تكون هي أتقى منه وأرفع منزلة عند الله.

ولكن هل القوامة تعني أنّ للزوج أن يتسلّط على زوجته ويلغي إرادتها؟ هذا ما نوضّحه في النقطة الآتية.

خامسًا: بيان معنى القوامة وحدودها

بعد أن عرفنا أنّ الدرجة لا تثبت تفوّق كلّ رجل على كلّ امرأة عند الله، قد يُقال: ولكن أليست القوامة في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(٢٠٠) تعني تسلّط الزوج وإلغاء إرادة زوجته؟

ولكنّ هذا الفهم لا يوافق الحدود الشرعية لحقوق الزوج. فقد بيّن مكتب السيد السيستاني أنّ القوامة تعني تكفّل أمور الزوجة المعيشية والاعتناء بشؤونها بحسب مصلحتها، ولا تعني إلغاء إرادتها في نفسها وأموالها، أو وجوب تنفيذ جميع أوامره ونواهيه؛ فحقوقه محدّدة شرعًا، وفيما عداها ليست ملزمة باتّباع رأيه.(٢٠١)

فليس له أن يستولي على مالها بحجّة القوامة، أو يمنعها من إبداء رأيها، أو يطالبها بالطاعة المطلقة. وعليه أن يتحمّل مسؤوليته ويؤدّي حقوقها، مع التفاهم واحترام شخصيتها.

وبذلك يتّضح أنّ اختلاف بعض الحقوق لا يبيح الظلم، وأنّ الدرجة والقوامة لا تُتّخذان ذريعة لامتهان المرأة. ومن هذا الأساس ننتقل إلى الأسئلة المتعلّقة بالاستئذان والمعاشرة والطلاق، لنعرف حكم كلّ مسألة وحدودها.

المبحث الثاني: الإجابة عن التساؤلات المتعلّقة بالحقوق الزوجية

تُطرح تساؤلات عديدة حول الحقوق الزوجية، وسنجيب في هذه المحاضرة عن ثلاثة منها: لماذا يجب على الزوجة استئذان زوجها عند الخروج؟ ولماذا يجب عليها تمكينه من نفسها في الفراش متى شاء؟ ولماذا جُعل الطلاق بيد الزوج؟ ونترك الإجابة عن تساؤلات أخرى إلى محاضرة في الجزء الثالث من كتاب «زاد المبلّغات»، بإذن الله تعالى.

وقبل الإجابة، ينبغي أن نلتفت إلى أنّ ما نذكره من حِكَم هذه الأحكام قد يقرّب لنا فهمها، ولكنّه لا يعني أنّنا عرفنا جميع أسباب تشريعها؛ فالله تعالى هو العالم بها على وجهها الكامل. ولهذا لا يصحّ أن نجعل الحكمة التي نفهمها السبب الوحيد للحكم، أو نحكم بزواله إذا لم نجدها في بعض الحالات.

وفيما يأتي نناقش هذه التساؤلات في ثلاثة مطالب، نعرض في كلّ مطلب السؤال وجوابه، مع بيان الحكم الشرعي وحدوده وما يمكن فهمه من حكمته.

المطلب الأول: الردّ على مسألة الاستئذان من الزوج

تسأل بعض النساء: لماذا يجب على الزوجة استئذان زوجها عند الخروج، بينما يخرج الزوج دون أن يستأذنها؟

الجواب: نبدأ ببيان آراء الفقهاء في خروج الزوجة الدائمة من بيتها دون إذن

زوجها؛ إذ توجد في المسألة ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وجوب الاستئذان إذا كان الخروج ينافي حقّ الزوج

يرى أصحاب هذا الرأي أنّه يجب على الزوجة استئذان زوجها عند الخروج إذا كان خروجها يتنافى مع حقّه في الاستمتاع بها، أمّا إذا لم يتنافَ معه، فلا يجب عليها الاستئذان، وإن كان أحوط استحبابًا. ومن أصحاب هذا الرأي السيد محمود الهاشمي الشاهرودي رحمه الله.[٢٠٢]

الرأي الثاني: وجوب الاستئذان عند المنافاة، والاحتياط الوجوبي عند عدمها

يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الزوجة لا يجوز لها الخروج دون إذن زوجها إذا كان خروجها ينافي حقّه في الاستمتاع، ويحتاطون وجوبًا في عدم خروجها دون إذنه حتى إذا لم ينافِ هذا الحقّ.

وهذا رأي السيد أبي القاسم الخوئي في رسالته العملية؛ فالمنع عند منافاة الخروج لحقّ الزوج فتوى، وأمّا عند عدم المنافاة فهو احتياط وجوبي.[٢٠٣]

الرأي الثالث: وجوب الاستئذان سواء نافى الخروج حقّ الزوج أم لم ينافه

يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الزوجة لا يجوز لها الخروج دون إذن زوجها، سواء أكان خروجها منافيًا لحقّه في الاستمتاع أم لم يكن، والحكم في الحالتين فتوى، وليس احتياطًا وجوبيًّا.

وهذا رأي سماحة السيد علي السيستاني دام ظلّه.[٢٠٤] والمقصود هنا أنّ الحكم لا يختصّ بالخروج المنافي لحقّ الاستمتاع، مع بقاء الاستثناءات الشرعية التي سنذكرها لاحقًا.

وعلى كلّ زوجة أن تعمل وفق فتوى المرجع الذي تقلّده، وألّا تخلط بين فتوى مرجعها ورأي مرجع آخر؛ فالرجوع في موارد الاحتياط الوجوبي له ضوابطه الشرعية

أمّا وجوب استئذان الزوجة زوجها عند الخروج، فيمكن أن نفهم بعض حِكَمه،

ونذكر منها ما يأتي:

١. تنظيم شؤون الأسرة واحترام المسؤولية

من الحِكَم التي يمكن فهمها من الاستئذان تنظيم شؤون الأسرة، واحترام مسؤولية الزوج في رعايتها وحمايتها. وقد ذكرنا أنّ الحياة الزوجية تحتاج إلى من يتحمّل مسؤولية الإنفاق والحماية والقيام بمصالح الأسرة، وربط ذلك بقوامة الرجل.

فالزوجان يتعاونان ويتشاوران في شؤون بيتهما، ولكنّ تنظيم الحياة المشتركة يحتاج إلى جهة تتولّى إدارتها؛ لأنّ اختلاف القرارين قد يوقعهما في النزاع، إذا أصرّ كلٌّ منهما على أمر يخالف ما يريده الآخر. وكما تحتاج السفينة إلى ربّان يتولّى قيادتها، تحتاج الأسرة إلى من يتحمّل مسؤولية إدارتها، مع التشاور والتعاون.

ولتقريب الفكرة، ننظر إلى شركة أسّسها شخصان، ثمّ اختارا أحدهما لإدارتها، ووضعا نظامًا يحدّد واجبات الجميع. فالمدير ملزم بأداء عمله واحترام حقوق العاملين، والعاملون ملزمون بأعمالهم وبنظام المؤسّسة. وإذا اقتضى النظام أن يستأذن الموظّف قبل مغادرة العمل، وجب عليه الالتزام بذلك، وإن لم يكن المدير مطالبًا باستئذانه عند خروجه.

فلو غادر الموظّف دون إذن، عُدّ مخالفًا لنظام العمل، ولا يعني ذلك أنّه أقلّ كرامة من المدير، بل إنّ اختلاف المسؤوليات يقتضي اختلاف بعض الواجبات. والمقصود من المثال توضيح هذه الفكرة؛ فالزوجة شريكة حياة، وليست موظّفة عند زوجها.

وهنا نتساءل: الزوجة الموظّفة قد تستأذن مديرها عند الخروج، ولا ترى في ذلك إهانة، بل التزامًا بنظام العمل؛ فلماذا تستكثر الاستئذان من زوجها، وتراه انتقاصًا منها؟ إنّ الاستئذان في نفسه لا يُهين الإنسان، والالتزام بالحكم الإلهي أولى بالاحترام والتسليم.

كما أنّ معرفة الزوج بخروج زوجته وموعد عودتها قد تساعده على الاطمئنان عليها وحمايتها؛ فإذا تأخّرت، سأل عنها وسعى إلى مساعدتها عند الحاجة. وهكذا يمكن أن نفهم الاستئذان في إطار تنظيم شؤون الأسرة واحترام المسؤولية، دون أن

عودة إلى الفهرس

نجعله مقياسًا لقيمة أحد الزوجين أو كرامته.

٢. عدم وجوب الاستئذان لا يُسقط واجبات الزوج

قد يُعتقد أن عدم وجوب استئذان الزوج يعني أنّه يتصرّف دون مراعاة زوجته. ولكن عدم وجوب استئذانه منها في الخروج لا يعني إعفاءه من واجباته تجاهها. فلا يجوز له أن يظلمها أو يؤذيها، أو يهجرها هجرًا يجعلها كالمعلّقة.[٢٠٥]

ومن حسن التعامل أن يخبرها بخروجه وتأخّره، ويتّفق معها على ما يتعلّق بشؤونهما المشتركة؛ حتى لا يتركها قلقة أو يربك التزامات الأسرة. وهذا من التواصل وحسن العشرة، وإن لم يكن استئذانًا واجبًا بالصورة نفسها المفروضة عليها.

كما ينبغي للزوجين الاتفاق على ترتيب مناسب للخروج والزيارات والحاجات المعتادة، بدل أن يتحوّل كلّ خروج إلى خصومة أو اختبار للطاعة.

٣. الشريعة لم تحرّم على المرأة الخروج دون إذن الزوج مطلقًا

وجوب الاستئذان لا يشمل جميع الحالات؛ فمن الحالات التي يجوز فيها الخروج، وفق فتاوى السيد السيستاني وبحسب شروطها، ما يأتي:

أ. أداء واجب يتوقّف على الخروج

ليس للزوج منع زوجته من الخروج لأداء واجب عليها، كحجّة الإسلام عند تحقّق شروطها. نعم، يجوز له منعها من الخروج في أوّل الوقت إذا كان الوقت يتّسع لتأخير الخروج وأداء الحجّ.[٢٠٦]

ب. صلة الرحم التي تحتاج إلى الحضور

سُئل مكتب السيد السيستاني: إذا منع الزوج زوجته من صلة أرحامها، فهل يجوز لها الخروج دون إذنه؟

فأجاب: «يجوز لها الخروج إذا توقّف صدق صلة الرحم عليه عرفاً».[٢٠٧]

أي إذا لم يكفِ الاتصال ونحوه لتحقيق الصلة بحسب حال القريب وظروفه، واحتاجت الصلة إلى حضورها.

ج. دفع الضرر أو الحرج الشديد

إذا كان الزوج يؤذي زوجته، جاز لها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعي. وإذا لم يتيسّر لها ذلك، وكان بقاؤها في البيت يسبّب لها ضررًا أو مشقّة شديدة لا تُتحمّل عادةً، جاز لها الخروج.[٢٠٨]

د. الاضطرار إلى تحصيل المعيشة

إذا امتنع الزوج عن النفقة المستحقّة، ولم تتمكّن الزوجة من أخذها من ماله أو استيفائها عن طريق الحاكم الشرعي، واضطرّت إلى العمل لتأمين معيشتها، لم تجب عليها طاعته حال اشتغالها بذلك.[٢٠٩]

٤. لا يجوز استعمال الحقّ للإضرار بالزوجة

قد تقول الزوجة: إنّ زوجي يضيّق عليّ في الخروج، ويمنعني من قضاء حاجاتي، بل يثير المشكلات حتى إذا خرجتُ لضرورة يجوز معها الخروج دون إذنه؛ فكيف أتعامل مع ذلك؟

والجواب: إنّ الشريعة حين أعطت الزوج هذا الحقّ، أوجبَت عليه حسن المعاشرة، ولم تُبِح له إيذاء زوجته أو ظلمها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[٢١٠]

وقد بيّن السيد السيستاني أنّ الإذن بزيارة الأقارب وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم يجب بمقدار ما يقتضيه الإمساك بالمعروف.[٢١١] فليس كلّ منع يصدر من الزوج موافقًا للشرع، وليس له أن يمنعها ممّا يجوز لها الخروج لأجله دون إذنه.

وهنا ينبغي التفريق بين الحكم الشرعي وطريقة تطبيقه؛ فإذا أساء الزوج استعمال حقّه، فالخلل في تصرّفه، ولا يصحّ أن تُنسب إساءته إلى الإسلام. كما أنّ مطالبة الزوجة بالاستئذان لا تعني مطالبتها بالسكوت عن الظلم. وعند الخلاف في حكم حالة معيّنة، يرجعان إلى جهة شرعية موثوقة.

عودة إلى الفهرس

٥. إمكان الخروج دون استئذان متجدّد

أتاحت الشريعة للزوجين الاتفاق على طريقة لا تحتاج معها الزوجة إلى طلب الإذن في كلّ مرّة؛ فيجوز أن يوكّلها الزوج في الإذن لنفسها بالخروج متى شاءت. ومعنى ذلك أنّها تستطيع، بموجب هذه الوكالة، أن تأذن لنفسها بالخروج دون أن ترجع إليه كلّ مرّة. وإذا كانت الوكالة ضمن عقد لازم، كعقد الزواج، فلا يجوز له عزلها عنها.[٢١٢]

وكذلك إذا اشترطت عليه ضمن عقد الزواج أن تستمرّ في وظيفتها خارج البيت، أو اتّفقا على ذلك قبل العقد ثمّ عقدا الزواج على أساس هذا الاتفاق، فلها إلزامه بالوفاء بالشرط.[٢١٣]

وبذلك يمكن للزوجين تنظيم الخروج والعمل باتفاق واضح، يراعي حاجاتهما ويحفظ حقوقهما.

المطلب الثاني: التمكين في الفراش وحقّ الزوجة في المعاشرة

قد تسأل بعض النساء: لماذا يجب على الزوجة أن تمكّن زوجها من نفسها في الفراش متى شاء، مع أنّها قد لا ترغب بذلك في بعض الأحيان، بينما قد تطلب هي المعاشرة فلا يستجيب لها؟

ونجيب عن ذلك بالنقاط الآتية:

١. مراعاة اختلاف الحاجة وتحقيق العفاف

من الحِكَم التي يمكن فهمها من هذا الحكم مراعاة الاختلاف بين الرجل والمرأة في الحاجة الجنسية؛ فقد ذكرت بعض كتب علم النفس أنّ الرغبة الجنسية لدى الرجال تكون، في المتوسّط، أقوى منها لدى النساء.[٢١٤]

ومن هنا يمكن فهم جانب من حكمة التأكيد على تلبية حاجة الزوج وعدم تعمّد تعطيل حقّه؛ فالمعاشرة بالحلال تعين على العفاف، وتخفّف الحرمان، وتقوّي

الاستقرار بين الزوجين. وفي المقابل، لا يصحّ الاستناد إلى هذا الفرق لإهمال حاجة المرأة؛ فقد تكون حاجتها شديدة أيضًا، وقد بيّنت الشريعة حقّها.

٢. أداء الحقّ طاعةٌ يؤجر عليها الزوجان

إنّ الزوجة حين تؤدّي حقّ زوجها امتثالًا لأمر الله تعالى، فإنّها تؤدّي عملًا تؤجر عليه، وليست العلاقة الزوجية مجرّد إشباع رغبة؛ فقد تكون سبيلًا إلى طاعة الله، وتقوية المحبّة بين الزوجين، وإعانة كلٍّ منهما الآخر على العفاف.

وقد رُوي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها».[٢١٥] والمقصود طلب رضاه في حدود طاعة الله وأداء الحقوق.

وكذلك الزوج يؤجر على إقباله على زوجته؛ فقد ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ائتِ أهلك تؤجر».[٢١٦] وورد في رواية الحولاء، التي شكت إعراض زوجها عنها، الترغيب بإقباله عليها وبيان ما يناله من الأجر والمغفرة.[٢١٧] فالروايات تدعو الزوج أيضًا إلى الاهتمام بهذه العلاقة، ولا تجعلها واجبًا على المرأة وحدها.

٣. للزوجة حقٌّ لا يجوز إهماله

ليس صحيحًا أنّ الإسلام أوجب على الزوجة مراعاة حاجة زوجها، وأباح له حرمانها من حقّها. فقد بيّن السيد السيستاني أنّه لا يجوز ترك مقاربة الزوجة الشابّة أكثر من أربعة أشهر، إلّا في الحالات المستثناة، كوجود عذر شرعي أو رضاها.[٢١٨]

وإذا كانت لا تقدر على الصبر إلى أربعة أشهر، وخاف الزوج وقوعها في الحرام إن لم يقاربها، فالأحوط وجوبًا أن يبادر إلى مقاربتها قبل تمام المدّة، أو يطلّقها ويخلّي سبيلها.[٢١٩] فالأربعة أشهر ليست إذنًا له بإهمال حاجتها ومشاعرها، أو اتّخاذ الحرمان وسيلة لمعاقبتها؛ بل تبقى معاشرتها بالمعروف واجبة عليه.

كما أنّ حسن الحياة الزوجية يحتاج إلى أكثر من معرفة أقلّ الواجب؛ فينبغي أن يصارح كلٌّ منهما الآخر بحاجته، وأن يحرص كل منهما على أن تكون المعاشرة مصدر مودة واطمئنان لكليهما.

عودة إلى الفهرس

٤. الهجر له معالجة شرعية

إذا قصّر الزوج في حقّ زوجته، فلها مطالبته به، ووعظه وتحذيره من مخالفته. وإذا لم ينفع ذلك، فلها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعي.

وإذا هجرها هجرًا كليًّا، فصارت كالمعلّقة، لا تعيش حياة الزوجة ولا تستطيع الزواج من غيره، فإنّ الحاكم الشرعي يلزمه بالعدول عن هجرها أو طلاقها. وإذا امتنع، وتعذّر إجباره بعد الإجراءات الشرعية المذكورة، جاز للحاكم أن يطلّقها بطلبها.[٢٢٠] فالشريعة لم تترك الزوجة المهجورة دون طريق للمطالبة بحقّها.

٥. التمكين له حدود وأعذار

وجوب التمكين لا يعني وجوب الاستجابة لكلّ طلب مهما كانت حال الزوجة؛ فقد قيّد السيد السيستاني هذا الحقّ بعدم وجود عذر شرعي.[٢٢١]

ومن ذلك حرمة الجماع في القُبُل حال الحيض والنفاس، وحرمة الجماع نهار الصوم الواجب المعيّن، وما يحرم من الاستمتاعات حال الإحرام.[٢٢٢]

وكذلك لا يجوز تجاهل خطر المرض؛ فقد بيّن السيد السيستاني، في أحكام مرض الإيدز، أنّ الزوجة السليمة تمتنع عن المقاربة التي تنقل إليها العدوى، بحسب التفصيل المذكور في الاستفتاء.[٢٢٣] فلا يصحّ أن يُعرض حقّ الزوج وكأنّه يبيح الإضرار بصحّة زوجته.

٦. خطورة الامتناع دون عذر وآثاره

إذا امتنعت الزوجة عن أداء حقّ زوجها دون عذر شرعي، فإنّها تتحمّل إثم امتناعها، وينبغي أن تنتبه أيضًا إلى ما قد يترتّب على تصرّفها من آثار؛ فالإنسان قد يُحاسَب على التسبّب في المعصية، وإن لم يباشرها بنفسه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾.[٢٢٤]

ورُوي عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول:

«يُحشر العبد يوم القيامة وما نَدِيَ دمًا، فيُدفع إليه شبه المِحجمة أو فوق ذلك، فيُقال

له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ، إنّك تعلم أنّك قبضتني وما سفكت دمًا، فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنُقلت حتى صارت إلى فلان الجبّار، فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه».[٢٢٥]

فهذا الإنسان لم يقتل بيده، ولكنّه حُمّل نصيبًا من المسؤولية بسبب نقله الكلام الذي أدّى إلى القتل. وعليه، فإذا ثبت أنّ امتناع الزوجة دون عذر شرعي كان تسبّبًا محرّمًا في وقوع زوجها في المعصية، فإنّها تتحمّل نصيبًا من إثم تلك المعصية بسبب تسبّبها فيها، مع بقاء مسؤوليته عن ارتكابها.

المطلب الثالث: لماذا جُعل الطلاق بيد الزوج؟

قد تسأل بعض النساء: لماذا جُعل الطلاق بيد الزوج دون الزوجة؟ وهل يعني ذلك أنّه أفضل منها؟ ولماذا يمتنع بعض الأزواج عن الطلاق، ويتركون زوجاتهم معلّقات، أو يضغطون عليهنّ للتنازل عن مهورهنّ مقابل الانفصال؟

وللإجابة، ينبغي أن نميّز بين أمرين: جعل الطلاق بيد الزوج، وبين إساءة بعض الأزواج استعمال هذا الحقّ. فثبوت الحقّ لا يعني جواز الظلم، كما أنّ اختلاف الحقوق لا يعني أنّ أحد الزوجين أكرم عند الله من الآخر؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[٢٢٦]

ونبيّن الجواب في النقاط الآتية:

١. مراعاة التأثّر العاطفي

من الحِكَم التي تُذكر في هذا المجال مراعاة قوّة الجانب العاطفي لدى المرأة؛ فقد يدفعها اشتداد الانفعال أثناء الخصومة إلى طلب الطلاق، ثمّ تهدأ وتتراجع عن طلبها. فمثلًا، قد تسمع من زوجها كلمة تسيء إلى أهلها، فتقول في لحظة غضب: «طلّقني»، مع أنّها بعد هدوئها ترغب في استمرار حياتها.

ومن هنا يُطرح احتمال أنّ جعل الطلاق بيدها على نحو الاستقلال قد يزيد حالات

الانفصال المتأثّرة بانفعال عابر.

٢. تحمّل الالتزامات المالية وما يدعو إليه من التروّي

ومن الحِكَم المحتملة أنّ الزوج يتحمّل المهر والنفقة وتأمين المسكن، وقد تدعوه هذه الالتزامات إلى التفكير في عواقب الانفصال. فحين يفكّر في الطلاق، يتذكّر ما يستحقّ عليه من مهر مؤجّل، وما يستمرّ عليه من نفقة الأولاد، وما سيحتاج إليه من مهر ونفقات إذا أراد الزواج مجدّدًا؛ فيكون ذلك دافعًا إلى التروّي ومحاولة الإصلاح قبل إنهاء العلاقة. وهذا لا يضمن تأنّي كلّ زوج، لكنّه قد يكون عاملًا يساعد على ذلك.

٣. تستطيع الزوجة اشتراط الوكالة في الطلاق

لم تُغلق الشريعة أمام المرأة طريق الاتفاق على أن تكون وكيلة في تطليق نفسها. فيجوز أن تشترط ضمن عقد الزواج أن تكون وكيلة عن الزوج في طلاق نفسها متى شاءت، أو عند تحقّق شروط محدّدة يتّفقان عليها.

وقد سُئل مكتب السيد السيستاني عن زوج وكّل زوجته في طلاق نفسها، ثمّ أراد إلغاء الوكالة، فبيّن جواز إلغائها إلّا إذا كانت بالصورة المشروطة ضمن العقد المذكورة في الجواب؛ ففي هذه الصورة لا يمكنه إلغاؤها.[٢٢٧]

٤. للزوجة الرجوع إلى الحاكم الشرعي عند تضييع حقوقها

كون الطلاق بيد الزوج لا يبيح له منع حقوق زوجته والإصرار على إبقائها في عصمته. وقد بيّن السيد السيستاني طريق الرجوع إلى الحاكم الشرعي في حالات، منها:

- امتناع الزوج عن الإنفاق، مع مراعاة تفصيل حال قدرته وعجزه.
- إيذاؤها وظلمها وعدم معاشرتها بالمعروف.
- هجرها هجرًا كلّيًّا يجعلها كالمعلّقة.

وفي هذه الحالات يتّخذ الحاكم الإجراءات المناسبة لإلزام الزوج بأداء الحقّ أو الطلاق، وقد ينتهي الأمر إلى طلاق الحاكم بطلب الزوجة، عند تحقّق الشروط وتعذّر المعالجة والإجبار بحسب كلّ حالة.[٢٢٨] فليس كلّ خلاف موجبًا لذلك، ولكنّ الزوجة المظلومة ليست محرومة من المطالبة بحقّها.

٥. حقّ الطلاق لا يبيح الإضرار بالزوجة أو العبث بحياتها

قد تقول امرأة: إنّ زوجي لا يعاشرني بالمعروف، ولا يطلّقني، بل يتركني معلّقة، ويضغط عليّ حتى أتنازل عن حقوقي. وقد تقول أخرى: إنّه يهدّدني بالطلاق عند كلّ خلاف، فأعيش قلقة على نفسي وأولادي.

والجواب: إنّ الشريعة حين جعلت الطلاق بيد الزوج، لم تُبِح له استعماله للإيذاء والتهديد، أو إبقاء زوجته بقصد التضييق عليها. قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.[٢٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾.[٢٣٠]

فالمطلوب أن يعاشرها بالمعروف، أو يفارقها بإحسان، لا أن يجعل استمرار الزواج وسيلة لتعذيبها وانتزاع حقوقها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.[٢٣١]

وقد بيّن السيد السيستاني أنّ الزوج إذا ترك بعض حقوق زوجته الواجبة، أو آذاها، فبذلت مالًا ليؤدّي حقّها، أو يكفّ عن إيذائها، أو يطلّقها لتتخلّص منه، حَرُم عليه ما بذلت، وإن لم يكن يقصد دفعها إلى البذل.[٢٣٢]

ورُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإنّ الله ورسوله بريئان ممّن أضرّ بامرأته حتى تختلع منه».[٢٣٣]

كما حذّرت الروايات من التلاعب بالزواج والطلاق؛ فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما من شيء ممّا أحلّه الله عزّ وجلّ أبغض إليه من الطلاق، وإنّ الله يبغض المطلاق الذوّاق».[٢٣٤] أي من يُكثر الزواج والطلاق طلبًا للتنقّل والتجربة، دون مراعاة لما يتركه من آثار في حياة الآخرين.

وهنا قد يقول قائل: إذا كانت الروايات تذمّ «المطلاق الذوّاق»، فكيف نسمع عبر بعض وسائل الإعلام أنّ صاحب هذه الذكرى، الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان مزواجًا مطلاقًا؟

وقد استند بعضهم إلى روايات، منها ما رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «إن عليا قال وهو على المنبر: لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق، فقام رجل من همدان فقال: بلى والله لنُزوِّجنَّه وهو ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وابن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن شاء أمسك وإن شاء طلق».[٢٣٥]

والجواب: إنّ وجود الرواية في أحد كتب الحديث لا يكفي لإثبات الفهم الذي يُروَّج لها؛ بل ينبغي النظر في معناها ومقارنتها بسائر الأدلّة، قبل اتّخاذها وسيلة للطعن في الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ناقش علماؤنا هذه الأخبار، ورفضوا تصوير الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنّه اتّخذ كثرة الطلاق أسلوبًا لحياته، كما استشكلوا ما تنسبه إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من تحذير الناس من تزويج ولده على المنبر.[٢٣٦]

وهنا نتساءل: لماذا يحذّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الناس من تزويج ولده أمام الملأ، بدل أن ينصحه فيما بينه وبينه؟ وإذا كان قد نصحه، فهل يُعقل أنّ الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يستجب لنصح أبيه، حتى اضطرّ إلى إعلان ذلك للناس؟ إنّ هذا التصوير لا ينسجم مع ما نعتقده من عصمة الإمامين ومقامهما؛ ولذلك لا يصحّ عرضه وكأنّه حقيقة ثابتة لا تقبل المناقشة.

كما ينبغي التفريق بين تعدّد الزواج أو وقوع الطلاق لأسباب مقبولة، وبين التلاعب بالحياة الزوجية طلبًا للتنقّل والتجربة. فالأوّل لا يثبت الثاني، ولا يجوز إدخال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في عنوان «المطلاق الذوّاق» بمجرّد جمع أخبار الزواج والطلاق دون تحقيق.

ولهذا ناقش باحثو الإمامية هذه الأخبار من جهة أسانيدها ومضامينها، وبيّنوا أنّ الاستدلال بها على هذه الصورة المسيئة للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس أمرًا مسلّمًا.[٢٣٧] فالمقطوع به عندنا عصمته وطهارته، ولا تُنقض هذه المعرفة بفهم متنازع فيه لرواية،

أو بأخبار تُتداول دون تدقيق.

لقد ظُلم الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته، واستمرّ ظلمه بما يُنسب إليه بعد شهادته؛ فكم من كلمة شوّهت سيرته، وكم من رواية استُعملت للانتقاص من مقامه! ولم تقف مظلوميته عند الكلام؛ فقد واجه الخذلان والغدر، حتى امتدّت يد الغدر إلى داخل داره، ووصل إليه السمّ على يد زوجته جعدة بنت الأشعث.

وهنا نصل إلى مصيبته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما نُقل في دسّ السمّ إليه:

قال المازندراني: «إن معاوية بذل لجعدة بنت الأشعث عشرة آلاف دينار وقطاعات كثيرة من سواد الكوفة، وحمل إليها سما فجعلته في طعام ووضعته بين يدي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما أكله جرى السم في بدنه، فيئس من نفسه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمي جعفر الطيار في الجنة وحمزة سيد الشهداء. فاستمسك في بطنه حتى قَطّع أحشاءه قطعة قطعة فمكث شهرين يرفع من تحته في اليوم كذا وكذا مرة طشت من دم وكان يقول: سقيت السم مرارا ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت أقلبها بعود معي.»[٢٣٨]

ما زال مضطَهَدا يقاسي منهمُ ... محنا تُطبِّقُ سهلَها بحزون

حتى قضى صبرا بسم جُعيدةٍ ... في أمر ملتَحِفِ الضلالِ أَفين

وفي مرضه دخل عليه الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فبكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يا أخاه لا تحزن عليّ فإن مصابك أعظم من مصيبتي ورزئك أعظم من رزئي فإنك تقتل يا أبا عبد الله بشط الفرات بأرض كربلاء عطشانا لهيفا وحيدا فريدا مذبوحا يعلو صدرك أشقى الأمة ويحمحم فرسك ويقول في تحميمه الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها وتسبى حريمك ويؤتم أطفالك ويُسيِّرون حريمك على الأقتاب بغير وطاء ولا فراش ويحمل رأسك يا أخي على رأس القنا بعد أن تقتل ويقتل أنصارك فيا ليتني كنت عندك أذب عنك كما يذب عنك أنصارك بقتل الأعداء ولكن هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منا

عودة إلى الفهرس

ولكن لكل أجل كتاب ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فعليك يا أخي بالصبر حتى تلحق بنا.

فبكى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بكاء شديدا وقال يا أخي يعز عليّ فراقك ثم إنّه بكى بأعلى صوته فمنعه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ من البكاء بعد ما كثرت الرنّة عليه والصياح من إخوته وأخواته ونسائه وأولاده وجميع أهل بيته وشيعته[٢٣٩]. وبينما الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته عنده وإذا بالحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقضي نحبه مظلوما مسموما أي وا إماماه وا سيداه وا حسناه وكأني بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول:

(مجردات)

تـــــــــدري اشـــكثر گلبي تولّم — وشـــگد حمـــل مـن فرگتـك هـم
مـن أصـــد لمجانـك وحـش تـم — اعليـــــــه الحـزن كلـه ايتلملـم
يـا ريـــت انـه المقتـول بالسـم — گلبـك يخويـــــه وانتـه تسـلم

(نصارى)

يصيـح احسـين والدمعـه جريـه — يـا نـاس الحســـــن راح امنديـه
نـار الســـــم تـره ابگلبي سريـه — اويليـت الحـين يلفينـي المحتـم[٢٤٠]





٧ شهر صفر

ولادة الإمام موسى الكاظم
(عليه السلام)
سنة ١٢٨ هجريّة

اليوم السابع من شهر صفر

المناسبة: ولادة الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر الشيخ موسى محيي الدين[٢٤١]

يـــا كاظم الغيظ يـــا جد الجواد ... ومن عـــمّت جمـيع بـني الدنيا مكارمه

ومـــن غـــدا شرع خير المرسلين به ... ســامي الــذرى وبــه شيدت دعائمه

الحق لـــولاك ما بـــانَت حقائقه ... والشرع لـــــولاك ما قامت قوائمه

وفـيك يـنكشف الكرب العظيم إذا ... جاشت علـــينا بـلا جـرم قشـاعمه

إمام حـق أبـان الحـق وانـتـشرت ... أفعاله الغـــــر مـذ نيـطت تمائـمه

فـعالم الديـن خيـر النـاس عالمه ... وكاظـم الغيـظ خيـر النـاس كاظمـه

مولى غـدا من رسول الله عنصره ... أكـرم بـه عـــنصراً طـابت جراثمه

بـه وآبائـه زان الوجـود وفـي ... أبنائه الغـــــرقد شيدت معالـمه

من أم مغنـاك يـا أزكى الورى نسباً ... لـلازم كيـــف لا تقضى لوازمه

فـيا خـليلي والخـل الخليـل إذا ... حبـا الخلـــيل بـأسنى ما يلائمه

لا تـحسبا كل شـوق يدعى عبثاً ... فـالشـوق إن هـاج لا تخفـى معالمه

ولا تلومـا إذا مـا رحـت ذا كلـف ... والدمـع مـن مقلتـي فاضت سـواجمه

أنـا المشـوق المعنـى بازديـاد حمـى ... موسـى بـن جعفـر صب القلب هائمه

فعلِّلا قـلبي العانـي الضعيـف بـه ... فإن في ذكره تقـــوى عزائمه[٢٤٢]

عودة إلى الفهرس

عنوان المحاضرة الخامسة:

الحرية في رحاب العبودية لله

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُراً». (٢٤٣)

يكثر في القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي رفع شعار الحرية، وترديد عبارات مثل: «الإنسان حر، يفعل ما يشاء». وقد يُستعمل هذا الشعار لتبرير المعاصي؛ فيُدعى الإنسان إلى التبرّج، أو إقامة العلاقات المحرّمة، أو شرب الخمر، ثم يقال له: «هذه حريتك الشخصية». وإذا نُصح بالالتزام بحكم الله، صُوِّر الالتزام بالدين على أنه حرمان من الحرية.

لكن هل كل مَن يفعل ما يشاء يكون حرًّا؟ قد يرفض الإنسان سيطرة الآخرين، ثم يصبح أسيرًا لهواه وطمعه وشهواته. ولذلك لا يكفي أن نرفع شعار الحرية؛ بل ينبغي أن نفهم معناها، ونميّز ما يحفظها مما يسلبها.

وقد دعا الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا إلى تحرير الإنسان من عبادة غير الله وتسلّط البشر. ووصف القرآن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢٤٤)، ورفض الإكراه على الدين بقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. (٢٤٥)

وأكدت نصوص أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هذا المعنى؛ ومنها قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي افتتحنا به محاضرتنا: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا». (٢٤٦) ورُوي عنه أيضًا: «أيها الناس، إن آدم لم يلد عبدًا ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار». (٢٤٧)

عودة إلى الفهرس

فما الحرية التي يدعو إليها الإسلام؟ ولماذا تحتاج إلى حدود؟ ولماذا نرجع إلى أحكام الله في تحديدها؟ وكيف تكون العبودية المخلصة لله طريقًا للتحرر من استعباد الآخرين وسلطان رغباتنا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، نتناول المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحرية بين الانضباط والانفلات

الحرية مطلب ينسجم مع الفطرة السليمة؛ فالإنسان يحب أن يكون حرًّا، ويأبى أن يتحكّم الآخرون فيه بغير حق. وقد دعا إليها الإسلام كما تقدّم، ولكن ما المقصود بالحرية؟

يذكر السيد محمد باقر الصدر أن الحرية بمعناها العام هي «نفي سيطرة الغير».[٢٤٨] وهذا المعنى يمثّل قاسمًا مشتركًا بين التصور الإسلامي والتصورات الغربية للحرية، وإن اختلفت في أساس الحرية وحدودها. أما خصوصية معناها في الإسلام، فسنوضّحها في المبحث الثالث.

فهل التحرّر من سيطرة الآخرين يعني أن يفعل الإنسان كل ما يشاء، دون حدود أو مسؤولية؟ إن إباحة كل فعل، دون مراعاة الحقوق والواجبات والأضرار، هي ما نقصده هنا بالحرية المطلقة.

وهذا الفهم يرفضه العقل؛ لأن تصرفات الناس تؤثر في حياة بعضهم، وإذا أُبيح لكل إنسان ما يشاء، ضاعت الحقوق، واستطاع القوي ظلم الضعيف بحجة الحرية. ولذلك تضع الشريعة الإسلامية والأنظمة القانونية البشرية ضوابط للتصرفات، وإن اختلفت في تحديد المسموح والممنوع. ولتوضيح حاجتنا إلى هذه الحدود، فلنتأمل الأمثلة الآتية:

١ـ «أنا حر في أخذ ما أريد».

لو قال لك شخص: «أنا حر في أخذ مالك»، لرفضت؛ لأن حريته لا تبيح له

الاستيلاء على حقك، وكذلك لا تبيح لك أخذ ماله. فمنع السرقة يحمي الجميع من أن تتحول حرية المعتدي إلى قهر لغيره.

٢ـ «أنا حر في مالي وتجارتي».

قد يقول التاجر: «أنا حر في تجارتي»، ثم يخفي عيبًا في بضاعته ليبيعها بسعر أعلى. ولكن لو كان هو المشتري، فهل يرضى أن يُخدع بالطريقة نفسها؟ إن منع الغش لا يلغي حرية التجارة، بل يحفظ أمانة التعامل، ويمنع أن يكون ربح البائع قائمًا على خداع المشتري.

٣ـ «أنا حر في كلامي».

قد يسخر شخص من شكل إنسان أو فقره، أو ينشر عنه كلامًا كاذبًا، ثم يحتج بحرية الكلام. فهل يقبل أن يفعل الآخرون به ذلك؟ إن حق التعبير لا يبيح الإهانة والافتراء؛ ولذلك نحتاج إلى حدود تصون الكرامة، مع حفظ حق الإنسان في إبداء رأيه والمطالبة بحقوقه.

٤ـ «أنا حر في وقتي وجهدي».

لا يصح أن يتولى طبيب علاج مريض ثم يهمله بحجة حريته في وقته، ولا أن يتقاضى موظف أجرًا ثم يتعمّد ترك عمله، ولا أن يهمل الأبوان أطفالهما بدعوى الرغبة في الحرية. فلو كنتَ المريض أو صاحب العمل، فهل تقبل هذا التبرير؟ الحرية لا تُسقط الالتزامات، ولا تُبطل حقوق مَن يعتمدون علينا.

٥ـ «هذا جسمي، وأنا حر فيما أفعله به».

قد يبدأ الإنسان بتعاطي مادة مخدّرة طلبًا للمتعة، ثم يقع في الإدمان، فتتضرر صحته وعلاقاته، ويصعب عليه التوقف. فهل يكفي أنه اختار البداية لنتجاهل هذه العواقب؟ إن مصلحته لا تُهمل باسم الحرية، ولا سيما حين يهدّد تصرفه قدرته على الاختيار. وهذا لا يعني أن كل خطر يبرّر المنع، بل أن عبارة «أنا حر» لا تُغني عن النظر في النتائج.

عودة إلى الفهرس

قد يعترض بعضهم قائلًا: إذا منعتني القوانين من بعض التصرفات، أليس في ذلك تقييد لحريتي؟

والجواب: ليس كل قيد ضارًّا، ولا كل منعٍ حرمانًا من منفعة؛ فبعض الحدود ضروري لحماية الإنسان وحفظ مصالحه، ولو تُرك دونها لتعرّض للأذى. ولذلك لا نرفض الحدّ لمجرد أنه يمنعنا من شيء نريده، بل ننظر إلى فائدته وسبب وضعه.

وفي حياتنا حدود والتزامات نقبلها، بل نعدّها ضرورية لما توفّره لنا من حماية وراحة، ومن أمثلتها:

- **جدران البيت وسقفه.**

تحدّ الجدران مساحة البيت، فلا نستطيع الدخول والخروج إلا من منافذ محدّدة، ومع ذلك نحرص على وجودها مع السقف؛ لأنها تحمينا من تقلبات الجو وتصون خصوصيتنا. فهذه الحدود تمنع بعض الحركة، لكنها توفّر لنا الأمان والراحة داخل البيت.

- **إغلاق طريق غير آمن.**

إذا أُغلق طريق بسبب حفرة خطرة أو جسر متضرّر، فإن الحاجز يقيّد حركتك ويمنعك من سلوك الطريق الذي تريده، وقد يضطرك إلى طريق أطول. ولكن هذا القيد يحميك من الخطر؛ فالسماح لك بالمرور هنا قد يعرّض حياتك للأذى.

- **تعليمات الطبيب.**

قد يطلب الطبيب الموثوق أن تتناول الدواء في أوقات محدّدة، أو تمتنع عن طعام تحبّه. وهذه التعليمات تضع حدودًا لبعض اختياراتك اليومية، ومع ذلك تلتزم بها لحاجتك إلى العلاج. فأنت تقبل هذا الالتزام حفاظًا على صحتك، وإن خالف بعض رغباتك.

لكن منفعة بعض القيود لا تجعل كل قيد صحيحًا؛ فلا نقبل أن يحتج متسلّط بحفظ النظام ليمنع المظلوم من الشكوى، أو يتذرّع صاحب عمل بمصلحة العمل

ليحرم العامل من حقّه. فمنع السرقة يحمي الحقوق، أما منع المسروق منه من المطالبة بماله فيحمي السارق.

كذلك يجب أن تُطبّق الحدود العادلة بإنصاف، فلا يُمنع الضعيف مما يُسمح به للقوي لمجرد اختلاف منزلتهما، ولا يُتّخذ إصلاح الخطأ عذرًا للإهانة والاعتداء.

وبذلك يتضح الفرق: الحرية المنضبطة ممارسة للاختيار ضمن حدود عادلة تحفظ الحقوق وتراعي الواجبات ومصلحة الإنسان، أما الحرية المنفلتة فهي فعل ما نشاء دون مراعاة لحق أو واجب أو عاقبة.

وهنا يأتي السؤال: مَن يحدّد حدود الحرية؟ ولماذا نرجع إلى أحكام الله، ونقدّمها على القوانين الوضعية عند التعارض؟ هذا ما نبحثه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: لماذا نرجع إلى أحكام الله في تحديد حدود الحرية؟

عرفنا أن الحرية لا تعني أن يفعل الإنسان كل ما يشاء دون حدود، وأنها تحتاج إلى قوانين تنظّم التصرفات وتحفظ الحقوق. ولكن السؤال هو: مَن يحدّد هذه الحدود؟ وإذا تعارض حكم الله مع قانون وضعه البشر، فأيهما يجب أن نقدّم؟

للإجابة عن هذا السؤال، ينبغي أن ننطلق من نقطتين أساسيتين: الإقرار بأن الله خالق الإنسان، والإقرار بأنه أعلم بما يصلحه وما يضرّه.

أولًا: الله خالق الإنسان، والإنسان محتاج إليه.

قبل البحث في حدود حريتنا، ينبغي أن نلتفت إلى حقيقة وجودنا: هل أوجد الإنسان نفسه، أم أن الله تعالى هو الذي خلقه ومنحه الحياة والعقل والقدرة على الاختيار؟

إذا أقرّ الإنسان بأن الله خالقه، فقد أقرّ بأنه ليس مستقلًّا عنه؛ فالله أوجده، ويمدّه بأسباب البقاء. والإنسان لم يمنح نفسه الحياة، ولم يخلق الهواء والماء والأرض، وحتى

عودة إلى الفهرس

قدرته على التفكير والعمل والاختيار من عطاء الله. وهذا معنى افتقاره إليه في أصل وجوده واستمرار حياته. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.(٢٤٩)

فمَن يعترف بأن الله خالقه ومالك أمره، لا يصح أن يتعامل مع نفسه كأنه مستقل عنه، ولا حقَّ لله عليه؛ بل يقتضي هذا الاعتراف الالتزام بأوامره ونواهيه، سواء وافقت رغباته أم خالفتها.

وليس معنى ذلك أن الإنسان مجبور على الطاعة؛ فقد أعطاه الله قدرة الاختيار، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٢٥٠)، ولكن يبقى مسؤولًا عن اختياره. فالقدرة على مخالفة أمر الله لا تجعل المعصية حقًّا، ولا يُسقط شعار الحرية مسؤوليتنا أمامه.

وهذا المعنى تقرّبه الموعظة المروية عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد جاءه رجل وقال: «أنا رجل عاصٍ ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة»، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعًا لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت».(٢٥١)

فهل يستطيع الإنسان الاستغناء عن رزق الله، أو الخروج عن سلطانه وعلمه، أو دفع الموت والحساب عن نفسه؟ إن عجزه عن ذلك يذكّره بأنه ليس مستقلًّا عن خالقه. فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأذنب ما شئت» ليس إذنًا بالمعصية، بل تنبيه إلى استحالة ما طلبه منه.

إذن، الإقرار بالخالق يحسم لنا الأساس الأول: الإنسان حرّ في اختياره، ولكنه ليس مستقلًّا عن الله، ولا خارجًا عن سلطانه، ولا معفيًّا من طاعته ومحاسبته.

ثانيًا: الله أعلم بالإنسان وبما يصلحه.

بعد أن عرفنا أن الله خالقنا، وأن له حق الطاعة علينا، نأتي إلى أمر آخر: مَن الأعلم بما يصلح الإنسان وما يضرّه: الإنسان المحدود المعرفة، أم الله الذي خلقه وأحاط علمه بجميع شؤونه؟

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٢٥٢]، فالذي خلق الإنسان يعلم حاجات جسده وروحه، وقدراته ونقاط ضعفه، وما يصلحه وما يفسده، وما تنتهي إليه أفعاله في الدنيا والآخرة.

ولتقريب الفكرة، لنفترض أنكِ اخترعتِ جهازًا إلكترونيًّا، فيه أزرار وأيقونات، لكل منها وظيفة، وكتبتِ تعليماته في كتيّب يوضّح استعماله وما قد يعطّله أو يُتلفه. فلو اشتراه شخص يجهل تشغيله، فهل يسأل أشخاصًا لا يعرفون تصميمه ليجرّب اقتراحاتهم، أم يرجع إلى تعليمات صانعه، أو إلى مختص موثوق يفهمها؟

التصرف الصحيح هو الرجوع إلى مَن يعلم؛ لأن التخمين قد يُفسد الجهاز. ولو قال المشتري: «أنا حر، وسأضغط على الأزرار كما أشاء»، فلن يحميه قوله من نتائج الاستعمال الخاطئ؛ فحريته في الاختيار لا تجعل كل طريقة صحيحة.

وهذا المثال يقرّب أهمية الرجوع إلى مَن يعلم، مع الفارق العظيم بين الصانع البشري الذي قد يخطئ، والخالق سبحانه الذي لا يخطئ ولا يجهل شيئًا.

وهكذا الإنسان؛ فالله أعلم بما يحفظ جسده وروحه، وينمّي عقله وأخلاقه، ويصلح علاقاته. فما أوجبه من الصلاة والصوم وأداء الأمانة، وما حرّمه من الظلم والخيانة والتبرّج والعلاقات المحرّمة، شرعه لِحِكَمٍ ومصالح تعود على عباده.

ولكن لا ننسب إليه كل ما يقوله الناس باسم الدين؛ بل نرجع إلى الفقهاء في معرفة تكاليفنا بالطريق المعتبر. فإذا ثبت الحكم، لم نقدّم عليه رغبةً أو رأيًا مخالفًا؛ فجهلنا بحكمته لا يعني خلوّه منها.

وقد ورد عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّا وجدنا كلَّ ما أحلَّ الله تبارك وتعالى ففيه

صلاح العباد وبقاؤهم، ولهم إليه الحاجة التي لا يستغنون عنها، ووجدنا المحرَّم من الأشياء لا حاجة للعباد إليه، ووجدناه مفسدًا داعيًا إلى الفناء والهلاك...».[٢٥٣]

ولكن قد يقول قائل: أليست العلوم البشرية قادرةً على معرفة ما ينفع الإنسان وما يضرّه؟

بلى، وقد حققت منافع عظيمة، ونحن نرجع إلى المختصين. لكن معرفتهم قد تصيب في جانب، وتبقى ناقصة في آخر، فتستدعي الأدلة الجديدة مراجعتها. ومن أمثلة ذلك:

١ـ في معرفة وظائف أعضاء الجسم

قد يُعتقد أن عضوًا لا فائدة له، ثم تُكتشف له وظائف؛ كالزائدة الدودية، التي شاع وصفها بأنها عضو ضامر لا فائدة تُذكر منه. ثم قدّم باحثون من جامعة ديوك تفسيرًا بأنها قد تحفظ البكتيريا النافعة وتساعد على استعادة توازنها بعد بعض اضطرابات الأمعاء، مع ارتباطها بنسيج مناعي.[٢٥٤] فجهلنا بفائدتها لا يعني أنها خُلقت عبثًا، ولا ينفي ضرورة استئصالها عند وجود سبب طبي.

٢ـ في الأدوية

قد يُعتمد دواء، ثم تكشف المتابعة عن مخاطر تستدعي سحبه؛ كدواء «فيوكس» لتخفيف الألم والالتهاب، الذي سُحب عالميًّا سنة ٢٠٠٤ بعد ظهور زيادة في خطر النوبات القلبية والسكتات الدماغية مع الاستعمال الطويل.[٢٥٥] فمعرفة فائدته لم تكن إحاطةً بجميع آثاره.

٣ـ في التغذية

قد تتغيّر التوصيات بأدلة جديدة؛ فقد نُصح سابقًا بتأخير الفول السوداني لبعض الأطفال المعرّضين للحساسية، ثم أظهرت تجارب أن تقديمه مبكرًا وفق الضوابط الطبية يقلّل حدوث حساسيته لدى فئات منهم، فتغيّرت التوصيات.[٢٥٦]

٤ـ في التربية

قد تختلف المواقف من أسلوب يُستعمل لتقويم السلوك؛ ومن ذلك العقاب البدني للأطفال، فهناك مَن يرفضه، ومَن يتوسع في استعماله، ومَن يجيزه بشروط.[٢٥٧]

وهذه الأمثلة تبيّن أن المعرفة البشرية قد تكون صحيحةً في جانب، ناقصةً في جانب آخر، وقد تتطور بتراكم الأدلة. فعلم الإنسان محدود وقابل للمراجعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢٥٨]، أما علم الله فلا يسبقه جهل، ولا يلحقه تصحيح.

وقد يأتي الخلل البشري من المصلحة والهوى أيضًا؛ فقد يخطئ الإنسان لجهله أو تسرّعه أو تعصّبه، وقد يعرف الحقيقة ثم يخفيها طلبًا للربح أو النفوذ.

ومن أمثلته تسويق إبر تنحيف غير مرخّصة أو مزيّفة، بوعود مبالغ فيها، مع احتمال احتوائها على مواد ضارّة أو جرعات غير صحيحة. فبعض المروّجين يستغل رغبة الناس في إنقاص الوزن لزيادة مبيعاته، ويكون الخلل هنا في الأمانة، لا المعرفة وحدها.[٢٥٩]

أما الله فلا يجهل ولا يغفل، ولا يحكم عن هوى، ولا يحتاج إلى منفعة، ولا يظلم أحدًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.[٢٦٠] ولذلك نثق بأن أحكامه قائمة على العلم والحكمة والعدل، وأن طاعتنا تعود بالخير علينا، لا بمنفعة يحتاج إليها سبحانه.

ومن هنا نهتدي بالقرآن وما ثبت عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونستفيد من خبرة المختصين، مع التثبّت مما يُنسب إلى الدين؛ فليس كل شائع صحيحًا، ولا كل منقول عنهم ثابتًا.

وتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ امتداد لهداية الله التي جاء بها رسوله، وليست آراءً يضعونها تبعًا للأهواء؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل».[٢٦١]

عودة إلى الفهرس

وبذلك تتضح الإجابة: نرجع إلى أحكام الله لأنه خالقنا والأعلم بمصلحتنا، ولا نجعل رغباتنا أو سماح القانون الوضعي مبرّرًا لمخالفتها. ولا نرفض القوانين البشرية لمجرد أن البشر وضعوها؛ بل نلتزم بها فيما لا يخالف الشريعة. فإذا تعارضت مع حكم إلهي ثابت، قدّمنا حكم الله؛ فسماح القانون لا يجعل الحرام حلالًا، ولا يُسقط مسؤوليتنا أمام خالقنا.

المبحث الثالث: العبودية لله طريق نيل الحرية

المطلب الأول: معنى العبودية لله

قبل أن نبيّن كيف تكون العبودية لله طريقًا إلى الحرية، ينبغي أن نعرف معناها. العبودية لله تعني أن يقرّ الإنسان بأن الله خالقه ومالكه وربّه، وأنه محتاج إليه، وأن له سبحانه حق الطاعة عليه؛ فيخضع له، ويلتزم بأوامره ونواهيه.

وقد ذكرنا أن الإنسان محتاج إلى الله في أصل وجوده واستمرار حياته؛ فهو يحتاج إلى الهواء والماء والغذاء، وإلى ما يحفظ صحته، وإلى العقل الذي يميّز به، والهداية التي يعرف بها طريقه. فحاجته إلى خالقه تشمل جسده وروحه، ولا تقتصر على المال والرزق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.[٢٦٢] أما الله سبحانه فغنيّ عن عبادتنا، وإنما تعود ثمرة طاعته علينا، قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.[٢٦٣]

وهذا الإقرار لا يقتصر على قولنا: «نحن عباد الله»، بل يظهر في السلوك؛ فحين نصلّي ونصوم امتثالًا لأمره، فإننا نعبّر عن عبوديتنا له. وكذلك حين نصدق، ونؤدي الأمانة، وننصف الناس، ونترك الغش والظلم والمال الحرام طاعةً لله. فالعبودية تشمل عباداتنا وأخلاقنا ومعاملاتنا، ولا تنحصر في الصلاة والصيام.

وقد بيّن الله تعالى الغاية من خلق الإنسان بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[٢٦٤] فنطلب رضاه في مختلف شؤون حياتنا، ولا نحصر العبادة في أعمال

نؤديها ثم نغفل عن طاعته فيما عداها.

ومعنى إخلاص العبودية أن نقدّم أمر الله على رغباتنا وعلى طلبات الآخرين؛ فلا نعصيه لنرضي شخصًا، ولا نبرّر الحرام لأننا نشتهيه. وهذا ما نعلنه في الصلاة حين نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٢٦٥]؛ أي نخصّك بالعبادة والخضوع، ثم نسعى إلى الوفاء بهذا الإعلان في حياتنا.

المطلب الثاني: كيف تحرّرنا طاعة الله من عبودية غيره؟

ذكرنا سابقًا أن الحرية بمعناها العام هي «نفي سيطرة الغير»[٢٦٦]. وهو جانب مشترك بين التصور الإسلامي والتصورات الغربية. لكن الإسلام لا يجعل التحرر من الآخرين استقلالًا عن الله، بل يجعل العبودية له أساسًا للتحرر من الخضوع لغيره.

وقد بيّن السيد محمد باقر الصدر أن الحرية في الإسلام «تبدأ من العبودية المخلصة لله تعالى، لتنتهي إلى التحرر من كل أشكال العبودية المهينة».[٢٦٧]

ويوضح الشيخ مرتضى المطهري معنى هذا التحرر بأنه «كسر جميع القيود والأغلال التي تحدّ من انطلاق الإنسان على طريق إنسانيّته، مع تأطير وتحديد لدوافعه الحيوانية».[٢٦٨] أي أن يتحرر الإنسان مما يعوق ارتقاءه، ويضبط رغباته حتى لا تستعبده.

فالله لم يخلق الإنسان عبثًا، ولم يجعل غايته مجرد الأكل والشرب والاستمتاع، بل خلقه ليعبده ويتكامل بإيمانه وأخلاقه وأعماله. ولذلك يحتاج الإنسان إلى التحرر مما يمنعه من بلوغ هذه الغاية؛ سواء أكان تسلّطًا يأتيه من الآخرين، أم هوى وشهوة يتحكمان فيه من الداخل.

وقد يسأل بعضنا: كيف تكون العبودية المخلصة لله طريقًا إلى الحرية؟ وممّ تحرّرنا؟

لنفترض أن إنسانًا سُجن ظلمًا، وقُيّد بالسلاسل، وعاش الإهانة والقهر، يتمنى أن يستعيد حريته. ثم جاء شخص عادل، فأنقذه من سجنه وفكّ قيوده. إن هذا الإنسان

عودة إلى الفهرس

كلما تذكّر مَن أنقذه قال: «هو الذي حرّرني وخلّصني من الأسر»؛ لأنه كان سببًا في نيله الحرية.

وهذا المثال يقرّب لنا معنى أن العبودية لله طريق إلى الحرية؛ فكما احتاج السجين إلى مَن يخلّصه من سلاسله، نحتاج نحن إلى ما يخلّصنا من القيود التي تأسر إرادتنا، وإن لم تكن سلاسل تُرى. فكيف تكون طاعة الله سببًا للتحرر من هذه القيود؟ يتضح ذلك في الأمور الآتية:

١ـ العبودية لله تحرّرنا من الطاعة العمياء للناس.

حين نؤمن بأننا عباد لله، نعرف أن طاعتنا للناس لا يجوز أن تتقدّم على طاعته؛ فلا نسمح لأحد بأن يتحكم فينا ويدفعنا إلى معصيته، مهما كانت مكانته أو قوة تأثيره علينا. وقد قال تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[٢٦٩]

فالعبودية لغير الله لا تكون بالسجود له فقط، بل قد تكون بطاعته في معصية الله. فقد يقول الإنسان: «أنا لا أعبد هذا الشخص»، ولكنه يسمح له بأن يوجّهه إلى المعصية، ويقدّم رضاه على رضا الله. وهنا يصبح أسيرًا لطلباته أو لخوفه من خسارته، بدل أن يملك موقفه أمامه.

وقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أطاع رجلًا في معصية فقد عبده».[٢٧٠] وفي تفسير قوله تعالى: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ]، رُوي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما والله ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولكنهم أحلّوا لهم حرامًا، وحرّموا عليهم حلالًا فاتّبعوهم».[٢٧١]

وقد عرض القرآن صورةً لاستعباد الناس في سلوك فرعون، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٢٧٢] فقد استعلى عليهم وفرّق بينهم وقهر المستضعفين. ولا يزال هذا النهج يظهر في متسلّطين يقهرون الناس وينهبون ثرواتهم

ويسلبون حقوقهم.

ولا يكون الاستعباد بالسلاسل وحدها؛ فقد يقول صاحب العمل لموظف محتاج: «أُبقيك في عملك بشرط أن تساعدني على الغش»، ليجعل حاجته إلى الرزق قيدًا يتحكم به في أمانته. فإذا رفض الموظف طاعةً لله، وسعى إلى حفظ حقه وطلب الرزق الحلال، فقد قاوم هذا الاستعباد.

وقد يقول شخص لفتاة: «إن كنتِ تحبينني فأرسلي إليّ صورتكِ بلا حجاب، وإلّا تركتُكِ». فهو يحاول تحويل محبتها وخوفها من فقدانه إلى قيد يُخضعها به. فإذا رفضت طاعةً لله، فقد حمت قرارها من استغلاله، ولم تجعل رضاه ثمنًا لدينها وكرامتها.

فالفقر والحاجة والتعلّق بالآخرين لا تسقط كرامة الإنسان، ولا تمنح أحدًا حق استعباده. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.[٢٧٣] ومَن وقع عليه القهر بغير اختياره لا تزول كرامته، ولا يُلام على ظلم المعتدي؛ بل يحتاج إلى النصرة والمساعدة.

وليس المقصود رفض احترام الناس أو توجيهاتهم النافعة، بل رفض طاعتهم في المعصية. وهذا يقرّب معنى قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا».[٢٧٤]

٢ـ طاعة الله تعلّمنا أن نوجّه رغباتنا بدل أن نكون أسرى لها.

في داخل الإنسان رغبات وشهوات متعددة، وليست كلها مذمومة؛ فقد جعل الله لها طرقًا مشروعةً لإشباعها. ولكن الخطر أن يستجيب الإنسان لها دون تمييز، حتى حين تدعوه إلى الحرام؛ فيعتاد طاعتها، ويضعف أمامها، حتى تصبح هي المتحكمة في سلوكه.

وقد يظن أن كل ما يفكر فيه ويريده صادر عن عقله، مع أن التفكير قد يُستعمل لتبرير الشهوة والطمع. فليس كل ما يخطر في النفس حكمًا من العقل الذي يرشد إلى الخير؛ وقد سُئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العقل، فقال: «ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان».[٢٧٥] فإذا عرف الإنسان أن الفعل محرّم، فلا يجعل رغبته فيه

دليلًا على أن العقل يدعوه إليه.

وحين يصبح التفكير خادمًا للهوى، ينقلب موضع القائد والأسير؛ فيأمر الهوى، ويبحث الإنسان بعقله عن الأعذار لطاعته. قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وكم من عقل أسير تحت هوى أمير».[٢٧٦] وتتضح صور هذا الأسر والتحرر منه في الأمثلة الآتية:

◆ **الهوى: تقديم ما نحب على الحق.**

قد تُخطئ قريبة لنا في حق امرأة أخرى، فندافع عنها مع علمنا بخطئها، ونقول: «لا بد أن نقف مع أهلنا». هنا أصبحت محبتنا قيدًا يمنعنا من الإنصاف. والتحرر من هذا الأسر أن ننصف المظلومة، وننصح قريبتنا ونساعدها على الإصلاح؛ فنحبها دون أن نبرّر ظلمها.

◆ **الطمع: التنازل عن الأمانة من أجل المال.**

قد يتسلّم شخص مبلغًا زائدًا بسبب خطأ في الحساب، ويعلم أنه ليس له، ثم يقول: «أنا محتاج إليه، وهذه فرصة». فإن احتفظ به مع علمه بوجوب ردّه، فقد صار أسيرًا لحب المال. أما إذا ردّه رغم حاجته، فقد قدّم الأمانة على الطمع، وأثبت أن المال لا يملك قراره. وقد رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يسترقنّك الطمع وقد جعلك الله حرًّا».[٢٧٧]

◆ **الغضب: أن يقودنا الانفعال إلى الظلم.**

قد تغضب أم من خطأ ولدها، فتشتمه وتقول: «لن يتأدب إلا بهذه الطريقة». فإذا جعلت غضبها يختار كلامها، ثم برّرت الإهانة باسم التربية، فقد خضعت لانفعالها. وحريتها تظهر حين تضبط لسانها وتعالج الخطأ بحزم دون ظلم؛ فتختار التصرف الصحيح بدل أن يقودها الغضب إلى الاعتداء.

◆ **الشهوة: الانقياد للّذة المحرّمة.**

قد يتابع شخص محتوى يعلم أنه محرّم، وكلما أراد التوقف عاد إليه، ثم يقول: «أنا حر». لكنه حين يجعل إرضاء الرغبة فوق أمر الله، يصبح أسيرًا لها في هذا الموقف. والتحرر أن يجاهد نفسه على إغلاقه والابتعاد عنه، ويختار ما أحلّه الله؛ فوجود الشهوة لا يُلزمه بطاعتها.

ولتقريب خطورة فقدان السيطرة، نتأمل حال إنسان استمر في تعاطي المخدّرات حتى أصبح مدمنًا؛ فهو يعرف أضرارها، وقد يرغب في التوقف، لكنه يجد صعوبةً في الامتناع. وهنا يشبه حاله حال الأسير المقيّد؛ فالإدمان يحدّ من حريته، ويحتاج إلى العلاج والمساندة للتحرر منه.

◆ **الاستجابة للوسوسة: قبول ما يزيّن لنا المعصية.**

قد يهمّ شخص بنشر إشاعة، ويبرّر ذلك بقوله: «الجميع يتداولها، ولن يعرف أحد أنني نشرتها». فإن رفض هذه التبريرات وامتنع عن الإساءة، فقد حافظ على قراره. فمجرد ورود الخاطر السيئ لا يجعله أسيرًا له؛ وإنما يظهر اختياره في قبوله أو رفضه.

وطاعة الله تعين على هذه المقاومة، لكنها تحتاج إلى مجاهدة وتدريب، لا إلى كلمات يعلنها الإنسان ثم ينقاد لكل ما يشتهيه.

والعبادات تعين الإنسان على تقوية إرادته وضبط رغباته، ولا سيما الصيام؛ فالطعام أمام الصائم، وهو جائع، وقد لا يراه أحد، ولكنه يمتنع طاعةً لله.

فإذا جاء وقت الإفطار أكل الحلال؛ فيتعلّم أن وجود الرغبة لا يُلزمه بالاستجابة لها، وأن المطلوب ضبطها، لا إلغاءها.

ويمتد أثر هذا التدريب إلى غير الطعام؛ فيجاهد نفسه على ترك المال الحرام والنظرة المحرّمة، ويختار سلوكه مسترشدًا بهداية الله.

عودة إلى الفهرس

٣ـ العبودية لله تثبّتنا أمام الإغراء والتهديد.

قد يعرف الإنسان أنه لا يجوز طاعة أحد في المعصية، لكن الامتحان يكون حين يُعرض عليه مال أو منصب ليتنازل عن الحق، أو يُهدَّد بخسارة ما يحتاج إليه. وهنا تعينه العبودية لله على مقاومة الإغراء والخوف؛ فلا يبيع دينه بمنفعة، مستعينًا بالله ومسترشدًا بحكمه في ظروفه.

ومن أبلغ الأمثلة موقف نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد قال حين دُعي إلى المعصية: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[٢٧٨]، وقال أمام التهديد بالسجن: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[٢٧٩].

فلم يجعل النجاة من السجن ثمنًا للمعصية، ولم يخضع للإغراء والتهديد؛ لأن طاعة الله مقدّمة عنده على رضاهم.

وفي بيان هذا المعنى رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الحر حرٌّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكّت عليه المصائب لم تكسره، وإن أُسر وقُهر واستُبدل باليسر عسرًا، كما كان يوسف الصدّيق الأمين صلوات الله عليه، لم يضر حريته أن استُعبد وقُهر وأُسر».[٢٨٠]

فقد تُسلب حرية الحركة، ويبقى الإنسان ثابتًا على دينه وموقفه. وهذا لا يبرّر السجن والظلم، وإنما يبيّن أن تقييد الجسد لا يعني امتلاك الضمير.

٤ـ العبودية لله تمنعنا من استعباد الآخرين.

حين نتحدث عن الحرية، قد نفكر في حمايتنا من استغلال الآخرين، ولكن طاعة الله تعلّمنا كذلك ألّا نستغل غيرنا. فقد يرفض الإنسان أن يتحكم أحد فيه، ثم يحاول هو إخضاع الضعفاء لرغباته.

وهنا يتذكر أنه عبد لله، وأن مَن هم تحت قدرته عباد لله أيضًا، لهم حقوق لا يجوز له تجاوزها. فلا تمنحه قوته، ولا حاجتهم إليه، حق إذلالهم أو سلب حقوقهم.

ولتقريب الفكرة، قد يساعد شخص قريبًا فقيرًا، ثم يجعل مساعدته وسيلةً للتحكم فيه؛ فيطالبه بطاعته في كل شيء، ويهدده بقطع المساعدة إن خالفه. أما إذا أعانه ابتغاء رضا الله، واحترم حقوقه، ولم يجعل حاجته بابًا لإذلاله، فقد قاوم رغبته في التسلّط، وحفظ لقريبه كرامته وحريته.

فالطاعة هنا تحرّر المُعين من حب السيطرة، وتحمي المحتاج من أن يصبح أسيرًا للمساعدة التي يتلقّاها. وبهذا لا تقتصر ثمرة العبودية لله على مقاومة مَن يستعبدنا، بل تشمل منع أنفسنا من استعباد غيرنا.

ولهذا لا يكفي أن نقول: «نحن نعبد الله»، ثم نُذلّ الناس أو نعتدي عليهم؛ فصدق العبودية يظهر في مراعاة حدود الله، ومنها الحقوق التي أوجبها للآخرين.

المبحث الرابع: الحرية لا تعني رفض العبودية لله

بعد أن عرفنا كيف تكون العبودية لله طريقًا إلى الحرية، قد يعترض أحدهم فيقول: «أنا لا أريد أن أكون عبدًا لله ولا لغيره؛ أريد أن أكون حرًّا، لا عبدًا لأحد. أليس أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا»؟».

وللإجابة عن هذا الاعتراض، نوضّح الأمور الآتية:

أولًا: الحرية التي منحنا الله إياها لا تعني التحرر من عبوديته.

إن الحرية في الإسلام هي الأصل في علاقة الإنسان بغيره من البشر؛ فلا يحق لأحد أن يقهره أو يستغل حاجته ليُخضعه لإرادته. ولكن رفض العبودية لا يكون مطلقًا ليشمل العبودية لله تعالى؛ بل إن في كلام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه قرينةً على عدم إرادة الإطلاق، وذلك لقوله: «جعلك الله»؛ أي إن الحرية المشار إليها هنا هي الحرية المجعولة في إطار العبودية لله.[٢٨١]

فالله هو الذي منح الإنسان حريته، وأمره بالمحافظة عليها. وليس معنى رفض

تسلّط البشر أن نرفض طاعة خالقنا؛ فالمتسلّط قد يستغلنا لتحقيق مصلحته، أما الله فهو غنيّ عن عبادتنا، ويأمرنا بما يصلحنا، كما بيّنا سابقًا.

ثانيًا: رفض الطاعة لا يُخرج الإنسان عن كونه مخلوقًا لله.

حين يقول الإنسان: «لا أريد أن أكون عبدًا لله»، ينبغي أن نسأله: هل تقصد أنك لا تريد طاعته، أم أنك تستطيع الاستغناء عنه والخروج عن ملكه وسلطانه؟

فإن كان يقصد رفض الطاعة، فإنه يكون قد اختار العصيان، ولكنه لم يصبح مستقلًّا عن الله. وإن كان يقصد أنه لا يحتاج إلى خالق، فهذا ادّعاء يناقض حقيقة وجوده؛ لأنه لم يخلق نفسه، ولا يملك بقاءه، ولا يستطيع أن يستغني عن أسباب الحياة التي خلقها الله له.

إنه يحتاج إلى الهواء في كل نَفَس، وإلى الماء والغذاء، وإلى أرض يعيش عليها، وإلى قلب ينبض وأعضاء تعمل دون أن يملك الإحاطة بتفاصيل عملها. فهو محتاج إلى الله في أصل وجوده، ومحتاج إليه في استمرار حياته؛ شاء أن يعترف بذلك أم أبى.

والغنى المطلق والاستقلال عن كل ما سواه من صفات الله، لا من صفات المخلوق. فمَن يدّعي الاستغناء المطلق عن الله ينسب إلى نفسه صفةً من خصائص الربوبية، ولكنه لا يصير بذلك ربًّا أو شريكًا لله؛ بل يكون متوهّمًا استقلالًا لا يملكه. أما مجرد رفض الطاعة فلا يصح أن نساويه تلقائيًّا بهذا الادّعاء؛ فقد يعصي الإنسان مع إقراره بأنه عبد لله ومحتاج إليه.

إذن، يستطيع الإنسان أن يقصّر في أداء حق العبودية، لكنه لا يستطيع أن يُبطل حقيقة كونه مخلوقًا محتاجًا إلى خالقه.

ثالثًا: رفض طاعة الله لا يضمن التحرر من سيطرة غيره.

قد يرفض الإنسان طاعة الله ظنًّا منه أنه بذلك يصبح حرًّا لا يتحكم فيه شيء، ثم يسمح للمال أو الشهوة أو الشهرة بأن تملك قراره، فيستجيب لها ولو خالف أمر

الله. وقد رُوي عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».[٢٨٢]

فالمشكلة ليست في امتلاك المال أو الانتفاع بالحلال، بل في أن تصبح مصالح الدنيا مقدّمةً على الدين؛ فيطيع الإنسان الله ما دامت الطاعة لا تخالف رغباته، فإذا تعارضت معها قدّم ما يشتهيه.

ولهذا لا يكفي أن يقول: «أنا لا أقبل العبودية لأحد»، بل عليه أن يسأل نفسه:

هل أستطيع رفض المال الحرام؟ وهل أحفظ أمانتي إذا هُدّدت مصلحتي؟ أم أن ما أحبّه هو الذي يحدّد موقفي؟

ومن هنا نفهم الفرق: العبودية لله إقرار بحق خالقنا علينا، وطاعة تعيننا على مقاومة ما يستعبدنا؛ أما عبودية الدنيا فهي أن تتحكم فينا مصالحها، فنخالف الحق من أجلها. فالحرية لا تتحقق بمجرد رفض الطاعة، وإنما بالمحافظة على اختيارنا في طريق الحق، فلا نبيع ديننا وكرامتنا لإرضاء رغبة أو إنسان.

وبعد هذا البيان، نفهم أن الحرية في المنظور الإسلامي تحرّرٌ مما يقودنا إلى الباطل؛ فلا يستعبدنا إنسان، ولا يشتري المال أمانتنا، ولا تتحكم الشهوة والهوى في قرارنا. وطاعة الله تعيننا على مقاومة هذه القيود.

ومن هنا تتغيّر نظرتنا إلى النصيحة؛ فمَن ينصحنا بترك المعصية بالحكمة والرفق قد يعيننا على التحرر من قيد لا نشعر به. فبدل الانزعاج، نسأل: هل قوله حق؟ وهل يدعونا إلى رضا الله؟ إن قبول النصيحة الصادقة قد يكون بداية خلاصنا من عادة أضعفتنا أو رغبة استعبدتنا.

وقد توقظ كلمة واحدة شعور الإنسان بعبوديته لله، فيراجع ما كان يظنّه حرية. وهذا ما تقرّبه قصة بشر الحافي مع صاحب الذكرى، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نقل العلّامة الحلّي أن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ مرّ بدار بشر، فسمع أصوات اللهو

عودة إلى الفهرس

تخرج منها. فخرجت جارية، فسألها: «صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟» فقالت: بل حرّ. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صدقتِ، لو كان عبدًا خاف من مولاه». فلما نقلت الجارية كلامه إلى بشر، خرج حافيًا حتى لقي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتاب على يده.(٢٨٣)

كان بشر حرًّا في نظر الناس، ولكنه كان منقادًا للهو والشهوة، متناسيًا حق مولاه عليه. فجاء سؤال الإمام ليوقظ فيه معنى غاب عنه: إذا كنتُ عبدًا لله، فكيف أعيش بنعمه ثم أخالف أمره؟ وكيف أزعم أنني حر، وأنا أنقاد لما يبعدني عنه؟

ولم يكن رجوعه إلى طاعة الله فقدانًا لحريته، بل بدايةً لخروجه من أسر المعصية. فقد قبل النصيحة، ولم يجعل اعتزازه بنفسه حاجزًا يمنعه من التوبة. وهكذا ينبغي أن نستقبل الكلمة التي تدعونا إلى الله؛ فقد تكون بابًا يفتحه سبحانه لإنقاذنا مما نحن فيه.

وإذا كانت كلمة الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أعانت بشرًا على مراجعة عبوديته، فإن حياة الإمام نفسها تقدّم لنا المثال الأوضح على الحرية التي تنشأ من إخلاص العبودية لله. ومن ألقابه التي اشتهر بها «العبد الصالح»؛ فقد جسّد هذا المعنى في عبادته وأخلاقه ومواقفه، وبقي مطيعًا لربّه، ثابتًا على الحق أمام ما تعرّض له من تضييق وقهر.

فقد استطاع هارون أن يقيّد حركته، لكنه لم يستطع إخضاع موقفه لإرادته؛ فالسجن سلبه حرية الحركة، ولم يسلبه ثباته على الحق. وهذا يقرّب معنى ما رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الحر حر وإن مسّه الضر، والعبد عبد وإن ساعده القدر».(٢٨٤) فقد يكون الإنسان خارج السجن أسيرًا لشهواته، ويكون مقيّد الجسد حرًّا من الخضوع للظالم. ويتضح ذلك في الموقفين الآتيين:

١ـ ثباته عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُرسلت إليه الجارية.

نقل ابن شهرآشوب أن هارون أرسل إلى الإمام موسى الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ جارية جميلة لتخدمه في السجن، فرفض الإمام وقال: «بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها». فغضب هارون وأمر بإبقائها عنده، ثم أرسل خادمًا يتفقّد

حالها، فوجدها ساجدة لله تقول: «قدوس، سبحانك سبحانك».

ولما أُحضرت إلى هارون، أخبرته أنها رأت الإمام منشغلًا بالصلاة والتسبيح، وأنها عرضت عليه خدمتها، فأشار إلى ما حوله؛ فرأت روضة مزهرة، ومجالس فاخرة، وخدمًا بثياب جميلة يحملون الطعام والشراب، فسجدت لله مما شاهدت. حاول هارون أن يجعل ما رأته منامًا، لكنها أكّدت أنها رأته قبل سجودها. فأمر بمنع انتشار خبرها، وظلّت مقبلة على الصلاة، تقول: «هكذا رأيت العبد الصالح»، حتى ماتت قبل وفاة الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأيام يسيرة.[٢٨٥]

ويقرّب هذا الموقف معنى الثبات أمام الإغراء؛ فقد يُفتن الإنسان بمال أو جمال، فيصبح أسيرًا لما يُغريه، ويضعف ويتنازل عن طاعة الله لإرضاء رغبته، فيفقد حريته أمامه. أما الإمام الكاظم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يصرفه جمال الجارية عن عبادته، ولم يجعل ما عُرض عليه سببًا للانشغال عن ربّه.

٢ـ ثباته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمام الضغط باستمرار السجن.

لم يكن امتحان السجن في احتمال ضيقه وحده؛ فقد اشترط هارون لإطلاق سراح الإمام أن يقرّ له بالإساءة ويسأله العفو. وهذا ضغط يتضمّن التهديد باستمرار حبسه إن لم يستجب؛ فكأن الخلاص من السجن أصبح مشروطًا بقبول ما يريده هارون.

ورد في كلام هارون الذي أمر يحيى بن خالد بإبلاغه إلى الإمام:

«إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقرّ لي بالإساءة، وتسألني العفو عمّا سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار، ولا في مسألتك إياي منقصة».

وفي الخبر التالي، قال الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليحيى:

«يا أبا علي أبلغه عني: يقول لك موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى، وستعلم غدًا إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه، والسلام».[٢٨٦]

أي إن الحكم الفاصل بينهما سيكون عند الله، حيث يظهر الظالم من المظلوم.

عودة إلى الفهرس

فلم يجعل الإمام الخلاص من السجن سببًا للإقرار بما أراده هارون، بل أعاده إلى مسؤوليته أمام الله.

وليس الاعتذار في نفسه ذلًّا؛ فمَن أخطأ كان اعتذاره رجوعًا إلى الحق. ولكن المطلوب هنا أن يقرّ الإمام بالإساءة التي نسبها إليه مَن حبسه ظلمًا، فيظهر إطلاق سراحه وكأنه عفو عن مذنب، لا رفعٌ لظلم وقع على بريء. ولذلك لم يجعل الإمام حريته في الخروج من السجن ثمنًا للتنازل عن موقفه الحق.

لقد أراد هارون إخضاعه، لكن الإمام بقي مصرًّا على أن يكون عبدًا لله، لا تابعًا للظالم فيما يطلبه من باطل. وهذه هي الحرية التي جسّدها: حُبس جسده، لكن ضميره لم يصبح أسيرًا لَمن حبسه، ولم ينتزع منه التهديد باستمرار السجن الإقرار الذي أراده هارون.

وهكذا جسّد الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحرية بثباته على طاعة الله أمام الإغراء والتهديد. وأجمل ما نقدّمه في ذكرى ولادته أن نقتدي به، ونسأل أنفسنا: ما القيد الذي أحتاج إلى التحرر منه؟ أهو تعلّق بمعصية، أم طمع في مال، أم خوف من إنسان يدعوني إلى مخالفة الله؟ وما الخطوة التي أبدأ بها اليوم لأكون أصدق في عبوديتي لربّي؟

لقد خرج بشر من داره مسرعًا حين أيقظته كلمة الإمام؛ فلنستجب نحن أيضًا لما وصل إلينا من هدايته، ولا نؤخّر التوبة انتظارًا لوقت آخر. ولنترجم محبتنا له إلى صلاة نحافظ عليها، وأمانة نؤديها، وظلم نتركه، وستر وحجاب نلتزم بهما طاعةً لله، وحق نعيده إلى صاحبه.

ولنجعل ذكرى ولادة إمامنا السابع موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأبواء سنة ١٢٨هـ فرصةً لتجديد عهدنا باتباعه، والتوسّل به إلى الله أن يعيننا على طاعته والتحرّر من أسر المعصية.

يا أبا الحسن، يا موسى بن جعفر، يا عبد الله الصالح، نستضيء بسيرتك التي علّمتنا أن كرامة الإنسان تحفظها طاعته لله، وأن السلاسل قد تقيّد الجسد، لكنها لا تملك قلبًا أخلص لربّه. فسلام عليك إمامًا هاديًا، وقدوةً في العبادة والثبات، وبابًا للحوائج

نتوسّل بك إلى الله في كشف الكروب وقضاء الحاجات.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، واجعل فرحنا بوليّك فرحًا يصحبه اقتداء، ومحبتنا له محبةً تثمر طاعة. وارزقنا بشفاعته توبةً صادقة، وأعنّا على مجاهدة أنفسنا؛ لنكون عبادًا مخلصين لك، أحرارًا من كل ما يدعونا إلى معصيتك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبهذه المحبة، وهذا الرجاء، نختم بأبيات الشيخ عبد الحسين الحياوي في مدح الإمامين الكاظمين، موسى بن جعفر ومحمد الجواد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[٢٨٧]:

جانب الكرخ شأن أرضك شيّد ... قبر موسى بن جعفر بن محمد
بشرى طاول الثريا مقاما ... دون أعتابه الملائك سجد
ضم منه الضريح لاهوت قدس ... ليديه تلقى المقادير مقود
من عليه تاج الزعامة في الدين ... امتنانا به من الله يعقد
وقد تجلى للخلق في هيكل ... الناس لكنه بقدس مجرد
هو معنى وراء كل المعاني ... صوّب الفكر في علاه وصعد
سابع الصفوة التي اختارها ... الله على الخلق أوصياء لأحمد
هو غيث إن أقلعت سحب الغيث ... وغوث إن عز كهف ومقصد
كان للمؤمنين حصنا منيعا ... وعلى الكافرينا سيفا مجرد
أخرجوه من المدينة قسرا ... كاظما مطلق الدموع مقيد
حرّ قلبي عليه يقضي سنينا ... وهو في السجن لا يزار ويقصد
مثل موسى يرمى على الجسر ميتا ... لم يشيعه للقبور موحد
حملوه وللحديد برجليه ... دوي له الأهاضب تنهد

عودة إلى الفهرس



١٧ شهر صفر

ذكرى إستشهاد ثامن الحجج امامنا الرضا (عليه السلام) سنة ١٢٨ هجرية

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
الحت على الأحشاء بالزفرات

الشريف الرضي

أعظم الله لكم الأجر

اليوم السابع عشر من شهر صفر

المناسبة: شهادة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للسيد صالح القزويني

يـا أرضَ طـوسٍ تجـاوزتِ السـماءَ عُـلاً ... إذ لابـن موسـى الرضـا ضُمّنـتِ جثمانـا

فيـــا غريبـا قضى بالسـم منفردا ... أبكـى الأعـادي وأَصمـى الإنـسَ والجانـا

فهـل درى البيـتُ بيـتُ اللّهِ أنْ هَدَمَتْ ... منـه عتاةُ بني العبـــــاسِ أركانا

وهل درت هاشـــــمٌ أَنَّ ابنَ سيدِها ... قضـى غريبـا مَـروعَ القـــــلبِ حرّانـا

وهـل درت يثـــــربٌ أَلوتْ نضارتَها ... وسامها الدهـــــر بعد العزِّ نقصانا

وهـل درى مَـن بـه كوفـانُ قـد فَخَـرت ... بمـا انطـوى مـن فَخـــــارٍ في خراسـانا

وهـل درى الكـرخُ مـا في طـوسِ مـن نُـوَبٍ ... جلَّت وقوعـــــا وما منها الرضا عانا

وهـل درى مـن بسـامراءَ أنْ غـدرت ... أعداؤُهـم بالرضـــــا ظلمـا وعدوانـا

فلتبكِـه الأرضُ حزنـا والسـماءُ دمـا ... والأنسُ والجـــنُّ والأملاكُ أشجانا[٢٨٨]

عودة إلى الفهرس

(نصاري)

يعيني اعلى الرضا صبّي الدمع دم ... عزيز الروح بفراش المرض تم

خلص گلبه ابونينه او مرّده السم ... وگع من ساعته او مدد الرجلين

وگع من ساعته الله أكبر ... على افراش المرض گلبه تفس

ونّ اونين طر گلب الصخر طر ... على صوب المدينه مد اليمين

شبح عينه او نظر صوب المدينه ... چنه يومي اعليها ابيمينه

لن ابنه دخل ليه ابونينه ... هو فوگه يجبه على الخدين

شبگ فوگه الجواد ابگلب ملهوف ... او عاين حالته واللون مخطوف

يبويه موتكم بسموم واسيوف ... او لابد ماتواسيكم العدلين[٢٨٩]



عنوان المحاضرة السادسة:

الانتظار بين السلب والإيجاب

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله».[٢٩٠]

المبحث الأول: حقيقة انتظار الفرج

وردت عن النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ روايات عديدة تؤكّد فضل انتظار الفرج وتحثّ المؤمنين عليه؛ فروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أفضل العبادة انتظار الفرج».[٢٩١] وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «انتظار الفرج من الله عبادة».[٢٩٢] وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أفضل جهاد أمّتي انتظار الفرج».[٢٩٣] وعن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج».[٢٩٤]

وهنا يبرز السؤال: ما حقيقة الانتظار الذي استحقّ هذه المنزلة؟ فالصلاة عمود الدين، وقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في شأنها: «قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها»[٢٩٥]. وبيّنت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أنّ الله جعل الزكاة تزكيةً للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تشييدًا للدين، والجهاد عزًّا للإسلام[٢٩٦].

فمع عظمة هذه الطاعات وآثارها، كيف نفهم أفضليّة انتظار الفرج؟ وما الذي يتضمّنه حتى وصفته الروايات بهذه الأوصاف العظيمة؟

وهل يكفي لنيل هذه المنزلة أن يتمنّى الإنسان زوال الظلم ومجيء الفرج، أم أنّ

عودة إلى الفهرس

الانتظار الذي تدعو إليه تعاليم النبي وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتضمّن معنًى أعظم من ذلك؟

وللإجابة عن ذلك، لا بدّ أوّلًا من توضيح معنى الانتظار والفرج، ثمّ بيان المقصود بانتظار ظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ليتّضح لنا وجه هذه المنزلة، وما يقتضيه الانتظار من المؤمن في فكره وسلوكه وعمله.

أولاً: بيان معنى الانتظار والفرج

«الانتظار» هو الترقّب[٢٩٧]؛ فحين نقول: ننتظر قدوم شخص، نعني أنّنا نترقّب مجيئه، وحين نقول: ننتظر حصول أمر، نعني أنّنا نترقّب وقوعه. وقد ينتظر الإنسان أمرًا يحبّه، كانتظار عودة عزيز، وقد ينتظر أمرًا يخشاه، كانتظار نتيجة قد تحمل خبرًا مؤلمًا. فالانتظار يتعلّق بأمور مختلفة، وتختلف مشاعر الإنسان بحسب ما ينتظره.

وحين يكون المنتظَر محبوبًا، تشتاق النفس إليه وتتهيّأ له. فالأمّ التي تنتظر عودة ولدها من سفر طويل تفكّر في لقائه، وتتابع أخبار وصوله، وتُعدّ له الطعام الذي يحبّه. وقد يعرف الجيران أنّه سيعود، لكنّ انتظارهم لا يكون كانتظارها؛ فالمعرفة وحدها تختلف عن الترقّب المصحوب بالمحبّة والشوق والاستعداد.

وقد شرح السيد محمد تقي الموسوي الأصفهاني حقيقة الانتظار بقوله: «وهو كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره، وضده اليأس، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكد».[٢٩٨] أي إنّه حالة في النفس تدفع إلى الاستعداد، ويقوى هذا الاستعداد بازدياد الاهتمام بما ننتظره.

وأمّا «الفرج» فهو انكشاف الشدّة وزوال الضيق؛ فالمريض يرجوه بالشفاء، والمظلوم برفع الظلم وإعادة حقّه، والخائف بالأمن، والمهموم بزوال ما يُحزنه. وقد يكون الفرج خاصًّا بإنسان أو أسرة، أو يشمل مجتمعًا أو أمّة.

وانتظار فرج الله بمعناه العام هو رجاء كشف الشدّة برحمته وتدبيره، وعدم اليأس حين تضيق الأمور. فقد لا يعرف الإنسان طريق الخلاص، لكنه يثق بقدرة الله على

فتح باب لم يتوقّعه؛ فخفاء طريق الفرج علينا لا يعني استحالته.

ثانيًا: المقصود بانتظار الفرج في الروايات

وبعد أن اتّضح المعنى العام لانتظار الفرج، نأتي إلى السؤال الأساس: ما حقيقة انتظار الفرج الذي تدعونا إليه الروايات؟

ولتوضيح حقيقته نتأمّل في المعاني الآتية:

١. نحن ننتظر ظهور إمام موجود حيّ

الإمام الذي ننتظره، وفق عقيدة الشيعة الإمامية، هو الإمام محمد بن الحسن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وقد وُلد في سامرّاء، في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية، وهو حيّ غائب بأمر الله تعالى؛ فنحن ننتظر ظهوره، ولا ننتظر ولادته مستقبلًا، خلافًا للمشهور عند أهل السنّة.

وهو إمام زماننا الذي نؤمن بوجوده وإمامته، وإن لم نعرف مكانه ولم نره؛ فنحفظ محبّته وولاءه، وندعو بتعجيل فرجه، ونلتزم بدين الله الذي يدعو إليه.

وقد رُوي عن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره».[٢٩٩] فعلاقتنا به قائمة في الغيبة والظهور؛ ننتظره غائبًا، ونطيعه ظاهرًا.

٢. نحن ننتظر تحقّق الوعد الإلهي

يرى المؤمن ما يقع من ظلم وحروب، لكنه يؤمن بأنّها لن تكون نهاية البشرية، وأنّ الله سيُظهر وليّه ويقيم على يديه دولة الحقّ والعدل.

فقد روى النعماني بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

﴿أَمَّنْ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.[٣٠٠] قال: «نزلت في القائم وأصحابه»[٣٠١].

فالفرج المنتظَر يشمل تمكين الدين، ورفع الخوف، وعبادة الله، وإقامة العدل. ولذلك تتّسع آمال المؤمن؛ فيرجو شفاء مريضه وقضاء حاجته، ويرجو كذلك أمن الناس ورفع الظلم عنهم.

٣. نحن نشتاق إلى الإمام وإلى العدل الذي يقيمه

يحبّ المؤمن إمامه ويشتاق إلى لقائه، ويرجو أن يرى الحقّ منصورًا، والمظلوم محفوظ الحقوق، والعدل قائمًا بين الناس.

وهذا يدعوه إلى مراجعة نفسه: هل يحبّ العدل حين يعيد إليه حقّه فقط، أم يقبله حين يُلزمه بأداء حقوق الآخرين؟ وهل يرضى بردّ مال أخذه بغير حقّ، أو ترك منفعة حصل عليها بظلم غيره، وإن خسر شيئًا يحبّه؟

فانتظار الإمام يتضمّن قبول قيادته وعدله. وسنعود في المبحث الرابع إلى تطبيقات نختبر بها صدق هذا الاستعداد.

وبذلك يتّضح أنّ انتظار الفرج هو ترقّب ظهور الإمام الحيّ الغائب، مع الإيمان بوعد الله، والشوق إلى إقامة الحق على يديه، والاستعداد لطاعته ونصرته. وبعد معرفة هذا المعنى، يأتي السؤال: كيف يكون انتظارنا صحيحًا؟ وهذا ما نبحثه في بيان الانتظار السلبي والإيجابي.

المبحث الثاني: الانتظار السلبي والإيجابي

قد يشترك إنسانان في الإيمان بظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الدعاء بتعجيل فرجه، لكنّ أثر هذا الإيمان في حياتهما يختلف؛ فأحدهما يرى في الانتظار سببًا للصبر والعمل والإصلاح، والآخر يؤجّل مسؤوليته، ويقول: «حين يظهر الإمام يصلح كلّ شيء».

ومن هنا يأتي السؤال: ما الانتظار الذي تدعونا إليه تعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ وهل يكفي أن نتمنّى ظهور الإمام، أم أنّ لهذه الأمنية مقتضيات تظهر في سلوكنا؟

إنّ غيبة الإمام لا تُوقِف مسؤوليتنا؛ فالصلاة واجبة، والظلم محرّم، والأمانة وحقوق الناس يجب أداؤها. فهل ننتظر الفرج ونحن نؤدّي هذه الواجبات، أم نجعله عذرًا لتركها؟

وللإجابة عن ذلك، نبيّن في المطلب الأول مواقف الناس من الانتظار والفرق بين صورتيه السلبية والإيجابية، ثم نعرض في المطلب الثاني النصوص الشرعية التي تؤكّد اقترانه بالعمل والطاعة.

المطلب الأول: مواقف الناس وحقيقة الانتظار المطلوب

تختلف مواقف الناس بحسب معرفتهم بالإمام واهتمامهم بانتظاره، ويمكن تقريبها في أربعة أقسام، وهي أوصاف قابلة للتغيّر، وليست أحكامًا على سرائر الأشخاص:

١. من لم يتّضح لديه الاعتقاد بالإمام وظهوره

قد يسمع الإنسان باسم الإمام، لكنه يجهل أدلّة إمامته، أو تلتبس عليه حقيقة الغيبة، أو تعرض له أسئلة لم يجد جوابها، وقد ينكر القضية. وهذا يحتاج إلى توضيح العقيدة وأدلّتها والإجابة عن أسئلته؛ فالنشأة في أسرة مؤمنة لا تُغني عن المعرفة والتعلّم.

٢. من يؤمن بالإمام، لكنّ الانتظار غائب عن اهتمامه

فهو يؤمن بإمامة المهدي وظهوره، لكنه يغفل عن علاقته بإمامه وانتظاره، فيحتاج إلى ما يذكّره ويجدّد شوقه إليه. والمقصود غياب هذا الاهتمام، لا مجرّد انشغاله بأسرته وعمله أو قلّة حديثه عن الإمام.

عودة إلى الفهرس

٣. من ينتظر انتظارًا سلبيًا

وهو الذي يرجو الظهور، لكنه يفصل هذا الرجاء عن مسؤوليته الحاضرة؛ فيتحدّث عن الإصلاح الآتي على يدي الإمام، ويترك ما يستطيع إصلاحه الآن.

٤. من ينتظر انتظارًا إيجابيًا

وهو الذي يجمع بين الإيمان بالظهور، والشوق إلى الفرج، والعمل بما كلّفه الله به؛ فيحفظ رجاءه بإمامه، ويسعى إلى أن يكون أهلًا لطاعته ونصرته.

وبعد هذا التقسيم، يتّضح أنّ من يترقّبون الظهور قد يختلفون في أثر انتظارهم على حياتهم؛ فمنهم من ينتظر مع ترك المسؤولية، ومنهم من ينتظر وهو يؤدّيها. وهاتان هما صورتا الانتظار السلبي والإيجابي، ونوضّحهما فيما يأتي:

١. الانتظار السلبي

الانتظار السلبي هو ترقّب ظهور الإمام مع اتخاذ هذا الترقّب عذرًا لترك الواجب أو الإصلاح الممكن، وكأنّ مسؤوليته عن الإصلاح لا تبدأ إلا عند ظهوره.

وقد يظهر في عبارات مألوفة، مثل: «لن يتغيّر شيء»، أو «نترك الأمر للإمام»، أو «مهما فعلنا فلن نصلح العالم».

وصحيح أنّ الفرد لا يستطيع إصلاح العالم كله، لكنّه يستطيع أداء مسؤولية محدّدة فيه. فالأب لا يملك تغيير جميع البيوت، لكنه مسؤول عن تربية أولاده. والتاجر لا يملك إزالة الغش من الأسواق، لكنه يستطيع أن يكون أمينًا في متجره. والمعلّم لا يستطيع تعليم جميع الناس، لكنه يستطيع أن يحسن تعليم طلابه.

فإذا ترك كلّ واحد ما يقدر عليه بحجّة أنّ الإصلاح الكامل لم يتحقّق، تعطّلت مصالح كثيرة، واستمرّ ظلم كان بالإمكان رفعه.

ومن صوره أن ينشغل الإنسان بأخبار الظهور وتوقّعاته، ويهمل مالًا أخذه بغير

حقّ، أو أمانة لم يؤدّها، أو إساءة يصرّ عليها. فالخلل أن يحلّ الاهتمام بأخبار الظهور محلّ الطاعة، بدل أن يدفع إليها.

٢. الانتظار الإيجابي

الانتظار الإيجابي هو ترقّب ظهور الإمام برجاء ثابت، يصاحبه التزام بالتكليف وسعي في الإصلاح بحسب القدرة والضوابط الشرعية، استعدادًا لطاعته ونصرته.

فالمنتظر لإمام العدل يجتنب الظلم، ويتعلّم أحكام دينه، ويربّي نفسه على الصدق والأمانة والثبات. وإذا أخطأ تاب وصحّح خطأه، وإذا ضيّع حقًّا سعى إلى أدائه.

ولا تُقاس إيجابية الانتظار بكثرة النشاط الظاهر؛ فقد يفتقر النشاط إلى الإخلاص أو يخالف الشرع. وقد تؤدّي امرأة ترعى أسرتها بأمانة، أو شاب يتعلّم علمًا نافعًا، أو عامل يحفظ الحقوق، مسؤوليتها أو مسؤوليته بصدق أكبر من كثير الكلام قليل الالتزام. فالمعيار صحّة العمل والإخلاص وأداء التكليف بحسب القدرة والموقع.

ويمكن تقريب الفرق بين رجاء يصاحبه عمل، ورجاء يكتفي صاحبه بالتمنّي، بالأمثلة الآتية:

مثال المريض: يرجو مريضان الشفاء؛ فيلتزم أحدهما بالعلاج، ويتركه الآخر مكتفيًا بتمنّي العافية. فالأول جمع الرجاء والأخذ بالأسباب، مع بقاء الشفاء بيد الله.

ومثال الطالب: من ينتظر النجاح يدرس ويتدرّب ويسأل عمّا يجهله، أمّا المهمل الذي يتمنّى الشهادة فلم يتهيّأ لها. وكذلك يسأل المنتظر نفسه: ماذا أعددت من صدق وأمانة وثبات؟

ومثال الحيّ الذي تنتشر فيه النفايات: انتظار مشروع شامل لتنظيفه لا يمنع أهله من حفظ نظافة بيوتهم والطريق القريب منهم، وإزالة ما يستطيعون؛ فالإصلاح المحدود نافع وإن لم يحلّ جميع المشكلات.

وهكذا لا ندّعي أنّ جهودنا الفردية تقيم العدل العالمي الذي يقوم به الإمام، لكنّنا لا نهمل خيرًا نستطيعه بحجّة انتظار ذلك اليوم.

عودة إلى الفهرس

وبعد اتّضاح الفرق بين الصورتين، ننتقل إلى النصوص الشرعية؛ لنعرف كيف تؤكّد أنّ الانتظار الممدوح يصاحب الطاعة والعمل، ولا يعطّل مسؤولية الإنسان.

المطلب الثاني: النصوص الشرعية الدالة على اقتران الانتظار بالعمل

نستعين في بيان ذلك بالنصوص الآتية من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مع توضيح موضع الاستشهاد في كلّ منها:

أولًا: النصوص القرآنية

تُظهر الآيات الآتية اجتماع الانتظار مع العمل والثبات، وإن لم تكن واردة في انتظار الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالخصوص:

١. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.[٣٠٢]

يأمر الله تعالى نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هاتين الآيتين أن يخاطب الذين لا يؤمنون، مبيّنًا أنّه والمؤمنين مستمرّون في العمل بما أمرهم الله، ومنتظرون تحقّق وعده.

فهل كان انتظار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للنصر يعني أن يجلس ويترك الدعوة والعمل؟ لقد كان يرجو نصر الله، ويسعى إليه؛ فيبلّغ ويبشّر وينذر، ويدعو ويهاجر ويجاهد، ويتحمّل في سبيل رسالته الأذى والمشقّة، حتى كُسرت رباعيته وشُجّ وجهه. فلم يكن ينتظر أن يأتيه النصر من دون سعي، بل كان يعمل ويأخذ بالأسباب، مستعينًا بالله ومتوكّلًا عليه.

وهذا هو موضع الشاهد: فقد اجتمع في الآيتين العمل والانتظار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾. فالانتظار في هذا الموضع مقترن بالعمل، ولم يكن سببًا لتركه أو تأجيله. وكذلك ينبغي للمؤمن أن ينتظر الفرج وهو يؤدّي مسؤوليته، لا أن يجعل انتظاره عذرًا للتخلّي عنها.[٣٠٣]

٢. قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.[٣٠٤]

تمدح الآية الكريمة هؤلاء المؤمنين لصدقهم في الوفاء بعهدهم مع الله، وثباتهم على نصرة الحق؛ فلم تكن نصرتهم مجرّد كلام، بل أثبتوها بمواقفهم وتضحياتهم. ثم تبيّن حالهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾، أي منهم من وفى بعهده حتى نال الشهادة، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، أي منهم من بقي حيًّا ثابتًا على عهده.

فهل كان انتظاره أن يجلس ويضع يده على خدّه، تاركًا العمل والقتال؟ كلا؛ بل يواصل السعي والجهاد، راجيًا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. وقد ذُكر انتظار النصرة أو الشهادة ضمن تفسير الآية في «مجمع البيان»[٣٠٥]. فسبب المدح صدق الوفاء والثبات: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

فانتظاره لم يُعطّل عمله، ولم يُضعف استعداده للتضحية؛ بل بقي وفيًّا بعهده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. وهذا هو سبب المدح؛ إذ لو تخلّى عن نصرة الحق وترك واجبه، لما كان صادقًا في الوفاء بما عاهد الله عليه.

وقد تلا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الآية يوم عاشوراء في حقّ أصحابه الأوفياء؛ فقد جسّدوا معناها بثباتهم تحت رايته، فمنهم من قضى نحبه ونال الشهادة، ومنهم من بقي ينتظر، مواصلًا نصرة إمامه، مستعدًّا لبذل نفسه، من دون أن يتراجع أو يبدّل عهده.

وكذلك انتظارنا لظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا يعني أن نترك العمل والإصلاح، ونقول: «حين يظهر الإمام ينصر الدين ويقيم العدل»، بل ننتظره ونحن نطيع الله، وننصر دينه بما نستطيع وبالطرق المشروعة، ونؤدّي حقوق الآخرين، ونجاهد أنفسنا الأمّارة بالسوء؛ فنقاوم ما تدعونا إليه من معصية وظلم وتكاسل عن الواجب.

فكما انتظر أولئك المؤمنون وهم ثابتون على عهدهم، ينبغي أن ننتظر إمامنا ونحن ثابتون على ديننا، عاملون بتكليفنا، نهيّئ أنفسنا لطاعته ونصرته.

عودة إلى الفهرس

ثانيًا: النصوص الروائية

لقد وردت عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ روايات عديدة تربط الانتظار بالسعي والطاعة والعمل الصالح، نذكر منها الروايتين الآتيتين:

١. رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئًا لكم أيتها العصابة المرحومة».[٣٠٦]

وجه الاستدلال: الواو في «وهو منتظر» حالية؛ أي ليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق حال كونه منتظرًا، فيجتنب المعاصي ويُحسِن سلوكه أثناء الانتظار. وقوله: «فجدّوا وانتظروا» يدعو إلى بذل الجهد في الطاعة، واجتناب التهاون؛ فالانتظار المطلوب يصاحبه عمل وإصلاح.

٢. رُوي عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في حديثه مع أبي خالد الكابلي:

«يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسيف، أولئك المخلصون حقًّا، وشيعتنا صدقًا، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرًّا وجهرًا».[٣٠٧]

وجه الاستدلال: وصف الإمام الأشخاص أنفسهم بأنّهم «المنتظرين لظهوره»، و«الدعاة إلى دين الله»؛ فهم ينتظرون ويُسهمون في هداية الآخرين بحسب علمهم وقدرتهم. فالانتظار الممدوح يجتمع مع صلاح النفس وإصلاح الآخرين.

ولتقريب ذلك، نتأمّل في الزارع: يبذر الأرض ويسقيها ويعتني بها، ثم ينتظر الثمرة، عالمًا أنّ الإنبات بقدرة الله. أمّا من ترك أرضه بلا بذر ولا عناية، ثم انتظر محصولًا، فلم يأخذ بأسبابه.

والمقصود تقريب معنى الاستعداد، لا أنّ الإنسان يضمن بعمله حصول الظهور أو يحدّد وقته؛ فالمؤمن يؤدّي تكليفه، ويهيّئ نفسه للنصرة، ويرجو الفرج، مسلّمًا لله في وقته.

المبحث الثالث: أبعاد انتظار الفرج وآثاره

بعد معرفة الانتظار الصحيح واقترانه بالعمل، يأتي سؤالان: ما أبعاد انتظار ظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أي ما الجوانب التي يتّصل بها في بناء الإنسان؟ وما آثاره في حياة المؤمن؟

وللإجابة، نتناول أبعاده التربوية والعقائدية والروحية وآثارها فيما يأتي:

أولًا: البُعد التربوي وآثاره

يسهم الانتظار الواعي في تربية الإنسان وإعداده لنصرة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتتّضح آثاره التربوية في النقاط الآتية:

١. تربية النفس على الاستعداد

يدفع الانتظار المؤمن إلى الاستعداد لطاعة الإمام ونصرته، بالتدرّب على الالتزام بأحكام الله، ومخالفة الهوى، وحسن الخلق؛ حتى يعتاد الاستجابة للحقّ قبل الظهور.

ولتقريب المعنى بمثال تربوي: لو طُلب من جنود أن ينتظروا استدعاءهم لمهمّة، فهل يكتفون بالقعود، أم يستعدّون لها بالتدريب؟ إنّهم يتدرّبون على تنفيذ التعليمات واجتياز الحواجز والأسلاك الشائكة والمرتفعات، ويواجهون مشقّات تحاكي ظروف الميدان. وقد يتعثّر أحدهم، ثم يتعلّم من خطئه، ويكرّر المحاولة حتى يصبح أقدر على أداء مهمّته. ولهذا كانت بعض جدّاتنا تقول للكسول كثير التذمّر: «تحتاج إلى الجنديّة»؛ تقصد أنّه يحتاج إلى ما يعوّده الانضباط وتحمّل المشقّة.

وكذلك يدرّب المنتظر نفسه على الصلاة، وضبط لسانه عند الغضب، وأداء

عودة إلى الفهرس

الحقوق وإن خالفت رغبته. وقد يتأذّى لالتزامه، كالمحجّبة التي تواجه السخرية، والشابّ الذي يُستهزأ به لامتناعه عن الغناء المحرّم؛ فيحتاج إلى الصبر والاستعانة بالله لينجح في امتحانه، ولا يترك الطاعة طلبًا لرضا الناس. وقد قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحابه:

«إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد». ثم قال هكذا بيده: «فأيّكم يمسك شوك القتاد بيده؟». ثم أطرق مليًّا، ثم قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد وليتمسّك بدينه»[٣٠٨].

والقتاد نبات شديد الشوك، وخَرْطه نزع شوكه باليد؛ فالتشبيه يوضّح مشقّة التمسّك بالدين زمن الغيبة. ومثله تشبيه الصابر على دينه بالقابض على الجمر في الحديث المرويّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ وهذا يبيّن حاجة المنتظر إلى تربية تهيّئه لمواجهة الفتن.

٢. تنمية القدرة على تحمّل المسؤولية

يربّي انتظار الإمام المؤمن على تحمّل المسؤولية؛ لأنّ نصرة الحقّ تحتاج إلى صبر ومثابرة، وقد تتطلّب تضحية ومواجهة للأذى. فيتعلّم ألّا يتراجع عن واجبه لمجرّد التعب أو تأخّر النتيجة؛ فالمربّي يصبر على تكرار التوجيه، والمعلّم على صعوبات التعليم، والمصلح على ما يواجهه من رفض وسوء فهم.

وقد رُوي عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»[٣٠٩]. فالحديث يبيّن عظيم منزلة الثبات على الإيمان بالإمام في غيبته، وتحمّل ما يواجهه المؤمن في سبيل ذلك.

كما ردّ الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ على توهّم استقامة أمر المهدي بلا مشقّة، فقال: «كلا، والذي نفسي بيده لو استقامت عفوًا لاستقامت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين أُدميت رباعيّته وشُجّ في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق»[٣١٠]؛ والعلق هنا الدم، فالحديث يبيّن أنّ إقامة الحقّ يصاحبها جهد

وتضحيات، ويشارك الأنصار إمامهم في تحمّلها.

فالروايتان تبيّنان منزلة الصبر في الغيبة، وما يصاحب إقامة الحقّ من جهد وتضحيات؛ فيتهيّأ المؤمن لتحمّل مسؤوليته، وخدمة الحقّ اليوم، ومشاركة إمامه في نصرته عند الظهور.

٣. تطوير العلم والمهارات النافعة

يدفع الانتظار الواعي المؤمن إلى تنمية علمه ومهاراته؛ ليكون أقدر على خدمة الدين والناس، فالرغبة في النفع تحتاج إلى معرفة صحيحة وقدرة على أداء العمل وإتقانه.

فالطالب يجتهد في دراسته ليتأهّل لعمل نافع، والمربّية تتعلّم أساليب فهم الأطفال وتوجيههم، والطبيب يطوّر خبرته في العلاج، والخطيب يتعلّم البحث والتحقّق من المصادر وحسن عرض الأفكار.

وهكذا يحفّزه الشوق إلى النصرة على التعلّم ومعالجة ضعفه، واستثمار قدراته فيما ينفع، استعدادًا للخدمة فيما يُكلَّف به.

٤. توسيع الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع

المنتظر يتطلّع إلى إمام يقيم العدل وينصر المظلوم؛ ولذلك يتربّى على الاهتمام بالآخرين، بدءًا بأسرته وأرحامه، وصولًا إلى مجتمعه؛ فيبرّ والديه، ويصل رحمه، ويساعد المحتاج، وينصف المظلوم، ويجتنب ما يزرع العداوة والشحناء بين الناس.

ويرتبط بهذا المعنى ما جاء في الرسالة الثانية المنسوبة إلى الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الشيخ المفيد: «ولو أنّ أشياعنا ـ وفّقهم الله لطاعته ـ على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا، ..»[٣١١].

فاجتماع القلوب على الوفاء يحتاج إلى حفظ الحقوق والتراحم والتعاون واجتناب الظلم والقطيعة؛ وهي من مقتضيات طاعة الله. وبذلك تظهر محبّة الإمام في الإحسان إلى الناس والإصلاح بينهم.

عودة إلى الفهرس

ثانيًا: البُعد العقائدي وآثاره

يقوم الانتظار على معرفة الإمام والإيمان بإمامته، والتصديق بوعد الله بظهوره وإقامة العدل على يديه. ومن النصوص المتّصلة بهذا الوعد قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.[٣١٢]

وقد نقل الشيخ الطبرسي، في تفسير الآية، عن العياشي بإسناده إلى الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قرأها وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهديّ هذه الأمّة، وهو الذي قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا»[٣١٣].

وهذا الإيمان بوعد الله وظهور وليّه يترك آثارًا في اعتقاد المؤمن ومشاعره وعلاقته بإمامه، نوضّحها في النقاط الآتية:

١. اليقين بتحقّق الوعد الإلهي

قد يرى الإنسان قوّة الظالمين وضعف المظلومين، فيستبعد إقامة العدل. أمّا المؤمن فيوقن بأنّ الله لا يخلف وعده؛ لأنّ خُلف الوعد قبيح، وهو سبحانه منزّه عن القبيح. ولذلك سيحقّق على يدي وليّه ما وعد به من تمكين الدين والعدالة الشاملة التي دعا إليها الأنبياء والرسل.

وله في فرعون عبرة؛ فقد قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[٣١٤]، وكان يذبّح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، أي يُبقيهنّ أحياء. ومع سلطانه وجنوده أغرقه الله وأنجى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه؛ فلم تردّ قوّته عنه أمر الله.

وكذلك القوى المتكبّرة لا تستطيع إبطال وعده مهما عظمت. وهذا اليقين يحفظ إيمان المنتظر؛ فلا ينبهر بالطغاة، ولا ينقاد لباطلهم، ولا يجعل اشتداد الظلم دليلًا على استحالة الفرج.

٢. دوام الارتباط بالإمام ومعرفته

من ثمرات الانتظار الواعي أنّه يحفظ صلة المؤمن بإمام زمانه؛ فهو يؤمن بإمامته، ويحفظ ولاءه، ويسعى إلى طاعة الله والالتزام بنهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، سواء أدرك الظهور أم لم يدركه. فمعرفة الإمام والائتمام به مطلوبان في حضوره وغيبته، ولا تتوقّف مسؤوليّة المؤمن تجاهه على رؤيته.

وقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[٣١٥]. وروى الشيخ الصدوق أنّ الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئل عن هذا الخبر، فقال: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»، ثم بيّن أنّ الإمام بعده ابنه محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ.[٣١٦]

ومعرفته تتجاوز اسمه ونسبه إلى الإيمان بأنّه حجّة الله، والتسليم لما ثبت من أمره، والعمل بالدين الذي يدعو إليه. وقد تقدّم شرح الحديث في الجزء الأوّل من هذا الكتاب «زاد المبلّغين».

ومن هنا نفهم قول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعرف إمامك فإنّك إذا عرفت لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر»[٣١٧].

فتأخّر الظهور لا يغلق أمام المؤمن طريق الهداية؛ إذ يبقى عارفًا بإمامه، ثابتًا على ولايته، عاملًا بتكليفه. وهذا الارتباط يعينه على مقاومة الانحراف، ويجعله يرجو النجاة في الآخرة، مستحضرًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٣١٨]؛ فيكون ولاؤه إيمانًا واتّباعًا.

٣. مقاومة اليأس وتجديد الدافع إلى العمل

حين يثبت الإيمان بالفرج في قلب المؤمن، يثمر أملًا يعينه على الصبر؛ فهو يرجو ظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويؤمن بأنّ الظلم ليس النهاية المحتومة للبشرية. وهذا الرجاء يخفّف استسلامه للإحباط، ويقوّي عزيمته على مواصلة الطاعة والإصلاح.

رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله».[٣١٩] فهذا الرجاء والأمل يعين المؤمن على مواصلة الطاعة، بدل الاستسلام لليأس وترك

المسؤولية.

ولتقريب ذلك، لنتصوّر شخصين تحطّمت بهما سفينة، فبقيا يصارعان الأمواج طلبًا للنجاة، ثم أبعدت الأمواج أحدهما عن الآخر. رأى أحدهما سفينة من بعيد يمكن أن تنقذه، أمّا الآخر فلم يرَ أيّ وسيلة للنجاة.

فأيّهما يكون أشدّ أملًا، وأقدر على الصبر ومواصلة مقاومة الأمواج؟ إنّه الذي رأى السفينة؛ فقد منحه رجاء النجاة دافعًا إلى بذل مزيد من الجهد، ومحاولة لفت انتباه من فيها، رغم ما يشعر به من تعب. أمّا الآخر فقد يكون أشدّ عرضة لليأس والاستسلام؛ لأنّه لا يرى أمامه سبيلًا للخلاص.

وهكذا يقوّي الإيمان بالفرج عزيمة المؤمن؛ فهو يرجو ظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويؤمن بأنّ الظلم لن يدوم، فلا يستسلم لليأس، بل يواصل الطاعة والإصلاح، ويؤدّي ما يستطيع من خير، مهما اشتدّت الظروف.

ثالثًا: البُعد الروحي وآثاره

يتعلّق الجانب الروحي بطهارة القلب وإخلاصه لله وقوّة الصلة به، ويسهم انتظار الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تنمية هذا الجانب من خلال النقاط الآتية:

١. إخلاص النيّة لله

حيث يرتقي الانتظار بروح المؤمن من جهة نيّته؛ فيدفعه إلى جعل رضا الله غاية عمله، بدل التعلّق بمدح الناس والشهرة.

فقد يعمل الإنسان عملًا صالحًا، لكنّه ينتظر من الناس أن يمدحوه، أو يحزن لأنّهم لم يعرفوا فضله. وهنا يدعوه صدق الانتظار إلى مراجعة نفسه: هل أريد بهذا العمل رضا الله، أم أريد مكانةً في قلوب الناس؟

فمن يرجو أن يكون من أنصار الإمام يسعى إلى خدمة الحقّ بإخلاص، سواء ظهر اسمه أم لم يظهر. فإذا قام غيره بعمل نافع فرح بنجاحه، ولم يحسده لأنّه نال الاهتمام دونه؛ فغايته أن يُخدم الدين، لا أن ينفرد هو بالمدح.

وبهذا يصبح الانتظار وسيلة للإخلاص وتربية النيّة؛ فيتعوّد المؤمن أن يعمل لله، وأن يطلب القبول منه، بدل أن يجعل ثناء الناس ميزانًا لقيمة عمله.

٢. تطهير القلب ممّا يعوق الطاعة

يسهم الانتظار في تنقية روح المؤمن من الكِبر والحسد اللذين يعوقان قبول الحقّ. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٣٢٠].

فقد يحبّ الإنسان الإمام، لكنه يرفض النصيحة، أو يصعب عليه الاعتراف بخطئه وإنصاف مخالفه. وهنا يسأل نفسه: كيف أرجو طاعة إمامي وأنا أرفض الحقّ حين يخالف رغبتي؟

فيدفعه ذلك إلى معالجة باطنه بالتواضع والصدق مع النفس؛ ليقبل الحقّ، ويترك الظلم ولو وافق مصلحته، ويجاهد حسده وتعلّقه بالمكانة.

٣. تزكية النفس بالثبات على الطاعة في الشدائد

حيث يقوّي الانتظار روح المؤمن في مواجهة الخوف والضغوط، فيعينه على الصبر وتقديم رضا الله على الراحة ومسايرة الآخرين.

فقد يواجه المؤمن في زمن الغيبة ظروفًا تجعل التزامه بدينه صعبًا؛ كأن يتعرّض للضغط أو السخرية بسبب طاعته، أو يخاف أذى الظالمين. وهنا يعينه إيمانه بإمامه ورجاؤه لظهوره على الثبات، فيقدّم رضا الله على الراحة العاجلة أو مسايرة الآخرين في المعصية.

وهذا الثبات يربّي نفسه على الصبر، ويقوّي إرادته في مقاومة الهوى؛ فكلّما اختار الطاعة رغم صعوبتها، كان ذلك من أسباب تزكية نفسه وقربه من الله. كما أنّ ما يتحمّله في سبيل المحافظة على دينه لا يضيع عنده سبحانه.

وقد سأل عمار الساباطي الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العبادة مع الإمام المستتر في دولة الباطل، ومقارنتها بالعبادة عند ظهور الحق، فذكر الإمام مثال صدقة السر، ثم بيّن فضل عبادة المؤمنين مع إمامهم المستتر في حال الخوف من عدوّهم.[٣٢١]

عودة إلى الفهرس

فلا يظنّ المؤمن أنّ عدم إدراك الظهور يحرمه الفضل؛ بل يغتنم زمن الغيبة للعبادة والاستقامة، ويرجو أجر الصبر، مع سؤاله العافية وتعجيل الفرج.

٤. طلب القرب من الإمام بالطاعة وصفاء الباطن

حيث ينمّي الانتظار في روح المؤمن الشوق إلى القرب المعنوي من إمامه، فيدفعه إلى موافقة نهجه وإصلاح قلبه وعمله رجاء نيل رضاه.

إنّ الشوق إلى لقاء الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يدفع المؤمن إلى تزكية نفسه، وإصلاح قلبه وعمله؛ لأنّه يرجو أن يكون قريبًا من إمامه بإيمانه وإخلاصه وطاعته، وأن ينال رضاه بالسير على نهجه. فيجاهد الرياء وحبّ الظهور، ويحرص على إنصاف الناس وحفظ حقوقهم، ويتجنّب ما يكرهه الإمام من معصية وظلم.

وقد ورد في الرسالة المنسوبة إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فما يحبسنا عنهم إلا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم»[٣٢٢]. وهذا يدعو المشتاق إلى مراجعة نفسه: هل يظهر ولائي للإمام في معاملاتي؟ وهل أترك ما يخالف رضاه، كما أتمنّى لقاءه؟

فيسعى إلى الطاعة وصفاء الباطن، سواء تيسّرت رؤيته أم لم تتيسّر؛ فلا يجعل اللقاء علامة لازمة على قبول عمله.

ولتقريب أثر الإنصاف، نذكر بتصرّف حكاية نقلها محمد محمدي الريشهري في «كيمياء المحبّة»: كان أحد العلماء يتمنّى لقاء الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويواصل العبادة والمناجاة وتهذيب النفس، لكنه لم يظفر بأمنيته. ثم أُرشد إلى مدينة سافر إليها بمشقّة، حتى قيل له إنّ الإمام في سوق الحدادين عند صانع أقفال مسنّ.

فأسرع إليه، ووجد الإمام ـ بحسب الحكاية ـ يتحدّث مع الرجل، فسلّم وأُشير إليه بأن يتأمّل ما يجري. وجاءت عجوز ضعيفة تتوكّأ على عصا، تعرض قفلًا وتطلب ثلاث شاهيات لحاجتها؛ والشاهيات عملة كانت متداولة.

ففحص الرجل القفل، وأخبرها أنّه لا ينقصه إلا مفتاح، وأنّ قيمته ثماني شاهيات. لكنّها ألحّت في بيعه بثلاث لحاجتها إلى المال، ووعدته بالدعاء. فأبى استغلال

اضطرارها، وعرض شراءه بسبع، ليبيعه بثمانٍ ويربح شاهيًا واحدًا.

تعجّبت؛ فقد عرضته على غيره ولم تجد من يدفع الثلاث، وهذا يعطيها سبعًا! فدفع إليها المال وانصرفت.

وكان توجيه الإمام للعالم، كما تنقله الحكاية بمعناه: كونوا مثل هذا الرجل في العمل الصالح والإنصاف كي آتي إليكم؛ فقد اشترى القفل بسبعة مع رضا صاحبته بثلاثة، ولم يستغلّ حاجتها، ولذلك أتفقّده كلّ أسبوع.[٣٢٣]

فالعبرة أن يصاحب الدعاء والتوسّل تقوى وإخلاص وإنصاف للناس؛ وهذه الحكاية تُذكر للموعظة، ولا تُجعل وعدًا بأنّ كلّ من أنصف سيحصل له اللقاء.

وبعد اتّضاح حقيقة الانتظار وأبعاده وآثاره، نفهم وجه منزلته العظيمة في الروايات؛ فالانتظار الحقيقي برنامج متكامل لبناء المؤمن، يجمع صحّة الاعتقاد، وإخلاص العبادة، وتزكية النفس، وحسن الأخلاق، وأداء الحقوق، والإصلاح، والاستعداد للنصرة. فتدخل الصلاة والصوم وسائر الطاعات في هذا البرنامج، ويكون المؤمن منتظرًا بقلبه وعمله وسلوكه.

المبحث الرابع: هل نحن صادقون في تمنّي ظهور الإمام؟

قبل أن نختم المحاضرة يبقى سؤال أخير ينبغي أن يقف عنده كلّ واحد منّا: هل نحن صادقون في انتظار الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

نحن نحبّ إمامنا، وندعو بتعجيل ظهوره، ونقول: «اللهم عجّل لوليّك الفرج»، ونقرأ دعاء العهد، ونختم مجالسنا بالدعاء: «اللهم كن لوليّك الحجّة بن الحسن...». وهذه أعمال مباركة نحرص عليها، ولكنّها تدعونا إلى أن نسأل أنفسنا:

هل يصاحب دعاءنا استعدادٌ لطاعة الإمام؟ وهل نحن مستعدّون لقبول العدل الذي ندعو الله أن يقيمه على يديه، حتى حين يقتضي منّا ترك منفعة، أو ردّ مال، أو الاعتراف بخطأ؟

عودة إلى الفهرس

إنّ الفرق قد يكون كبيرًا بين أن نتمنّى مجيء الإمام، وأن نكون مستعدّين للاستجابة له حين يأتي. ولنا في واقعة كربلاء عبرة موجعة؛ فقد تتابعت الرسائل من الكوفة تدعو الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى القدوم وتعده بالنصرة، ثم وقع الخذلان، ووقف بعض من كاتبوه في الجيش الذي واجهه، بينما وفى أنصاره الصادقون بعهدهم وثبتوا معه. فتلك الواقعة تدعونا إلى الحذر من أن نسبق بأقوالنا أعمالنا، وأن نَعِد بالنصرة، ثم نتراجع حين يكون للوفاء ثمن.

ولهذا ينبغي أن نسأل أنفسنا اليوم، ونحن في زمن الغيبة: لو اقتضت طاعة الإمام أن أتخلّى عن أمر أحبّه، أو أن أعيد حقًّا استحوذت عليه، فهل أستجيب؟ أم أريد أن يظهر الإمام ليزيل ظلم الآخرين، وأستثني من ذلك ما يصدر منّي؟

نحن ننتظر إمامًا يقيم العدل، فلا يصحّ أن نرضى بالعدل حين يكون لنا، ونرفضه حين يكون علينا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٣٢٤] ومن هنا يكون الاستعداد لنصرته بمراجعة أنفسنا، وأداء فرائضنا، وترك معاصينا، وتطهير قلوبنا، وإنصاف الناس، وردّ حقوقهم، وتربية النفس على قبول الحقّ ولو خالف رغباتها.

ولتقريب ذلك، لنسأل أنفسنا هذه الأسئلة:

١. هل الزوج أقام العدل في أسرته، فأحسن معاملة زوجته وأدّى حقوقها، أم أهانها وآذاها وحرمها ممّا تستحقّ؟ وإذا وجد من نفسه ظلمًا، فهل هو مستعدّ لرفعه وإصلاح ما أفسده؟

٢. وهل المرأة حفظت عفّتها وحجابها، واجتنبت التبرّج وإظهار الزينة المحرّمة أمام الأجانب، وأدّت حقوق زوجها، أم قدّمت رغباتها على حكم الله؟ وهل تسعى إلى تصحيح تقصيرها وهي ترجو نصرة إمامها؟

٣. وهل المرأة، متزوّجةً كانت أم غير متزوّجة، حفظت حدود الله في علاقتها بالرجال الأجانب، أم أقامت علاقة محرّمة عبر مواقع التواصل أو اللقاءات السرّيّة؟ وهل هي مستعدّة لقطعها والتوبة منها، وإن تعلّق قلبها بها؟ وكذلك الرجل، متزوّجًا

كان أم أعزب، هل يجتنب هذه العلاقات، أم يتمسّك بها وهو يدعو بتعجيل الفرج؟

٤. وهل الإنسان تحرّى الحلال في المال الذي اشترى به بيته، وأدّى ما تعلّق بأمواله من حقوق شرعية، واجتنب الغشّ والخداع وأكل أموال الناس بالباطل؟ أم يريد أن يحتفظ بما أخذه بغير حقّ، ثم يدعو بقيام دولة العدل؟

٥. وهل حفظ لسانه وقلمه عن أعراض الناس وكرامتهم، أم آذاهم بالسبّ والغيبة، وتعمّد تسقيطهم وتشويه سمعتهم بالأكاذيب ليرتقي إلى منصب أو مكانة؟ وهل هو مستعدّ للتوبة وإصلاح ما أحدثه من أذى، ولو استلزم ذلك الاعتراف بخطئه أمام من خدعهم بكلامه؟

إنّ هذه الأسئلة تجعل دعاءنا بالفرج دعوةً إلى محاسبة أنفسنا. فكيف نطلب إمام العدل، ثم نتمسّك بظلم لا نريد رفعه؟ وكيف نرجو أن نكون من أنصاره، ونحن نرفض التنازل عن هوى يخالف أمر الله؟

ولا ينبغي أن نؤجّل هذه المراجعة إلى يوم الظهور؛ فقد تتراكم الحقوق، ويصعب تدارك الأذى، وقد ينقضي العمر قبل أن نصلح ما أفسدناه. ومن صدق الشوق أن نبدأ اليوم، فنردّ ما نستطيع ردّه، ونتوب ممّا نعلمه من ذنوبنا، ونسأل أهل العلم عمّا نجهله من تكليفنا.

كما أنّ علاقتنا بإمامنا لا تبدأ يوم نراه؛ فقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٣٢٥]، وروى الكليني عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير «المؤمنون» أنّه قال: «هم الأئمة»[٣٢٦].

فالله يُطلع حججه على أعمال عباده، وهذا يدعونا إلى مراقبة الله في أعمالنا، في السرّ والعلن، والحياء من أن تُعرض على إمامنا أعمال تخالف نهجه.

وقد يشعر المؤمن بالخجل من تقصيره، لكنّ خجله يدفعه إلى التوبة والإصلاح، ويزيده رجاءً في رحمة الله. أمّا الخطر فهو أن يصرّ الإنسان على الظلم، ويتمسّك بمصلحته المحرّمة، حتى يصبح العدل الذي يدعو إليه بلسانه أمرًا يخشاه في نفسه؛ لأنّه يعلم أنّ إقامته تعني انتهاء اعتدائه وردّ الحقوق إلى أصحابها.

عودة إلى الفهرس

فصدق الانتظار يظهر في استعدادنا للتغيّر، وقبولنا للحقّ، وسعينا إلى أن يجدنا الإمام على طريق طاعته، لا مصرّين على مخالفة نهجه. ولسنا ندّعي لأنفسنا الكمال، ولكنّنا نسأل الله أن يعيننا على تدارك تقصيرنا، وألّا نصرّ عليه، وألّا نحول بين أنفسنا وبين نصرة إمامنا بسبب مال أو شهوة أو مكانة.

وحين نقول: «اللهم عجّل لوليّك الفرج»، فلنضمّ إلى هذا الدعاء عهدًا صادقًا: يا ربّ، أعنّا على إصلاح أنفسنا، وأداء حقوق عبادك، واجعلنا ممّن يقبلون عدل وليّك، سواء أكان لهم أم عليهم؛ حتى يكون فرحنا بظهوره فرحَ من يرجو طاعته ونصرته.

وهكذا ننتظر بقلب صادق إمامًا يُفرّج الله به الهموم والكربات؛ فلا نحصر رجاءنا في خلاص أنفسنا وأهلنا، بل نتطلّع إلى فرج يعمّ الناس، ويُرفع فيه الظلم عنهم، وتُردّ إليهم حقوقهم. وهذا الرجاء عبرّ عنه صاحب هذه الذكرى الأليمة، الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين ذكر مصيبته، وربط انكشاف الهمّ والكرب بقيام الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد رُوي عن أبي الصلت الهروي أنّه قال: «دخل دعبل على أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بمرو فقال له: يا ابن رسول الله؟ إنّي قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: هاتها. فأنشده فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: صدقت يا خزاعي؟ فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم ... أكفا عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات: فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلما انتهى إلى قوله:

(وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمن في الغرفات) قال له الرضا:

عودة إلى الفهرس

أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟!

فقال: بلى يا بن رسول الله. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ... توقد في الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما ... يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل: يا بن رسول الله؟ هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟! فقال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفورا له[٣٢٧].

لقد أخبر الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قبره بطوس، وعن المصيبة التي تُوقد الأحشاء حزنًا عليه. فمَن الذي فجَعَ الأمّة به، ودسّ إليه السمّ؟

إنّه المأمون العبّاسي (عليه لعائن الله)؛ فقد روى أبو الصلت الهروي أنّ المأمون دعا الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمّا أتاه، وثب إليه وعانقه ما بين عينيه وأجلسه معه وناوله عنقود عنب وكان بيده قد أكل بعضه وقال:

يا ابن رسول الله ما رأيت عنبا أحسن من هذا قال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربما كان عنبا حسنا فيكون في الجنة فقال له: كل منه، فقال: تعفيني منه قال: لابد من ذلك ما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء فتناول عَلَيْهِ السَّلَامُ العنقود فأكل منه ثلاث حبات ثم رمى به وقام فقال: المأمون: إلى أين؟

قال: إلى حيث وجهتني وخرج حتى دخل الدار وأمر أن يغلق الباب ونام على فراشه فمكثت واقفا في صحن الدار مهموما محزونا والإمام بين قائم وقاعد من شدة السم إذ دخل عليَّ شاب حسن الوجه أشبه الناس بالرضا فقلت له:

من أين دخلت والباب مغلق؟ قال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار فقلت: ومن أنت؟ قال أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت أنا محمد بن علي ثم مضى نحو أبيه فدخل وأمرني بالدخول معه فلما نظر إليه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه ثم سحبه سحبا في

فراشه وجعل يكلمه شيئا لم أفهمه وبينما ولده الجواد عنده وإذا بإمامنا الرضا قد غمض عينيه وأسبل يديه ومدّ رجليه وعرق جبينه وسكن أنينه وفاضت روحه الطاهرة[٣٢٨]، رحم الله من نادى: وا إماماه، وا سيداه، وا مسموماه.

(نصاري)

اويلي اعلى الرضا من عدل رجليه ... تشاهد ويل گلبي واسبل ايديه

روحه خلصت او ما ظل نفس بيه ... أثاري مات اويلي او فرّگ البين

نهض عنه الجواد او جذب ونّه ... حزين او عگب أبوه النوح فَنَّه

بعد ما كفّنه او من فرغ منَّه ... اجوه اهل البلد كلهم محزنين

يويلي اشلون ضجه صارت ابطوس ... اجت الناس بس تلطم عل الروس

الله اوياك آيا شمس الشموس ... رحت واحنه بعد نورك مظلمين

تگول من العزه انگلبت إخريسان ... لفت له للگبر بثياب الاحزان

بس احسين ظل مطروح عريان ... ظل ابكربله واهله مضعنين[٣٢٩]





٢٠ شهر صفر

ذكرى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)

السلام على الحسين وعلى علي ابن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين

عظم الله أجورنا وأجركم بمصاب الشهر الأغر

الشرفاوي

اليوم العشرون من شهر صفر

المناسبة: أربعينية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشيخ حسن بن عبد الله الجامع الخطي

هنيئا لزوار الحسينِ فقد حَظَوا ... من الله بالغفرانِ والبركاتِ

كأني بهم قد أقبلوا وتسارعوا ... مواكبَ كبرى غيرَ منقطعات

فمن كل قُطرٍ أقبلوا وتبادروا ... بلطمٍ ونوحٍ عاليَ النغمات

لمشهدِ مولايَ الحسينِ قد اعتنوا ... وفي تربه قد عفَّروا الجبهات

ولا سيما في يومِ عشرين إنه ... ليومٌ عظيمٌ جدَّد الحسرات

به جاء زينُ العابدين وأهلُه ... من الشام بعد السبيِ والكربات

ورأسُ حسينٍ رُدَّ بعد إهانةٍ ... إلى جسمِه من بعد حملِ قناة

وزينبُ جاءت والفواطمُ خلفَها ... وأدمعُها تجري على الوجنات

تنادي ألا يا نازلينَ بكربلا ... دَفنتم لِمقتولٍ بغيرِ ترات[٣٣٠]

فهل رُشَّ فوق القبرِ ماءٌ فإنه ... قضى ظامئا في جنب شَطِّ فرات

فوافوا بأرض الطفِّ جابر زائرا ... كئيبا حزينا دائمَ الزفرات

أقاموا العزا والحزنَ من فوق قبرِه ... وفي تربِه قد أسكبوا العبرات[٣٣١]

عودة إلى الفهرس

(مجردات)

مـن ردَّن اعلـه اگبـور اهلهـن
واعيونهـن مـن صـدن الهـن
مـن فـوگ الإجمـال ابجمعهـن
كلهـن هُـوَن لـلأرض كلهـن
بِتصارخـن وايهـل دمعهـن
واتنـادي زينـب يالجبتهـن
يحسـين خويـه مـن وطنهـن
دگعـد يبـو السـجاد ردهـن[٣٣٢]



عنوان المحاضرة السابعة:

زيارة الأربعين في ميزان البحث

رُوي عن الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال:

«علامات المؤمن خمس»، وذكر منها: «زيارة الأربعين».(٣٣٣)

في العشرين من شهر صفر، تتجدّد ذكرى أربعين الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتتوجّه قلوب المؤمنين إلى كربلاء، وفاءً لإمامٍ بذل نفسه وأهل بيته وأصحابه في سبيل الله وهداية عباده. ويقصد كثيرٌ منهم مرقده الطاهر، مشيًا أو ركوبًا، وترافق زيارتهم مشاهدُ من البذل والخدمة والتعاون، تعبيرًا عن محبّتهم له واهتمامهم بزوّاره.

وقد عدّت الرواية الشريفة هذه الزيارة من علامات المؤمن، فكانت موضع عنايةٍ لدى أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وهذا الاهتمام يدعونا إلى فهم الزيارة فهمًا واعيًا: لماذا ورد التأكيد عليها؟ وما الفوائد التي يمكن أن نأخذها منها إلى حياتنا؟ وكيف نجيب عن الشبهات التي تُثار حولها؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، نتناول الموضوع في المباحث الآتية.

المبحث الأول: لماذا التأكيد على زيارة الأربعين؟

ورد الحثّ على زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عمومًا، كما وردت عنايةٌ خاصة بزيارته في أوقاتٍ معيّنة، منها: أوّل رجب والنصف منه، والنصف من شعبان، وليالي

القدر، وعيدا الفطر والأضحى، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم الأربعين. وقد جمع الشيخ عبّاس القمّي زيارات هذه المناسبات في «مفاتيح الجنان»، ضمن زيارات الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المخصوصة.[٣٣٤]

ومن هذه المواعيد يوم العشرين من صفر؛ فقد رُوي عن صفوان بن مهران الجمّال أنّه قال: «قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه»، ثمّ علّمه ألفاظ الزيارة.[٣٣٥]

فالاهتمام بهذا اليوم يستند إلى تعليمٍ مرويّ عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ولتوضيح مكانة الزيارة ووجه التأكيد عليها، نتناول النصوص المتعلّقة بها، وما ذكره العلماء من وجوه الاهتمام بالمناسبة، مع التمييز بين الدليل المباشر والتفسير المحتمل، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: لأن زيارة الأربعين من علامات المؤمن

رُوِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الْإِحْدَى والْخَمْسِينَ[٣٣٦]، وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ[٣٣٧]، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ[٣٣٨]، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ[٣٣٩]».[٣٤٠]

العلامة هي ما يدلّ على الشيء ويساعدنا على معرفته؛ فارتفاع حرارة الجسم قد يكون علامةً على المرض، وحرص الإنسان على القراءة والتعلّم علامةٌ على حبّه للعلم، ولطفه مع والديه وخدمته لهما وإحسانه إليهما علاماتٌ على برّه بهما.

وكذلك الإيمان، تظهر آثاره في أعمال الإنسان واختياراته؛ فلا يكفي التمنّي، بل ينبغي أن يصدّق العملُ ما يحمله القلب. وقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدّقه الأعمال».[٣٤١]

وقد ذكر الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه العلامات الخمس، ومن بينها زيارة الأربعين؛ فجعلها علامةً يُعرف بها المؤمن، وهذا يكشف عن منزلتها ويدعو إلى

المحافظة عليها. فالمؤمن حين يحرص عليها يُظهر محبّته لإمامه ووفاءه له، واستجابته لتوجيه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتصبح محبّته عملًا يبذل من أجله وقتًا وجهدًا بحسب استطاعته.

ولا يعني ذلك الحكم على إيمان مَن لم يؤدّها؛ فالمقصود بيان فضل الزيارة والحثّ عليها، لا اتّخاذها وحدها مقياسًا للحكم على الأشخاص.

ثانيًا: مواساة لحزن الموجودات عليه عند تمام الأربعين

ورد في الروايات أنّ السماء والأرض تبكيان على المؤمن بعد وفاته أربعين صباحًا؛ فقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «إنّ السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحًا».(٣٤٢)

وتكشف الرواية عن مكانة المؤمن، وأنّ فقده يتجاوز حزن الناس عليه إلى بكاء السماء والأرض خلال هذه المدّة. وكلّما عظمت منزلته، اشتدّ فقده على مَن عرف فضله وانتفع بهديه، وفي مقدّمة أولياء الله محمّدٌ وآل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حجج الله على عباده وهداة الخلق إلى طاعته. وقد وردت أخبارٌ عن آثارٍ ظهرت عند شهادتهم، ومنهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ نقل ابن شهرآشوب عن ابن عباس أنّ السماء أمطرت ثلاثة أيامٍ دمًا بعد مقتله.(٣٤٣)

ولمصاب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ خصوصيةٌ بارزةٌ في الروايات التي تصف حزن الموجودات عليه، وتحدّد لبعض مظاهره مدّة أربعين يومًا، ومنها ما يأتي:

رُوي عن زرارة، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنّه قال:

«يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحًا بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحًا على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما اختضبت منّا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرةٍ بعده».(٣٤٤)

ورُوي عن عبد الله بن هلال، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، في بكاء السماء على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحيى بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنّه سُئل عن معنى بكائها، فبيّن أنّ الشمس كانت تطلع بحمرة وتغرب بحمرة أربعين يومًا.[٣٤٥]

ومن هنا يمكن فهم مناسبة تجديد الحزن والزيارة عند تمام الأربعين؛ فإذا شاركت هذه الموجودات، التي لا يجري عليها التكليف الإنساني، في الحزن عليه خلال هذه المدّة، فإنّ الإنسان المأمور بمودّة محمّدٍ وآل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أولى بالاتّعاظ وتجديد المواساة والوفاء. ولا يعني ذلك انتهاء الحزن بانتهاء الأربعين؛ فقد صرّحت رواية زرارة باستمرار عبرتهم بعد ذلك.

وهذا استئناسٌ بالروايات لفهم مناسبة إحياء الأربعين، إلى جانب النصوص المتقدّمة في فضل زيارته في هذا اليوم.

وقد يُقال: لماذا يشتدّ التركيز على مصاب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع عظمة مصائب سائر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

يتّضح ذلك من خصوصية مصابه التي بيّنتها النصوص، ونذكر منها وجهين على النحو الآتي:

١. عِظَمُ ما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه

اجتمعت في كربلاء مصائب القتل والعطش وفقد الأحبّة وسبي العيال، وقد رُوي عن الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال لأخيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله».[٣٤٦] كما نقرأ في زيارة عاشوراء: «مصيبةً ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض».[٣٤٧]

وتبيّن هذه النصوص عظمة المصيبة وشدّة وقعها، فتتّضح العناية بإحياء ذكراها وتجديد الحزن عليها.

٢. أنّ فقده كان فقدَ آخر الباقين من أصحاب الكساء

رُوي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: «قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد

عودة إلى الفهرس

الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ابن رسول الله، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء، دون اليوم الذي قُبض فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليوم الذي قُتل فيه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسمّ؟

فقال: إنّ يوم قتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم مصيبة من جميع سائر الأيّام، وذلك أنّ أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان للناس في الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ كان للناس في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عزاء وسلوة، فلمّا قُتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعد عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة». (٣٤٨)

فاجتمع في مصابه الحزنُ عليه وعلى فقد آخر أصحاب الكساء. وهذا يوضّح عظمة مصيبته، بينما تبيّن روايات بكاء الموجودات أربعين يومًا مناسبةَ تجديد الحزن والزيارة عند تمامها.

ثالثًا: تأسّيًا بالإمام السجاد عليه السلام في زيارة الأربعين

ذكر عددٌ من العلماء عودة الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ وحرم الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى كربلاء في العشرين من صفر. وقد نُقل عن السيّد محسن الأمين قوله:

«والمشهور أنّهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ». (٣٤٩)

واستبعد بعض العلماء وصولهم في هذه المدّة؛ لطول المسافة بين العراق والشام، وما تخلّل الرحلة من إقامة في الكوفة ودمشق. وقد ناقش الشيخ فوزي آل سيف هذا

الاستبعاد، ومن أهمّ ما عرضه التمييز بين مسافة السير على الأقدام ومسافة السفر على الإبل. فبحسب الحساب الذي اعتمده، تسير الناقة نحو عشرين كيلومترًا في الساعة؛ فإذا سارت ثماني ساعات قطعت نحو مئة وستين كيلومترًا في اليوم. وعلى هذا التقدير، يمكن قطع طريق الذهاب الذي قدّره بنحو ألفين ومئة كيلومتر في قرابة ثلاثة عشر يومًا.

أمّا العودة، فيرى إمكان سلوك طريق أقصر عبر بادية الشام، يبلغ نحو ألف كيلومتر أو يزيد، فيتّسع له الزمن الممتدّ من الحادي عشر إلى العشرين من صفر. ومع تقليل مدّة الإقامة في الكوفة والشام، اختار إمكان وصولهم إلى كربلاء يوم الأربعين ووقوعه. وهذه الأرقام هي التقديرات التي بنى عليها مناقشته للاستبعاد.[٣٥٠]

وبحسب هذا القول المشهور، عاد الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته إلى قبور أحبّتهم بعد آلام الأسر والفراق، فجدّدوا الحزن عليهم. ومن هنا يكون قصد قبر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الأربعين تأسّيًا بالإمام السجاد في زيارته، ومواساةً له وللسيّدة زينب وسائر أهل المصاب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقد رُوي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله».[٣٥١] فيعبّر المؤمن عن محبّته بالاقتداء والعمل، ويجدّد بزيارته ما أظهره إمامه من الوفاء.

رابعًا: تأسّيًا بجابر بن عبد الله الأنصاري في زيارته ووفائه

لقد ارتبط يوم الأربعين بزيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري لقبر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد ذكر العلماء ومنهم الشيخ المفيد في أحداث العشرين من صفر أنّه اليوم الذي قدم فيه جابر من المدينة إلى كربلاء:

«وفي اليوم العشرين منه .. ورد فيه جابر بن عبد الله بن حزام الأنصاري -صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورضي الله تعالى عنه -من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر سيدنا أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان أول من زاره من الناس».[٣٥٢]

عودة إلى الفهرس

وذكر العلّامة المجلسي في تفسير خصوصية زيارة الأربعين قائلاً: « ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في مثل هذا اليوم وصل من المدينة إلى قبره الشريف وزاره بالزيارة التي مر ذكرها، فكان أول من زاره من الانس ظاهرا »، فلذلك يستحب التأسي به». (٣٥٣)

فارتبط هذا اليوم ـ بحسب القول المشهور ـ بعودة أهل المصاب إلى قبر فقيدهم، وبحضور جابر، وهو من المحبّين الذين لم يكونوا ضمن ركب الأسر، ليشاركهم الحزن ويؤدّي حقّ الإمام بالزيارة.

ومن المعلوم أنّ زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مرغوبةٌ في كلّ الأوقات، ولكن يبقى لليوم الذي ارتبط بأوّل زيارةٍ لقبره موقعٌ خاصّ في ذاكرة المؤمنين؛ فإحياء ذكرى الحدث في موعده يستحضر معناه ويعبّر عن استمرار العناية به.

وحين يقصد المؤمنون قبره في هذا الموعد، يحيون ذكرى وفاء جابر، ويجدّدونه بزيارتهم، معلنين أنّ ما فعله الظالمون لم يقطع صلتهم بإمامهم، ولم يُذهب محبّته من قلوبهم.

خامسًا: لإلحاق رأسه الشريف بجسده يوم الأربعين

اختلفت الأخبار والأقوال في موضع دفن الرأس الشريف للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فذُكر دفنه في كربلاء، وفي النجف، وفي الشام، وفي غيرها. ولكنّ المشهور بين علماء الإمامية أنّه أُعيد إلى كربلاء ودُفن مع جسده الطاهر؛ وقد ذكر هذا القول السيّد المرتضى، والسيّد ابن طاووس، وابن نما الحلّي، وغيرهم.(٣٥٤) ونُقل تحديد إعادته بالعشرين من صفر، كما أورد السيّد عبد الرزّاق المقرّم في مقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.(٣٥٥)

وبناءً على هذا القول، اكتمل دفنه عَلَيْهِ السَّلَامُ بإلحاق رأسه بجسده؛ فالجسد الطاهر كان قد دُفن قبل ذلك، بينما حُمل الرأس إلى الكوفة والشام، ثمّ أُعيد إلى كربلاء. وتستحضر ذكرى إعادته ما تعرّض له رأس سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خلال تلك الرحلة المؤلمة.

وقد جمع صاحب موسوعة عاشوراء عددًا من الوقائع المرتبطة بالرأس الشريف، فذكر: «أن رأسه الشريف احتُز من القفا، ورُفع على الرمح وأخذه خولي معه إلى داره وأخفاه في الحجرة أو في التنور، وكان الرأس يتلو القرآن وهو مرفوع على قصبة في دروب الكوفة، ووضع بين يدي ابن زياد في طشت من ذهب، وفي الطريق إلى الشام كان الرأس سبباً في إسلام راهب كان يتعبّد في دير ترسا بقنّسيرين، وفي قصر يزيد وضعوه في طشت وأحضروه بين يديه، فأخذ يزيد يضرب على الرأس والثنايا بقضيب كان في يده، وفي خرابة الشام أخذ إلى السيدة رقية بنت الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل واحد من هذه المواقف جدير وحده بكثير من المراثي المؤلمة، وقد نظّم الشعراء في هذه الوقائع أشعاراً ومراثي كثيرة». (٣٥٦)

فتكون الزيارة في هذا اليوم، بحسب القول بإعادة الرأس فيه، استذكارًا لنهاية تلك الرحلة، وتجديدًا للحزن والمواساة. وهذا وجهٌ لفهم العناية بالمناسبة، إلى جانب النصوص الواردة في فضل زيارتها.

ومع ما تقدّم، فقد طُرح احتمال وجود خصوصيةٍ للعدد أربعين في بعض النصوص الدينية، من دون الجزم بأنّها سبب التأكيد على هذه الزيارة؛ فقد جاء في موسوعة الأسئلة العقائدية:

«لا يبعد أن يكون لعدد الأربعين خصوصية، ولكنّها خصوصية غيبية لم يهتد إليها العلم الحديث إلى الآن، ولكن جاءت في النصوص الدينية، ولا يبعد أن يكون هناك ربط بين عدد الأربعين وبين آثار معيّنة يكشف عنها الشارع، وإن لم يتوصّل العلم بعد إلى كشفها، ككثير من الحقائق التي لم يهتد العلم إليها بعد، وإنّما يكتشفها بالتدريج». (٣٥٧)

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من زيارة الأربعين

تجمع زيارة الأربعين بين محبّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتحمّل عناء الطريق، والتعاون على خدمة الزائرين؛ فتحمل في طيّاتها فوائد إيمانية وتربوية واجتماعية.

وقد وجّه السيد السيستاني إلى أن تكون هذه الزيارة: «خطوةً في سبيل تربية النفس على هذه المعاني تستمرّ آثارها حتّى الزيارات اللاحقة وما بعدها».[٣٥٨]

وفيما يأتي أبرز هذه الفوائد والدروس وتطبيقاتها، مع النصوص التي تؤكّد قيمها:

أولاً: إبقاء قضية الإمام الحسين عليه السلام حيّة في النفوس

من فوائد زيارة الأربعين أنّها تجدّد حضور الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقضيّته في حياة الناس. فحين يتجدّد قصد كربلاء، وتُقام المجالس، وتُقرأ سيرته، ويسأل الأبناء عن سبب هذه الزيارة، تتجدّد معرفة الناس بتضحيته والهدف الذي بذل حياته من أجله.

والقضايا قد تضعف في الذاكرة إذا انقطع الحديث عنها، أمّا المناسبة التي تتكرّر ويشارك الناس في إحيائها، فإنّها تفتح أبوابًا جديدة للتذكّر والتعلّم. ولذلك تتيح الأربعين لكلّ جيلٍ أن يتعرّف إلى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن ينقل معرفته إلى الجيل الذي يأتي بعده.

وقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾.[٣٥٩] وهي الأيام التي تتجلّى فيها آيات الله ونعمه وعِبَره.[٣٦٠] وينسجم إحياء عاشوراء والأربعين مع هذا التذكير؛ باستحضار ما جرى على الإمام وأهل بيته، وما أظهروه من الإيمان والثبات.

وحين نقرأ في زيارة الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»،[٣٦١] نستذكر هدف تضحيته في هداية الناس، فتظلّ محبّتنا له متّصلةً بمعرفة رسالته.

ثانيًا: تحويل رفض الظلم إلى موقف مشترك

يجتمع زوّار الأربعين على تكريم الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ والحزن لمظلوميّته، ويقرؤون في زيارته: «ولعن الله أمّةً سمعت بذلك فرضيت به».[٣٦٢] فيعلنون رفض الظلم والرضا به، ويقوّي بعضهم بعضًا في نصرة المظلوم.

وبقاء هذا الوفاء بعد قرونٍ يذكّرنا بأنّ كثرة أنصار الظالم لا تجعل ظلمه حقًّا، وأنّ قتل المظلوم لا يمحو منزلته ولا يُسقط حقّه.

وينبغي أن يظهر ذلك في حياتنا؛ فمَن يُطلب منه أن يشهد زورًا ليسلب إنسانًا حقّه، يرفض ولو أغضب قريبًا أو صاحب نفوذ؛ وفاءً للإمام المظلوم واقتداءً بموقفه.

ثالثًا: تقوية الأخوة بين المؤمنين

في زيارة الأربعين يلتقي مؤمنون من بلدانٍ ومدنٍ مختلفة، وقد تختلف لغاتهم وعاداتهم، لكنّ محبّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تفتح بينهم باب التعارف والتعاون. وهذا ينسجم مع ما رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكرًا لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض».[٣٦٣]

فقد يعين الزائر شخصًا لم يعرفه من قبل، أو يشترك معه في خدمة، فتنشأ بينهما مودّةٌ تشعره بأنّ له إخوةً خارج عائلته وبلده، يجمعه بهم الإيمان والولاء. وقد تستمرّ هذه الصلات بعد الزيارة في تبادل المعرفة والمساعدة.

رابعًا: التواضع واحترام الإنسان بعيدًا عن ماله ومنصبه

يتعلّم الإنسان التواضع في الأربعين حين يجلس الغنيّ والفقير معًا، ويتناولان الطعام نفسه، ويخدم صاحبُ مكانةٍ اجتماعية زائرًا بسيطًا. وحين يُحترم الجميع، يدرك الزائر أنّ قيمة الإنسان لا تُقاس بمظهره أو ماله أو منصبه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[٣٦٤] فالتفاضل عند الله بالتقوى، وكرامة المحتاج

عودة إلى الفهرس

محفوظةٌ كغيره.

ومَن يشارك في تنظيف أماكن الراحة أو تقديم الطعام يتدرّب على حمل هذا التواضع إلى عمله، فيحسن التعامل مع الموظّف والعامل والمراجع، مهما اختلفت مكانتهم.

خامسًا: تربية النفس على البذل وتلبية حاجات الآخرين

تظهر في الأربعين فرصٌ واسعة للبذل: فهذا يقدّم طعامًا، وآخر يهيّئ مكانًا للنوم، وثالث يبذل خبرته في العلاج، وغيرهم يقدّم الماء أو يساعد في النقل والإرشاد. وحين تكون هذه الخدمة خالصةً لله، فإنّها تجسّد معنى البذل الذي مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.[٣٦٥]

ومن فوائد المشاركة في هذه الأعمال أنّ الإنسان يتدرّب على إخراج شيءٍ ممّا يحبّه لخدمة غيره؛ من مالٍ أو وقتٍ أو جهد. فبدل أن يبقى اهتمامه محصورًا في حاجاته، يبدأ بملاحظة حاجة الآخرين، ويسأل عمّا يستطيع تقديمه لهم.

كما تساعده الخدمة على اكتشاف أنّ بعض الأعمال الصغيرة تكون كبيرةً في أثرها؛ فقد يكون تقديم الماء إلى متعب، أو إرشاد تائه، سببًا في رفع مشقّةٍ شديدة عنه.

وبذلك تصبح الأربعين تدريبًا على الكرم المستمرّ، فيبقى الاهتمام بالمحتاج حاضرًا بعد عودة الزائرين إلى بيوتهم.

سادسًا: تعلم التعاون وتحمل المسؤولية

تحتاج خدمة الزائرين في الأربعين إلى أعمالٍ متعدّدة ومترابطة: إعداد الطعام، وتوفير الماء، والتنظيف، والإرشاد، وتنظيم أماكن الراحة، ومساعدة المرضى وكبار السنّ. ولا يستطيع فردٌ واحد القيام بكلّ ذلك؛ فتتكامل الجهود في تطبيقٍ عمليٍّ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.[٣٦٦]

فالتزام كلّ شخصٍ بمهمّته يعين الآخرين، حتى مَن يعمل بعيدًا عن الأنظار. والكرم يربّي الرغبة في العطاء، أمّا التعاون فيعلّم تنظيمه وتوزيع الأدوار حتى ينفع الناس. وهذا الالتزام يمكن نقله إلى الأسرة والمدرسة وكلّ عملٍ نافع.

سابعًا: التدرّب على الحلم ومراعاة حقوق الناس

قد يواجه زائر الأربعين تعبًا وزحامًا وتأخّرًا واختلافًا في طباع مَن يرافقونه. وهذه الظروف تتيح له أن يتدرّب على ضبط غضبه، ومراعاة غيره، واختيار الكلام الحسن حين يكون منزعجًا؛ وقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في آداب زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك».[٣٦٧]

فمن السهل أن يكون الإنسان لطيفًا وهو مرتاح، لكنّ حاجته إلى الحلم تزداد حين يتعب أو يتأخّر ما ينتظره. ومن هنا يمكن أن تكشف الرحلة له جانبًا يحتاج إلى إصلاحه في نفسه.

مثال: يتأخّر وصول الطعام أو وسيلة النقل، فيضبط الزائر غضبه، ويستفسر بهدوءٍ بدل الإساءة إلى العاملين. وإذا أخطأ أحدٌ بحقّه خطأً عابرًا، حاول معالجة الموقف برفق، مراعاةً لما قد يكون عليه الآخر من تعبٍ وضغط.

وتشمل مراعاة الحقوق المحافظة على النظافة، وتجنّب التدافع، واحترام الدور، وعدم إغلاق الطريق على الآخرين. وبذلك يرتبط قصد الإمام بحسن التعامل مع مَن يقصدونه، ويمتدّ أثر الزيارة حين نحمل هذا الحلم معنا إلى أهلنا وجيراننا وزملائنا.

ثامنًا: تربية الأبناء بالمشاهدة والمشاركة

تتيح زيارة الأربعين فرصةً لتربية الأبناء بالمشاهدة والمشاركة، في إطار مسؤوليتنا عن أهلنا التي يذكّرنا بها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.[٣٦٨] ففيها يرى الأبناء القيمَ التي نحدّثهم عنها مطبّقةً أمامهم.

فيرى الأبناء الكرم في تقديم الطعام باحترام، وأهميّة الصلاة في محافظة أهلهم

عودة إلى الفهرس

عليها، والصدق واحترام الناس في تصرّفاتهم، ويتعلّمون الرحمة بالمشاركة في مساعدة المتعبين.

وتزداد الفائدة حين يصاحب المشاهدة شرحٌ بسيط يناسب عمر الطفل؛ فنبيّن له لماذا نخدم، ولماذا نزور، وما الصلة بين هذه الأعمال ومحبّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مثال: يحرص الأب والأم أثناء زيارة الأربعين على الصدق، والمحافظة على الصلاة، واحترام العاملين، وعدم تجاوز أدوار الآخرين. فيرى الأبناء هذه القيم في سلوك أهلهم، ويكون لتوجيهاتهم أثرٌ أقوى.

وبذلك تجتمع في التربية القدوةُ والتجربةُ المفهومة، على أن تكون مشاركة الأبناء بحسب أعمارهم وقدرتهم، مع رعايتهم والرفق بهم.

تاسعًا: اتخاذ الأربعين فرصة لتجديد العهد وإصلاح النفس

يجتمع في الأربعين ما يعين الإنسان على مراجعة نفسه: استحضار تضحية الإمام، والابتعاد عن بعض مشاغل الحياة، ورؤية البذل والخدمة، وسماع الموعظة. وقد يجد الزائر في هذه الأجواء قوّةً للبدء بإصلاحٍ كان يؤجّله.

والزيارة تجديدٌ للعهد بالإمام؛ فقد رُوي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ لكلّ إمام عهدًا في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم».[٣٦٩] وحين يقول الزائر في زيارة الأربعين: «وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة»،[٣٧٠] فإنّه يعلن التزامه باتّباعهم ونصرتهم، ويدعوه ذلك إلى مراجعة سلوكه والعمل على إصلاحه.

وحتى يتحوّل تأثّر الزائر إلى إصلاحٍ في حياته، ينبغي أن يحدّد ما سيبدأ بتغييره؛ فبدل أن يكتفي بالقول: «سأصبح أفضل»، يختار تقصيرًا يصلحه أو حقًّا يؤدّيه. فقد يكون عنده مالٌ يجب ردّه إلى صاحبه، أو ميراثٌ حُرم منه أحد المستحقّين، أو إساءةٌ تحتاج إلى اعتذار، فيبدأ بمعالجة ذلك. فتحديد العمل يساعده على تنفيذه ومحاسبة نفسه على أدائه.

وبهذا يعود من زيارته بعملٍ صالح يحافظ عليه، وتستمرّ آثار الأربعين في حياته؛ في خدمته للناس، ورفقه بهم، ووفائه بالعهد الذي أعلنه عند إمامه.

المبحث الثالث: شبهات تتعلّق بزيارة الأربعين

قد تُثار بعض الشبهات والأسئلة حول زيارة الأربعين، نذكر منها ما يأتي:

الشبهة الأولى: نسمع من بعض المخالفين أنّه لا يجوز للمرأة أن تزور القبور، فهل يشمل ذلك زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

الجواب: تدلّ النصوص على جواز زيارة النساء للقبور، والحثّ على زيارتهنّ للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنها ما يأتي:

- رُوي عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «عاشت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد أبيها خمسة وسبعين يومًا، لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرتين: الاثنين والخميس»[٣٧١].
- وعن يونس، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تأتي قبور الشهداء في كلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة وترحّم عليه وتستغفر له»[٣٧٢].

وفعل السيّدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ حجّةٌ لعصمتها، فزيارتها تدلّ على أنّ زيارة المرأة للقبور ليست ممنوعةً في نفسها.

- ورُوي عن أمّ سعيد الأحمسية أنّها أرادت زيارة قبور الشهداء، فقال لها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أعجبكم يا أهل العراق، تأتون الشهداء من سفر بعيد، وتتركون سيّد الشهداء لا تأتونه؟ قالت: قلت له: من سيّد الشهداء؟ قال: الحسين بن عليّ. قلت: إنّي امرأة، فقال: لا بأس لمن كان مثلك أن تذهب إليه وتزوره»[٣٧٣].
- ورُوي عن أمّ سعيد الأحمسية، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالت: «قال لي: يا أمّ سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه، فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء»[٣٧٤].

عودة إلى الفهرس

◆ ورُوي عن زرارة، عن أحدهما، أي الإمام الباقر أو الإمام الصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أنّه قال: «يا زرارة، ما في الأرض مؤمنة إلّا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٣٧٥].

والمقصود بإسعادها مواساتها في مصاب ولدها. وهذه الروايات تشمل النساء بالحَثّ على الزيارة، أمّا لفظ «واجبة» فيُفهم مع سائر الأدلّة؛ والمشهور بين فقهاء الإمامية استحباب الزيارة استحبابًا مؤكّدًا.

وفي مصادر أهل السنّة أيضًا نُقل أنّ عائشة زارت قبر أخيها، وأجابت عن النهي بأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى ثمّ أمر بالزيارة، فيُذكر شاهدًا من مصادرهم على شمول الإذن للنساء.[٣٧٦]

وأمّا خبر لعن زوّارات القبور، فلا يكفي وحده لإثبات المنع دون بحث سنده ودلالته والجمع بين النصوص. وقد حمله الشهيد الأوّل على الزيارة المؤدّية إلى الجزع والتسخّط على قضاء الله، وناقش الكراهة مع الأمن والصون، مستدلًّا بفعل السيّدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ.[٣٧٧]

فأصل الزيارة مشروعٌ للنساء، مع مراعاة الستر والأحكام الشرعية، وما يقترن بها من فعلٍ محرّم يجب اجتنابه، ولا يُوصف بمجرّد الكراهة.

◆ ◆ ◆

الشبهة الثانية: لا داعي لزيارة مرقد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مشيًا على الأقدام وتحمّل المشقّة، مع توفّر وسائل النقل السريعة والمريحة!

الجواب:

إنّ توفّر وسائل النقل ييسّر الوصول إلى كربلاء، ولكنّه لا ينفي فضل المشي الذي ورد الحثّ عليه في الروايات. فالزائر قد يختار المشي تقرّبًا إلى الله تعالى وتعظيمًا للزيارة، مع قدرته عليه ومراعاة صحّته وواجباته. ويتّضح الجواب من الأمور الآتية:

١. المشي في سبيل العبادة معروفٌ في سيرة الأنبياء والأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

ورد في الروايات أنّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حجّ بيت الله تعالى سبعين حجّةً ماشيًا على قدميه.(٣٧٨) ورُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «من حجّ ماشيًا كتب الله له بكلّ خطوة حسنةً من حسنات الحرم».(٣٧٩)

ولقد حجّ الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ ماشيًا على قدميه عشرين مرّة، مع توفّر ما يركبه؛ فقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيان ذلك: «إنّ الحسن بن عليّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حجّ ويُساق معه المحامل والرحال».(٣٨٠)

فوجود وسيلةٍ للركوب لا يمنع اختيار المشي في طريق العبادة، ولا ينفي فضله.

٢. المشي في زيارة الأربعين تعبيرٌ عن المحبّة والوفاء والمواساة

قد يبذل المؤمن وقته وجهده في المشي، تقرّبًا إلى الله ووفاءً للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويستحضر معاني التضحية وما تحمّله أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من آلام الأسر والفراق؛ فتكون رحلته مناسبةً لمواساتهم وتجديد الحزن على مصابهم.

٣. ورود نصوصٍ صريحة في فضل المشي إلى الزيارة

رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثواب العمل على قدر المشقّة فيه».(٣٨١) وفي خصوص المشي إلى زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ رُوي عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن عليّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، إن كان ماشيًا كتب الله له بكلّ خطوة حسنةً، ومحا عنه سيّئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ فقال: إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل، فقد غُفر لك ما مضى».(٣٨٢)

ورُوي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من أتى قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ماشيًا كتب

عودة إلى الفهرس

الله له بكلّ قدم يرفعها ويضعها عتق رقبةٍ من ولد إسماعيل، ومن أتاه في سفينة فكفأت بهم سفينتهم نادى منادٍ من السماء: طبتم وطابت لكم الجنّة».[٣٨٣]

فالروايات تذكر ثوابًا لخطوات الزائر نفسها؛ ولذلك قد يقصد بالمشي أجر الطريق، إلى جانب الوصول إلى المرقد.

٤. مراعاة القدرة والصحّة، وعدم جعل المشقّة غايةً لذاتها

قد يفيد المشي المناسب صحّة الإنسان، لكنّ السير الطويل لا يناسب الجميع؛ لاختلاف قدرتهم وحالتهم وظروف الطريق والطقس.[٣٨٤]

وقد اشترط السيّد السيستاني في انعقاد نذر الحجّ أو زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ماشيًا «القدرة وعدم الضرر».[٣٨٥] فتُراعى حالة الزائر، ويُستعان بالطبيب عند الحاجة، ولا يُجعل التعب غايةً لذاته أو سببًا لتضييع الصلاة وحقوق الناس. ويختار الزائر من المشي والركوب ما يناسب حاله.

◆ ◆ ◆

الشبهة الثالثة: يرى بعض المشكّكين أنّ الروايات التي تجعل زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل من الحجّ تتضمّن غلوًّا، فكيف يُجاب عن ذلك؟

الجواب: كثرة الثواب لا تكفي للحكم بالغلوّ؛ فهو فضلٌ من الله، وتُفهم رواياته بعد التحقّق منها وجمعها مع الأحكام الشرعية. ويتّضح ذلك من الأمور الآتية:

١. كثرة ثواب الزيارة لا تعني جواز ترك الحجّ الواجب

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.[٣٨٦] فالحجّ واجبٌ على المستطيع، ولا تُسقطه الزيارة مهما عظم ثوابها؛ فروايات الفضائل تبيّن الأجر، ولا تُلغي التكليف.

ومثال ذلك ما ورد في السلام؛ فقد رُوي عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «للسلام

سبعون حسنة، تسع وستّون للمبتدئ، وواحدة للرادّ».[٣٨٧] ومع زيادة ثواب المبتدئ، يبقى ابتداء السلام مستحبًّا وردّه واجبًا في مورده الشرعي؛ فزيادة الثواب لا تعني جواز ترك الواجب.

٢. المفاضلة مع الحجّ المندوب لا تعني الانتقاص من فريضة الحجّ

الحجّ المندوب هو الحجّ غير الواجب، كتكراره تطوّعًا بعد أداء حجّة الإسلام. ومفاضلته بالزيارة لا تنتقص من مكانته؛ فكلاهما قربةٌ إلى الله.

وقد سُئل السيد السيستاني: أيّهما أفضل، زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عرفة أو الحجّ المندوب؟ فأجاب بأنّ هناك رواياتٍ كثيرةً تدلّ على أفضلية الزيارة، مع احتمال اختلاف الأمر باختلاف الظروف والأحوال.[٣٨٨]

وهذا الجواب يتعلّق بيوم عرفة تحديدًا، فنستشهد به هنا لتوضيح أصل المفاضلة بين الزيارة والحجّ المندوب، ولا ننقله بوصفه حكمًا خاصًّا بزيارة الأربعين.

كما أنّ تفضيل عملٍ مستحبّ على عملٍ مستحبّ آخر لا ينتقص من مكانة الثاني؛ فكلاهما طاعةٌ وقربةٌ إلى الله، وإن اختلف فضلهما بحسب ما تدلّ عليه النصوص، وبحسب حال المكلّف وظروفه.

٣. ذكر الثواب بمقدار الحجّ ليس خاصًّا بروايات زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

فقد ورد في مصادر أهل السنّة ذكر أعمالٍ يُعبَّر عن عظم ثوابها بمقارنتها بالحجّ؛ نذكر منها الآتي:

- روى الترمذي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة مرة».[٣٨٩]

- وروى أيضًا عن أمّ معقل، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة».[٣٩٠]

◆ وأورد المتّقي الهندي عن أبي معشر أنّه قال: بلغني أنّ عمر بن الخطّاب قال: «لو كنت مؤذنا لم أبال أن لا أحج ولا أعتمر إلا حجة الإسلام، ولو كانت الملائكة نزولا ما غلبهم أحد على الأذان».[٣٩١]

فالمقارنة بثواب الحجّ واردةٌ في مصادر المسلمين، ولا يكون عظيم الأجر وحده دليلًا على الغلوّ؛ بل تُبحث الرواية من جهة ثبوتها ومعناها.

٤. ثواب الزيارة يُفهم مع معرفة الإمام والإخلاص لله

تتضمّن بعض روايات الزيارة قيودًا ينبغي الانتباه إليها، ومنها أن يأتي الزائر الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عارفًا بحقّه. فقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أيما مؤمن أتى قبر الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عارفا بحقه في غير يوم عيد[٣٩٢] كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات...» ثمّ ذكر له ثوابًا عظيمًا.[٣٩٣]

ومعرفة حقّ الإمام تشمل الإقرار بإمامته ومنزلته، وفهم أنّه هادٍ إلى طاعة الله. فالزيارة التي تدعو إليها هذه النصوص عبادةٌ يقصد بها المؤمن رضا الله، ووفاءٌ لإمامٍ بذل حياته في سبيله.

ومن هنا لا ننظر إلى الزيارة بوصفها مجرّد انتقالٍ من مكانٍ إلى مكان، بل نلاحظ ما يصحبها من إيمانٍ وإخلاصٍ ومعرفة وبذلٍ وتحمّل مشقّةٍ مشروعة. كذلك لا نعمّم المفاضلة على جميع الأشخاص والأحوال، ولا نجزم بأنّ كلّ زيارةٍ تصدر من أيّ شخصٍ أفضل من كلّ حجّة.

بل ورد في بعض الروايات التدرّج في بيان ثواب الزيارة، من حجّةٍ واحدة إلى حجج كثيرة، بما يكشف عن عِظَم فضلها وسعة أجرها؛ فقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: «كان الحسين بن علي عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ذات يوم في حجر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي. قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟ قال: نعم، وحجتين من حججي. قالت: يا رسول

الله حجتين من حججك؟ قال: نعم، وأربعة. قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعفه حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأعمارها». (٣٩٤)

والمؤمن الصادق في ولائه يحرص على زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ معرفةً بحقّه ووفاءً له؛ ومن أسبق هؤلاء جابر بن عبد الله الأنصاري، الذي نُقل أنّه أوّل مَن زاره بعد شهادته؛ فقد ورد في «تظلّم الزهراء»، عن عطيّة العوفي أنّه قال:

خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرا قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بآخر ثم فتح صره فيها سعد(٣٩٥) فنثرها على بدنه ثم مشى إلى قبر الشريف حافيا لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسْنيه قال: عطية: فألمسته، فخر على القبر مغشيا عليه فرششت عليه شيئا من الماء فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثا ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه

وأنّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على اثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك، فاشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون كذلك، وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت في ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيا، وطبت ميتا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيّبة لفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا، ثم أجال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين وأناخت برحله.

قال أرباب المقاتل: وبينما جابر وعطية عند القبر وإذا بسواد قد أقبل من ناحية الشام، فالتفت جابر إلى غلامه وقال له: انطلق وانظر ما هو هذا السواد، فإن كان من أصحاب عبيد الله بن زياد لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان هذا سيدي ومولاي زين العابدين فأنت حر لوجه الله.

فانطلق الغلام، فما كان أسرع ما رجع إليه وهو يلطم على وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرم الله وحرم رسول الله، فهذا سيدي ومولاي علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أقبل مع عماته وأخواته، لتجديد العهد بزيارة الحسين.

(نصاري)

يجابر گوم واتلگه الظعينه نهض جابر ينادي او تهل عينه

يشبل احسين أبوك احسين وينه عليه اشلون گلبي دارت الگوم

فقام جابر ومن معه واستقبلوهم بصراخ وعويل، ولما دنى من الإمام انكب على قديمه يقبلهما ويقول: سيدي عظم الله لك الأجر بأبيك الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، سيدي عظم الله لك الأجر بعمومتك وأخوتك.

فقال الإمام: أنت جابر؟ قال: نعم سيدي، أنا جابر، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا جابر هاهنا قتل أبو عبد الله، يا جابر هاهنا ذبحت أطفال أبي، يا جابر هاهنا والله قتلت رجالنا، وسبيت نساؤنا، وأحرقت خيامنا.[٣٩٦]

(نصاري)

يجابر ما دريت اشصار بينه يجابر هالأرض بيها انولينه

يجابر وانذبح بيها ولينه يجابر ذبّحوا واحد او سبعين

يگله والدمع فيّض الوديان چتل خلصوا عمامي ابهذا المچان

ظلت بس يتامه او جمع نسوان او عندي الهالفوطم عدل ماتم

يخابر فوگ هذا الهظم كله سبونه واليبارينه خولّه

شبعنه امن الهظم وامن المذله يفكنه ظالم او نوگع ابأظلم

(أبوذية)

كسير او محد الگلبي يجابر — او تدري بالگدر حكمه يجابر

عن احسين لا تنشد يجابر — هاذي عليته الچانت سبيه

بني أمي متى كنتم بعادا — عن الشاكي المخوف المستضامِ

بني أمي لقد سلبوا قناعي — بني أمي لقد حرقوا خيامي [٣٩٧]



عودة إلى الفهرس



٢٦ شهر صفر

ذكرى شهادة ولدي مسلم بن عقيل (عليهما السلام)

السلام على الطفلين الذبيحين

اليوم السادس والعشرون من شهر صفر

المناسبة: شهادة ولدي مسلم بن عقيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

القصيدة للشاعر عبد المحسن الكربلائي

دَمعُ المَحاجرِ قد تفايضَ بالدم ... لمُصاب مظلومين طفلَي مسلمِ

بدران مِن بيتِ النبوّةِ أشرَقا ... كالفرقَدين بجنحِ ليل مظلمِ

جارَ الدعيُّ عليهما في سجنهِ ... وَقَسا ولَم يعطف ولم يترحّمِ

مَكثا بقعرِ السجنِ عاماً كاملاً ... وغَدا مصيرُهما لرجس ألأمِ

رقّت لحالِهما العجوزُ وأفردت ... بيتاً لكي تأويهما بتكتّمِ

فإذا الشقيُّ عليه قد غلب الشقا ... يرجو العطاء مِنَ الدنيّ الآثمِ

لَم يستقرّ وبات يحرس دارهُ ... حتّى تحرّى ما بها مِن أرسمِ

فإذا الشقيقُ معانقٌ لشقيقهِ ... وهُما على خوفٍ وقلبٍ موجمِ

فَدَنا وشدّ بحبلِه كتفيهما ... ظُلماً كشدّ عرى وثيق محكمِ

وَرَمى الحسامَ لعبدهِ أن خُذهُما ... نحوَ الفراتِ مبكّراً لا تحجمِ

فالعبدُ حين رأى سليلَي مسلمٍ ... ولّى ولم يكُ حين ذاك بمقدمِ

ودَعى لذبحِهما ابنه فعصى له ... أمراً وللطفلَين لم يتقدّمِ

فَهُناك شدّ عليهما بحسامهِ ... إذ لا مُعين ولا نصير ولا حمي

قالا لهُ يا شيخُ هل ترعى لَنا ... صغراً وقرباً للرسول الأكرمِ

للسوقِ خُذنا ثمّ بِعنا كَي بما ... كَسبت يداكَ من التجارة تغنمِ[٣٩٨]

عودة إلى الفهرس

(نعي)

مــن بعــد عــاشر محــرم بالطفــوف	ريـت مسلم حاضر ابعينه يشـــــوف
فــروا بنــص ليــل لاچنهــا الظــروف	صـارت اويـا المـا لـه غـيرة ع الضيـوف
بـدال شربـة مـاي مـن حـد السـيوف	روســهم مفصولــة وادماهــم فــرات
أولاد مسـلم ويـلي مـن رعـب الملـه	بعــد مــا شــافوا حســين بكربــلا
موســد التربــان جثــة مرملــه	فــروا ابنــص ليــل ببطــون الــفله
قصــدوا الجدهــم عــلي خــير الملــه	والعــدو بالســيف ورّدهــم ممــات



عنوان المحاضرة الثامنة:

الحذر من الجندرية!

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ».(٣٩٩)

يبين الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أهمية أن يعرف الإنسان أحوال زمانه وما يطرح فيه من أفكار، حتى لا تفاجئه الأمور الملتبسة، فيعجز عن تمييز صحيحها من باطلها. فاللوابس هي الأمور التي يختلط فيها وجه الحق، وتحتاج إلى معرفة وبصيرة لكشفها.

ومن المصطلحات التي تحتاج اليوم إلى توضيح: «الجندر» و«الهوية الجندرية». فقد يسمع الإنسان كلامًا عنهما مقرونًا بتغيير المظهر أو العمليات أو العلاقات المحرمة، فيظن أن هذه الممارسات هي معناهما كله، أو يبقى لا يعرف الفرق بين المصطلحين. لكن فهم الموضوع يحتاج إلى معرفة الأفكار التي تقوم عليها الدعوات التي نناقشها، ثم النظر فيما يبنى عليها من مطالب وممارسات.

وقد تعرض بعض هذه الطروحات تحت شعارات الحرية والمساواة واحترام الإنسان، فيقبل المتلقي الشعار دون أن ينتبه إلى المضامين المرتبطة به. ونحن نؤمن بكرامة الإنسان ونرفض ظلمه، لكن ذلك لا يعفينا من فحص كل دعوى تقدم باسم حقوقه؛ فقد تتضمن ما يخالف أحكام الإسلام ومبادئه، أو يدعو إلى إباحة ممارسات محرمة.

ومع اتساع وسائل التواصل، كثف مروجو الأفكار الجندرية المخالفة للإسلام نشرها عالميًا، ووصلت دعواتهم إلى المجتمعات الإسلامية. ولم يقتصر الترويج على

المنصات والإعلام، بل سعت بعض الجهات إلى فرض تصوراتها عبر السياسات والمناهج واللوائح، بما يستدعي الوعي بمضمونها وأساليب تقديمها، وعدم الانسياق وراء تكرارها أو قوة حضورها.

ولذلك، نحتاج إلى فهم الجندر والهوية الجندرية، ومعرفة الآثار والمحاذير والأحكام الشرعية المرتبطة بهما، وسبل حماية أنفسنا وأبنائنا ومجتمعنا من الأفكار المخالفة للدين، وسنوضح ذلك في المباحث الخمسة الآتية:

المبحث الأول: الهوية الجندرية ومناقشتها من المنظور الإسلامي

نعرض هنا مفهوم الهوية الجندرية كما يطرحه أصحاب هذه الأفكار المخالفة للمنظور الإسلامي؛ ليتضح المقصود به، ثم نناقشه ونرد عليه.

الهوية الجندرية تعني إحساس الإنسان الداخلي بنفسه من حيث كونه رجلًا أو امرأة. وقد يتوافق هذا الإحساس مع جنسه الجسدي، وقد يخالفه. وما نناقشه هنا هو الحالة التي يخالف فيها هذا الشعور تكوين الجسم، ويطلب الشخص أن يعامل بحسب شعوره.[٤٠٠]

وبعبارة مبسطة: الهوية الجندرية، بحسب هذا التعريف، تجيب عن سؤال: «بماذا أشعر في داخلي: بأنني ذكر أم أنثى؟».

ولتقريب المعنى، قد يكون الشخص ذكرًا في جسده، لكنه يقول: «أنا أرى نفسي فتاة»، فيختار اسمًا يستعمل للإناث، ويطلب أن يخاطبه الناس بصيغة المؤنث، فيقولوا له: «أنتِ ذهبتِ» بدلًا من «أنتَ ذهبتَ». وقد يتخذ هيئة النساء ويتزيّا بزيهن. وقد يطالب أيضًا بأن تطبق عليه الأحكام الخاصة بالمرأة اعتمادًا على هذا الشعور؛ كأن يطلب من النساء غير المحارم معاملته معاملة المرأة في الكشف أمامه أو المصافحة.

وقد تكون الفتاة أنثى من حيث جسدها، لكنها تقول: «أنا أرى نفسي ولدًا»، فتختار اسمًا يستعمل للذكور، وتطلب أن يخاطبها الناس بصيغة المذكر، فيقولوا

لها: «أنتَ ذهبتَ» بدلًا من «أنتِ ذهبتِ». وقد تتخذ هيئة الرجال وتتزيّا بزيهم. وقد تطالب أيضًا بأن تطبق عليها الأحكام الخاصة بالرجل اعتمادًا على هذا الشعور؛ كأن ترى أن أحكام ستر المرأة أمام الرجال الأجانب لم تعد تلزمها لأنها تعد نفسها رجلًا.

في المثالين، لا يتغير جنس الشخص بمجرد شعوره بأنه من الجنس الآخر، ولا بتغيير اسمه أو مظهره أو صيغة مخاطبته، ولا تتغير بذلك الأحكام الشرعية المتعلقة بجنسه.

وهذا هو المقصود هنا بالهوية الجندرية المخالفة للجسد: أن يكون الشخص ذكرًا في تكوينه الجسدي ويشعر بأنه أنثى، أو تكون أنثى وتشعر بأنها ذكر. ولكن هل يكفي هذا الشعور وحده لمعرفة حقيقة تكوين الإنسان، أم نرجع إلى خصائص جسمه الجنسية؟

هنا نحتاج إلى توضيح الهوية الجنسية، ونقصد بها في حديثنا معرفة الإنسان نفسه بوصفه ذكرًا أو أنثى بحسب تكوينه الجسدي الجنسي. فالفرق أن معرفة الجنس ترجع إلى خصائص الجسم، ولا تعتمد على الشعور وحده. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾.[٤٠١]

ولفهم ما نعتمد عليه في معرفة الجنس، نميز بين أربعة أنواع من الخصائص:

١. الخصائص الجسدية

تشمل الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية، وترتبط بها خصائص وراثية وهرمونية. ففي التكوين المعتاد توجد الخصيتان لدى الذكر، والمبيضان والرحم لدى الأنثى. وعند البلوغ تظهر علامات إضافية، مثل نمو الثديين لدى الفتاة، وخشونة الصوت ونمو شعر الوجه لدى الفتى.

ولا نعتمد على علامة منفردة كالطول أو الصوت؛ فالناس يختلفون في هذه الصفات. وقد توجد حالات خلقية تختلف فيها بعض الخصائص، فتحتاج إلى تقييم طبي متخصص، ولا يحددها مجرد الشعور.

عودة إلى الفهرس

٢. الخصائص الوظيفية

وهي ما تقوم به الأعضاء؛ فالخصيتان تنتجان الحيوانات المنوية، والمبيضان ينتجان البويضات، والرحم موضع نمو الحمل. ويرتبط بتكوين الأنثى الحمل والولادة والرضاعة.

لكن ليس معنى ذلك أن كل امرأة تستطيع الحمل؛ فقد يمنعها العمر أو المرض. وكذلك قد يعجز الرجل عن الإنجاب. وتعطل هذه الوظيفة لا يحول المرأة إلى رجل، ولا الرجل إلى امرأة.

٣. الخصائص النفسية

تشمل المشاعر والميول والاهتمامات والطباع. وهذه الصفات ليست اختبارًا نحدد به جنس كل شخص؛ فالرحمة والشجاعة والحزم والحياء ليست حكرًا على جنس واحد.

الرجل الذي يبكي حزنًا لا يصبح امرأة، والمرأة القوية الحازمة لا تصبح رجلًا.

٤. الخصائص السلوكية

تشمل الأعمال والتصرفات والمظهر، ويتأثر كثير منها بالتربية والعادات والبيئة. فقد يعتاد مجتمع أن تطبخ النساء أكثر من الرجال، لكن الرجل الذي يتعلم الطبخ لا يصبح امرأة. وقد تحب فتاة إصلاح الأجهزة، فلا يجعلها ذلك ذكرًا.

كذلك قد تختلف الملابس والمهن الشائعة بين البلدان، لكن اختلافها لا يغير تكوين الجسم. أما الحكم الشرعي على هيئة أو لباس، فله ضوابطه التي سنذكرها في موضعها.

ولكن أي هذه الخصائص هو الأساس في معرفة كون الإنسان ذكرًا أو أنثى؟

الأساس هو التكوين الجسدي الجنسي، ولا سيما الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية. أما الوظائف والطباع والاهتمامات والتصرفات، فلا يكفي اختلافها أو تعطل بعضها للحكم بأن الإنسان أصبح من الجنس الآخر.[٤٠٢]

وهنا يتضح لماذا لا نعتمد على الشعور وحده لإثبات حقيقة جسدية. يقف شخص بجانب زملائه الأقصر منه، فيقول: «أشعر بأنني طويل جدًا». ثم يقف بجانب لاعبي كرة السلة، فيقول: «أشعر بأنني قصير». لم يتغير طوله بين الموقفين؛ الذي تغير هو شعوره بالمقارنة، أما طوله فنعرفه بالقياس.

وقد يقول فتى عمره اثنتا عشرة سنة: «أشعر بأنني كبير مثل أخي الذي عمره عشرون سنة».

ربما يقصد أنه أصبح أكثر مسؤولية، لكن عمره لا يصبح عشرين سنة بهذا الشعور؛ فعمره يعرف من تاريخ ولادته.

وقد يشعر شخص بالبرد، ويشعر آخر في الغرفة نفسها بالدفء. لا نكذب أحدهما في وصف إحساسه، لكن إذا أردنا معرفة درجة حرارة الغرفة استعملنا ميزان الحرارة.

هذه الأمثلة لا تعني أن تجارب الناس كلها متشابهة، وإنما تقرب قاعدة واحدة: الشعور يصف تجربة الإنسان، لكنه لا يكفي وحده لإثبات كل حقيقة خارجية أو جسدية.

وكذلك حين يقول رجل: «أشعر بأنني امرأة»، أو تقول امرأة: «أشعر بأنني رجل»، فإننا نسمع وصفًا لشعور يحتاج إلى فهم، لكن هذا الوصف وحده لا يثبت أن تكوين الجسم قد تغير، ولا يكفي لتغيير الأحكام الشرعية المتعلقة بجنس الشخص.[٤٠٣]

ومن يشعر بالحيرة أو الضيق يحتاج إلى من يستمع إليه ويساعده، دون سخرية أو إهانة. فنفهم شعوره ونسانده، مع التمييز بين هذا الشعور وبين حقيقة تكوينه الجسدي.

الخلاصة: يدعو هذا الاتجاه إلى معاملة الذكر كامرأة إذا شعر بأنه امرأة، ومعاملة الأنثى كرجل إذا شعرت بأنها رجل، ولو خالف ذلك تكوينهما الجسدي. ويترتب على تطبيق ذلك بما يخالف الأحكام الشرعية محاذير خطيرة تمس القيم والمبادئ الإسلامية، سنوضحها في المبحث الثالث.

المبحث الثاني: الجندر «النوع الاجتماعي» ومناقشته من المنظور الإسلامي

بعد أن تعرفنا إلى الهوية الجندرية، ننتقل إلى الجندر، الذي يسمى أيضا «النوع الاجتماعي»؛ لنبين معناه، وما يطرحه أصحابه بشأن الأعمال والصفات المنسوبة إلى الرجال والنساء، وموضع الخلاف مع المنظور الإسلامي، وهل يقتضي العدل تطابق الأحكام بين الرجل والمرأة. وسنوضح هذه الأمور في النقاط الآتية:

١. ما المقصود بالجندر أو النوع الاجتماعي؟

يقصد بالجندر، في استعماله الاجتماعي، الأدوار والتوقعات التي يربطها المجتمع بالرجال والنساء. والمقصود بـ«الأدوار» الأعمال والمسؤوليات التي يخصصها الناس لكل منهما، وبـ«التوقعات» الصفات والتصرفات التي ينتظرونها منهما.

وبعبارة مبسطة: كيف يرى المجتمع الرجل والمرأة؟ وماذا يتوقع من كل منهما أن يعمل، وكيف يتصرف؟ وهذا هو مضمون التعريف الوارد في إرشادات الأمم المتحدة.[٤٠٤]

فقد يسمع الإنسان منذ صغره عبارات مثل:

- الطبخ والتنظيف وغسل الملابس أعمال للنساء وحدهن.
- رعاية الطفل وإطعامه وتهدئته مسؤولية الأم وحدها.
- الخياطة للنساء، والنجارة وإصلاح الأجهزة للرجال.
- الهندسة لا تناسب الفتيات، وتعليم الأطفال الصغار لا يناسب الرجال.
- الرجل لا يبكي ولا يظهر حزنه، والمرأة لا تكون قوية أو حازمة.
- مشاركة الرجل في أعمال البيت تقلل من رجولته.

هذه أمثلة على أفكار يتعلمها الإنسان من محيطه، وقد تختلف من أسرة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر. وما اعتاده الناس لا يصبح بمجرد اعتيادهم له حقيقة جسدية أو حكما شرعيا.

٢. ماذا يقولون عن هذه الأعمال والصفات؟

يقول أصحاب هذا الطرح إن تخصيص بعض الأعمال والصفات بالرجال أو النساء جاء من العادات والتربية؛ فليس كل ما اعتاد الناس تخصيصه بالمرأة ممنوعا على الرجل، ولا كل ما خصصوه للرجل ممنوعا على المرأة.

وهذا المعنى، في حدود الأعمال المباحة، لا يخالف المنظور الإسلامي؛ فاعتياد المجتمع أمرا لا يجعله واجبا شرعيا، ولا يجعل مخالفته محرمة.

ولتوضيح ذلك، نذكر الأمثلة الآتية:

- الطبخ والتنظيف: مهارات يستطيع تعلمها الرجل والمرأة، وليسا واجبين على الزوجة لمجرد كونها زوجة.
- إصلاح الأجهزة والنجارة: مهارات لا تصبح خاصة بالرجال لمجرد أنهم يمارسونها أكثر من النساء.
- الهندسة والتعليم: لا يجعل نجاح الرجال في مجال أو النساء في آخر ذلك المجال حكرا على أحدهما، مع مراعاة الضوابط الشرعية.
- العناية بالطفل: يستطيع الأب إطعام طفله وحمله وتهدئته، ولا تنتقص مشاركته في ذلك من رجولته.
- المشاعر والطباع: لا يصبح الرجل امرأة إذا بكى حزنا، ولا تصبح المرأة رجلا إذا اتصفت بالشجاعة والحزم.

٣. أين يقع الخلاف مع المنظور الإسلامي؟

يقع الخلاف حين يعد بعض أصحاب الاتجاهات الجندرية الأحكام الشرعية المختلفة بين الرجل والمرأة مجرد عادات فرضها المجتمع، ويعتبرون اختلافها ظلما وتمييزا يجب إلغاؤه لتحقيق العدل والمساواة، كما يطالبون بتغيير العادات المتعلقة بالطبخ والعمل.

عودة إلى الفهرس

ويشمل ذلك عشرات الأحكام، منها الأحكام المتعلقة بالعفة والستر والحجاب، والبلوغ والطهارة، والحج والعمرة، والزواج والأسرة، والإرث.

وهنا نرد: هناك فرق بين عادة وضعها الناس وحكم شرعه الله؛ فالعادات تعرض على ميزان الشريعة، فما خالف أحكامها يرفض، وما لم يخالفها يجوز الأخذ به. ولذلك يمكن تغيير العادات، لكن لا يجوز اتخاذ ذلك مبررًا لإلغاء الأحكام الشرعية؛ فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة».[٤٠٥]

٤. هل العدل يعني تطابق الأحكام بين الرجل والمرأة؟

قد يقال: إن مطالبة بعض الاتجاهات الجندرية بإلغاء الاختلاف في الأحكام بين الرجل والمرأة تهدف إلى تحقيق العدل؛ لأنها ترى أن إنصافهما يقتضي تطابق حقوقهما وواجباتهما. ولكن هل العدل يعني إعطاء الجميع الشيء نفسه، وأن كل اختلاف في المعاملة ظلم؟

الجواب:

ليس بالضرورة؛ ولتوضيح الفرق بين العدل والتطابق، نتأمل المثال الآتي:

تخيل طبيبا جاءه ثلاثة مرضى؛ أحدهم يعاني مرضا في الكلى، والثاني مرضا في المعدة، والثالث يعاني من مرض السكر، فكتب لهم جميعا الدواء نفسه وبالجرعة نفسها؛ لأنه يريد أن «يساوي» بينهم. هل هذه المساواة عدل؟

بالطبع لا؛ لأن حالاتهم الصحية مختلفة، والعدل أن يعطي كل مريض العلاج المناسب لحالته، وقد يضرهم إعطاؤهم العلاج نفسه.

وكذلك لو امتحنا طالب الطب وطالب الهندسة بالأسئلة نفسها في تخصص أحدهما، لمجرد المساواة، لما أنصفناهما؛ لأن كل واحد درس تخصصا مختلفا.

فالعدل في المنظور الإسلامي هو إعطاء كل ذي حق حقه[٤٠٦]، فالمساواة تكون عدلا حين تتماثل الحالات، وقد يقتضي العدل اختلاف المعاملة حين توجد فروق مؤثرة.

وحينما نأتي إلى الرجل والمرأة نجدهما متماثلين أي متساويين في الإنسانية والكرامة والمسؤولية أمام الله، وفي كثير من الأحكام والتكاليف؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾.(٤٠٧)

لكنهما ليسا متماثلين في جميع الخصائص؛ إذ يختلف الذكر والأنثى في خصائص جسدية متعددة؛ فالصبغيات الجنسية تكون في الحالات المعتادة (XX) لدى الأنثى و (XY) لدى الذكر، ويختلف الجهاز التناسلي؛ إذ توجد لدى الذكر الخصيتان، ولدى الأنثى المبيضان والرحم، إلى جانب اختلاف الأعضاء التناسلية الخارجية. كما تختلف نسب الهرمونات وأنماطها بينهما.

ويشترك الذكر والأنثى في القلب والدماغ والرئتين والعظام والعضلات وسائر أجهزة الجسم، ولكن هناك فروقا عامة في بنية الجسم ونسب العضلات والدهون والعظام وبعض جوانب عمل أجهزته، مع اختلاف الأفراد.

وكذلك توجد اختلافات وظيفية، والمقصود بالوظيفة: العمل الذي يقوم به العضو أو الجهاز؛ فوجود الرحم خاصية جسدية، واحتضان الجنين ونموه فيه وظيفة. ومن أوضح الوظائف المرتبطة بتكوين الأنثى الحمل والولادة والرضاعة؛ فجسم المرأة مهيأ لها، وإن تعذرت لدى بعض النساء بسبب العمر أو المرض، ولا يقوم جسم الرجل بالحمل والولادة.

لذا فالاختلاف في بعض الأحكام يحقق العدل بما يناسب الفروق المؤثرة بين الرجل والمرأة، وأيضا يحقق التكامل في الحياة.

ومثال ذلك: أن تحقيق التكامل في الحياة الأسرية يحتاج إلى توزيع المسؤوليات بين الزوجين، وقد نظم الإسلام ذلك بالحقوق والواجبات الزوجية؛ فأوجب النفقة على الزوج، واستحب للزوجة القيام بشؤون المنزل، ويتعاونان في رعاية الأولاد وتربيتهم والعناية أحدهما بالآخر.

ومن الحكم التي يمكن فهمها في هذا التوزيع أن الرجل أكبر كتلة عضلية وأقوى بدنيا في الغالب، مما يساعده على تحمل الأعمال الشاقة، بينما هيأ الله المرأة للحمل

والولادة والرضاعة وما يصاحبها من أعباء. وبهذا تتكامل مسؤولياتهما، بدلا من تحميل أحدهما أعباء الإنفاق والمنزل ورعاية الأولاد جميعا.

أما إذا تحملت المرأة العمل لتأمين النفقة، إلى جانب مسؤوليات المنزل ورعاية الأولاد، دون مشاركة كافية من الزوج، فقد تستنزف طاقتها ويصعب عليها أداء هذه المسؤوليات جميعا على الوجه المطلوب.

لذا ينبغي ألا ننخدع بشعارات المساواة والحرية والدفاع عن الحقوق حين تستخدم للطعن في أحكام الإسلام؛ فقد تخفي وراء بريقها باطلا وظلما وانفلاتا، في مقابل ما يقوم عليه الإسلام من حق وعدل وحرية مسؤولة.

المبحث الثالث: الآثار والمحاذير المترتبة على الفكر الجندري

بعد معرفة الجندر والهوية الجندرية، يأتي السؤال: ماذا قد يحدث إذا جعلنا الشعور وحده أساسًا لتحديد جنس الإنسان؟ وماذا يترتب على القول إن جميع الفروق بين الرجل والمرأة صنعتها التربية والعادات؟

لفهم المحاذير، نربط كل فكرة بما قد ينتج عن تطبيقها من آثار وخيمة على الفرد والمجتمع:

أولًا: إضعاف الالتزام بمرجعية الدين

يظهر هذا المحذور حين تتخذ الهوية الجندرية المخالفة للجسد أساسًا للمطالبة بتغيير الأحكام الشرعية؛ فيقول الذكر مثلًا: «ما دمت أرى نفسي أنثى، فمن حقي أن تُطبَّق عليّ أحكام النساء»، أو يحدث العكس. فهنا لا تبقى المسألة وصفًا لشعور، بل تصبح مطالبة بتقديم الشعور والرغبة على حكم الله، واتخاذهما أساسًا لتحديد الحلال والحرام والحقوق والواجبات في العفة والستر والحجاب والزواج والإرث وسائر الأحكام التي تختلف باختلاف الجنس.

وهذا المنهج يقوض أصل التسليم لله والالتزام بشريعته؛ إذ تصبح أحكامه خاضعة لقبول الإنسان ورغبته، بدل أن يرجع الإنسان إليها ويضبط تصرفاته بها. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.[٤٠٨] فالمحذور يتعلق بهذا المنهج الذي يعطل مرجعية الشريعة، وليس بمجرد شعور لم يختره صاحبه.

ثانيًا: إضعاف حدود العفاف وخصوصية الآخرين

حين يطلب الشخص أن يعامله الآخرون بحسب هويته الجندرية المخالفة لجنسه الجسدي، فإن الآثار المترتبة على ذلك لا تقتصر عليه، بل قد تمس عفاف الآخرين وخصوصيتهم أيضًا.

فمثلًا، قد يقول رجل: «أنا أعد نفسي امرأة؛ لذلك عاملنني كما تعاملن النساء»، ويطلب دخول مكان تبديل ملابسهن، أو يظن أن لهن الكشف أمامه ومصافحته. فإذا قبل هذا الطلب اعتمادًا على قوله وحده، فقد تقع النساء في كشف ما يجب ستره، وتتضرر خصوصيتهن.

وكذلك قد ترى امرأة نفسها رجلًا، فتظن أن أحكام ستر المرأة لم تعد متعلقة بها. فالأثر هنا هو تجاوز حدود التعامل بين الجنسين بسبب الخلط بين الشعور وتكوين الجسم، مع أن تغيير المظهر لا يغير هذه الأحكام في الصورة المذكورة.[٤٠٩]

ثالثًا: تغيير مفهوم الزواج وتبرير العلاقات المحرمة

قد يكون الطرفان ذكرين، لكن أحدهما يعرف نفسه بأنه امرأة، فيقال: «هذه علاقة رجل بامرأة». وقد تكونان أنثيين، وتعرف إحداهما نفسها بأنها رجل، فتقدم علاقتهما بالطريقة نفسها.

إذا اعتمدنا هذا الوصف، فقد تستعمل الهوية المعلنة لتقديم العلاقة بين شخصين من الجنس نفسه بوصفها زواجًا مشروعًا، مع أن تغيير الاسم أو المظهر لا يصحح هذا الزواج شرعًا.[٤١٠]

عودة إلى الفهرس

وقد يترتب على ذلك تهوين الأفعال الجنسية المحرمة، كاللواط والمساحقة، أو عرضها باعتبارها تعبيرًا عن الهوية يجب قبوله. فالمحذور هو تغيير نظرة الناس إلى الفعل وحكمه، وليس مجرد وجود مشاعر عند شخص لم يتصرف على أساسها.

وبذلك يتغير معنى الزواج والأسرة في أذهان المتلقين، ولا سيما إذا تكررت هذه الصورة في القصص والأعمال المرئية دون بيان موضع مخالفتها للرؤية الإسلامية.

رابعًا: تغذية الخصومة بين الرجل والمرأة

من الطروحات المرتبطة بمناقشة الجندر تفسير بعض الاتجاهات النسوية الراديكالية أدوار الرجل والمرأة باعتبارها وسيلة لترسيخ سيطرة الرجال على النساء. ومن أمثلتها طرح كيت ميليت في كتابها «السياسة الجنسية»، حيث تفسر العلاقة بين الجنسين من خلال الهيمنة والخضوع، وتناقش دور التربية وتوزيع الأدوار في استمرارها.[٤١١]

والمحذور الذي ننبه إليه هو تعميم هذا التفسير حتى يصبح كل تعاون خضوعًا، وكل اختلاف محاولة للسيطرة. عندئذ قد تتحول العلاقة إلى منافسة لإثبات القوة، بدل الاستفادة من قدرات الطرفين. وهذا أثر محتمل لهذا التعميم، وليس وصفًا لكل من يناقش ظلم المرأة.

وقد أمر الله تعالى بالتعاون على الخير، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[٤١٢]؛ فقبول الرأي الصحيح وطلب المساعدة لا يسلبان الإنسان كرامته.

فمثلًا، قد ترفض امرأة اقتراحًا مفيدًا من أخيها لأنها ترى قبوله خضوعًا للرجال، وقد يرفض رجل الاستفادة من خبرة زميلته خوفًا على مكانته. وفي الأسرة، قد تتحول مناقشة قرار إلى معركة لإثبات من الأقوى، بدل البحث عما يحفظ الحقوق ويصلح الحياة المشتركة.

وقد انتقد الشيخ حسن أحمد الهادي النزعة النسوية الراديكالية، وذكر أنها تتبنى «صراع الجنسين وعداءهما».[٤١٣] لكن رفض الخصومة لا يعني السكوت عن الظلم؛

فالمطلوب مواجهة الإساءة ومحاسبة صاحبها، دون اعتبار الرجال والنساء أعداء بطبيعتهم.

خامسًا: التقليل من قيمة الأمومة والرعاية الأسرية

من الطروحات المرتبطة بمناقشة الجندر موقف بعض الاتجاهات النسوية الراديكالية من الإنجاب والأدوار الأسرية. فشولاميث فايرستون، مثلًا، تربط اضطهاد المرأة بظروف الحمل والإنجاب، وتدعو إلى التحرر من قيودهما بالوسائل التقنية وإعادة تنظيم رعاية الأطفال.[٤١٤]

ويظهر المحذور حين يتحول الاعتراف بمشقة الأمومة إلى اعتبارها عائقًا أمام حرية المرأة ونجاحها، أو احتقار الرعاية لأنها لا تمنح راتبًا أو منصبًا. فقد تسمع الأم التي تسهر لمرض طفلها وتتابع تعليمه وتربيته: «أنت لا تحققين شيئًا»، فتشعر أن عطاءها بلا قيمة، ويقل تقدير حاجتها إلى المساندة.

أما القرآن، فقد ذكر مشقة الأم مقرونة بالدعوة إلى شكرها، فقال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٤١٥] فالتعب لا يدل على ضآلة العمل؛ وتربية إنسان ورعاية حاجاته من أعظم الإنجازات؛ فهي بناء لعقله وخلقه وشخصيته. ولئن افتخر الناس بصناعة الأجهزة والاختراعات، فللمرأة المربية أن تفتخر بإسهامها في صناعة الإنسان الذي يتعلم ويبدع ويعمر الحياة.

ولا يعني تقدير الأمومة منع المرأة من التعليم والعمل النافع، ولا ترك المسؤولية كلها عليها؛ فالأب شريك في التربية والرعاية. كما لا تتوقف كرامة المرأة على الإنجاب. وإنما نرفض حصر النجاح في المال والشهرة، وتصوير الأمومة نفسها سببًا لفقدان المرأة قيمتها ومستقبلها.

سادسًا: سوء تفسير المعاناة والتسرع في توجيه صاحبها

قد تقول فتاة: «أتمنى لو كنت ولدًا»، لأنها ترى أسرتها تقدر أخاها وتحرمها من فرص مشروعة. فهي تتمنى التخلص من الظلم، ولا تكفي عبارتها للحكم بأنها

عودة إلى الفهرس

تشعر بهوية ذكر.

لذلك، لا يصح أن تفسر معلمة أو مرشدة كلامها فورًا بأنه تعبير عن هوية جندرية مخالفة لجسدها، ثم تشجعها على تغيير اسمها ومظهرها قبل فهم مقصودها وظروفها.

والأشد خطورة أن يمتد هذا التفسير المتعجل إلى تشجيعها على طلب هرمونات أو تدخلات جراحية دون تقييم متخصص كافٍ.

وقد ذكر بعض المستشارين حالات لطلبة في بعض المؤسسات التعليمية الأوروبية أسيء فيها تفسير معاناتهم، واتُّخذت إجراءات لتغيير أسمائهم وطريقة مخاطبتهم، بل بلغ الأمر حدّ إجراء تغييرات طبية ومنع الوالدين قانونًا من التدخل بحجة تعارض تدخل الوالدين مع حرية الطالب.

وقد يمتد هذا التوجيه المتعجل إلى تغيير الجسم بالهرمونات أو الجراحة، وهذا يترتب عليه آثار دائمة يصعب الرجوع عنها.

كما أن عمليات التغيير الشكلي التي تتضمن قطع الأعضاء المذكورة محرمة وفق فتاوى الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، ولا يجيزها مجرد الشعور بالانتماء إلى الجنس الآخر.[٤١٦]

ومن أوضح الأمثلة التأثير في القدرة على الإنجاب؛ فاستئصال المبيضين يزيل مصدر البويضات، واستئصال الخصيتين يوقف إنتاج الحيوانات المنوية منهما، واستئصال الرحم يمنع حمل الجنين فيه. وقد تؤثر بعض العلاجات الهرمونية في الخصوبة أيضًا، وتختلف النتيجة بحسب العلاج والحالة.[٤١٧]

فقد يتخذ الإنسان قرارًا في مرحلة من حياته، ثم يرغب لاحقًا في الإنجاب، ويجد أن بعض الخيارات أصبحت أصعب أو غير ممكنة بالطريقة السابقة. ومراجعة القرار لا تعيد الأعضاء المستأصلة، ولا تزيل بالضرورة جميع آثار التدخل.

المبحث الرابع: الجندرية في ميزان الشرع

تطرح بعض الاتجاهات التي تتبنى أفكارًا جندرية مطالب تتعلق بتغيير المظهر والجسم، أو بتغيير الأحكام المنظمة للستر والزواج والعلاقات والتعامل بين الجنسين. ومن هنا نحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي لكل إجراء وتصرف، فلا نجعل الشعور أو الرغبة أو تغير العادات دليلًا على جوازه. وسنبين أبرز هذه الأحكام وفق فتاوى السيد السيستاني دام ظله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: عمليات تغيير الجنس: الأحكام والحالات

قد نسمع أن شخصًا أجرى «عملية تغيير الجنس». وقد أفتى بعض الفقهاء بحرمة هذه العمليات، مستدلين على منعها بأدلة، منها الاستدلال بعنوان: «تغيير خلق الله»، ومستشهدين بقوله تعالى، حكاية عن الشيطان: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.[٤١٨]

قال الميرزا جواد التبريزي عن عمليات تغيير الجنس: «هذا غير جائز لأنه من تغيير خلق الله سبحانه وتعالى».[٤١٩]

وقد بين الله سبحانه وتعالى أصل خلق الذكر والأنثى، فقال: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾.[٤٢٠]

لكن ليس كل ما يسمى «عملية تغيير الجنس» حالة واحدة؛ فقد تكون العملية لتغيير المظهر، وقد تكون لكشف جنس حقيقي كان مستورًا بسبب تشوه الأعضاء. ولذلك لا نعمم حكمًا واحدًا على جميع الحالات، بل نعرف حقيقتها وتفصيل حكمها.

وقبل مناقشة هذه الحالات، لا بد أن نعرف المعيار الشرعي لتحديد الجنس.

يبين السيد السيستاني أن المعيار هو نوع الأجهزة التناسلية الحقيقية الداخلية

عودة إلى الفهرس

والخارجية، وليس مجرد الشعور أو الميول السلوكية والعاطفية. فمن لديه أعضاء ذكورية حقيقية فهو ذكر، ومن لديها أعضاء أنثوية حقيقية فهي أنثى، ولا يزول هذا الحكم لمجرد إزالة تلك الأعضاء لسبب ما.[٤٢١]

وفيما يأتي بيان الحالات وفق فتاوى سماحة السيد السيستاني دام ظله، مع تبسيط المعنى بتصرف:

أ. تغيير الشكل مع بقاء الذكر ذكرًا والأنثى أنثى

قد تجرى للرجل عمليات لإزالة أعضائه التناسلية وتكوين فتحات بديلة، مع استعمال هرمونات تؤدي إلى ظهور بعض الصفات الأنثوية. وقد تجرى للمرأة إجراءات لتركيب عضو ذكري صناعي واستعمال هرمونات تؤدي إلى ظهور بعض الصفات الذكورية.

هذه الإجراءات لا تحول الرجل إلى امرأة، ولا المرأة إلى رجل؛ وإنما تغير المظهر وبعض الصفات الظاهرة. وتحرم العمليات الموصوفة لما تتضمنه من قطع الأعضاء المذكورة، كما لا تجوز إذا استلزمت كشف العورة أو النظر إليها أو لمسها دون مسوغ شرعي.[٤٢٢]

قد يطرح شخص هذا السؤال:

تأتيني مشاعر متكررة بأنني من الجنس الآخر، وهي تزعجني ولم أخترها؛ فهل يجوز لي بسببها إجراء عملية لتغيير مظهري الجنسي؟

الجواب:

لا نساوي مجرد الشعور بإجراء عملية أو ارتكاب فعل محرم، لكن تكراره لا يعد وحده مسوغًا للعمليات المذكورة ومحرماتها. ويمكن لمن تزعجه هذه المشاعر مراجعة أهل الخبرة والتخصص للمساعدة في التعامل معها، كما ورد في الاستفتاء.[٤٢٣]

ب. إظهار الجنس الحقيقي الذي كان مستورًا بسبب تشوه الأعضاء

قد يولد الشخص بتشوه في الأعضاء يجعل مظهره الخارجي لا يكشف حقيقة جنسه. ومثال ذلك ذكر تكون أعضاؤه الذكورية مستورة، فتكشفها الجراحة، أو أنثى لديها أعضاء تناسلية داخلية أنثوية، وتزيل الجراحة عضوًا خارجيًا ذا مظهر ذكري.

هذه العملية تكشف الجنس الحقيقي، ولا تحول الشخص إلى جنس آخر، وهي جائزة في حد ذاتها. أما إذا استلزمت كشف العورة أو النظر أو اللمس المحرم، فلا تجوز إلا عند ضرورة معتبرة، كضرر معتد به أو حرج شديد لا يتحمل عادة، مع عدم وجود طريق مشروع آخر.[٤٢٤]

ج. التحول الحقيقي من ذكر إلى أنثى أو العكس، على فرض تحققه

المقصود تحول حقيقي في الأجهزة التناسلية الداخلية والخارجية، وليس مجرد إزالة أعضاء أو تركيب أعضاء صناعية أو استعمال هرمونات.

وقد بين الاستفتاء أن هذا التحول لم يتحقق إلى زمان النص، وأن الذي يتحقق عادة هو تغيير المظهر. وعلى فرض تحقق التحول الحقيقي، فلا يجوز إجراؤه إذا استلزم محرمات، كقطع الأعضاء على نحو محرم، أو كشف العورة أو النظر واللمس المحرمين.[٤٢٥]

المطلب الثاني: أحكام شرعية مرتبطة بالجندرية

بعد بيان أحكام العمليات، ننتقل إلى بقية الأحكام المرتبطة بالموضوع؛ فسواء أجرى الشخص تغييرًا شكليًا أم لم يجره، تبقى الأحكام المتعلقة بجنسه الجسدي ثابتة، ولا يغيرها شعوره بالانتماء إلى الجنس الآخر. ومن أبرز هذه الأحكام، وفق فتاوى السيد السيستاني دام ظله، ما يأتي:

عودة إلى الفهرس

أولًا: التشبه في الهيئة واللباس

تشبه الرجل بالمرأة أو المرأة بالرجل، بمعنى صيرورة أحدهما بهيئة الآخر وتزييه بزيه، محرم على الأحوط لزومًا.[٤٢٦] ولا يكفي مجرد الاشتراك في هواية أو عمل، كالطبخ أو الرياضة، للحكم بالتشبه.

ثانيًا: الزواج والعلاقات الجنسية

لا يصح الزواج بالمماثل بسبب تغيير المظهر؛ فلا يصح زواج الرجل من رجل، ولا المرأة من امرأة. ويحرم اللواط والمساحقة والزنا، ولا يبيحها الشعور بالانتماء إلى الجنس الآخر.[٤٢٧]

ثالثًا: النظر واللمس والحجاب

تبقى أحكام النظر واللمس والستر ثابتة؛ فالرجل الذي اتخذ مظهر امرأة لا يجوز للنساء غير المحارم الكشف أمامه عما يجب ستره عن الرجل الأجنبي، ولا تجوز مصافحته لمجرد مظهره. والمرأة التي اتخذت مظهر رجل لا تسقط عنها أحكام الستر أمام الرجال الأجانب.[٤٢٨]

رابعًا: الوثائق الرسمية

لا يجوز لمن أجرى تغييرًا شكليًا إصدار وثائق تعريفية بهوية الجنس الآخر. أما تصحيح خطأ أصلي في التسجيل أو إثبات الجنس الحقيقي بعد كشفه، فخارج عن هذه الصورة.[٤٢٩]

المبحث الخامس: الحماية من الفكر الجندري

تسعى بعض الجهات المعادية للإسلام والبشرية ومنها الجهات التي تتبنى الأفكار الجندرية إلى استعباد الناس وإبعاد المسلمين عن الالتزام بتعاليم دينهم، عن طريق نشر التصورات الجندرية. وقد ساعد اتساع التواصل العالمي على انتقالها بين المجتمعات؛

عودة إلى الفهرس

فتقدم عبر الدروس والأنشطة التعليمية، وإدراجها ضمن المناهج الدراسية، وكذلك عبر القصص والشخصيات المحبوبة، والأفلام والمنصات والإعلانات، وحملات الجمعيات ودوراتها، وقد تدخل بعض مفاهيمها في الاستمارات والوثائق والقوانين.

وأحيانًا تعرض الفكرة صراحة، وأحيانًا تمرر ضمن قصة مسلية أو تحت شعار جذاب، فيألفها المتلقي قبل أن يفهم مضمونها وما يخالف منها دينه. ولهذا ينبغي أن ننتبه إلى الجهة التي تقدم الفكرة، وماذا تريد إقناعنا به، وألا نكتفي بجمال الشعار أو شهرة صاحبه.

ولحماية أنفسنا وأبنائنا من الفكر الجندري، نحتاج إلى بناء القناعة وتصحيح الأفكار، والأخذ بوسائل تربوية وعملية تعين على الوعي والثبات، ونبيّن أبرزها في النقاط الآتية:

أولًا: بناء القناعة وفهم الذات

تبدأ الحماية بقناعة تقوم على الفهم والدليل؛ حتى يستطيع الإنسان تمييز الفكرة الصحيحة من غيرها، ولا يتأثر بكل ما يقدم تحت شعارات جذابة. وقد ناقشنا في المباحث السابقة أفكارًا أساسية، منها:

١. اعتبار الشعور الداخلي وحده أساسًا لتحديد جنس الإنسان؛ وقد بيّنا في المبحث الأول أن الشعور لا يغير التكوين الجسدي، وأن معرفة الجنس تقوم على الخصائص الجسدية الجنسية.

٢. اعتبار جميع الفروق بين الرجل والمرأة من صنع المجتمع والتربية، والمطالبة بإلغاء الأحكام المختلفة بينهما بدعوى أن العدل يقتضي تطابق الحقوق والواجبات؛ وقد ناقشنا ذلك في المبحث الثاني، وميزنا بين العادات المكتسبة والخصائص الخلقية، وبين العدل والتطابق.

٣. تفسير العلاقة بين الرجل والمرأة بوصفها صراعًا على السلطة، وتصوير الأمومة عائقًا أمام نجاح المرأة؛ وقد ناقشنا هذين الطرحين في المبحث الثالث، وبيّنا ما قد

عودة إلى الفهرس

يترتب عليهما من خصومة وانتقاص من قيمة الرعاية الأسرية.

ولا نعيد تفصيل هذه الردود هنا، وإنما نؤكد أهمية فهمها؛ فالقناعة الواعية تساعد الإنسان على مواجهة ما يسمعه منها دون ارتباك.

وإلى جانب تصحيح هذه الأفكار، نحتاج إلى بناء قناعة الإنسان بقيمة خلقته؛ فلا يرى كونه ذكرًا أو أنثى نقصًا، ولا يجعل إعجابه ببعض ما عند الجنس الآخر سببًا لاحتقار نفسه. ولا يكفي أن نقول له: «ارضَ بجنسك»، ثم نترك أسئلته دون جواب؛ بل نبين له ما يعينه على الثقة بعلم الله وحكمته، وفهم قيمة ما وهبه.

فالله تعالى لم يخلق الإنسان عبثًا، وإنما خلقه بعلم وحكمة وتقدير، وأحسن خلقه وتكوينه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٤٣٠]، وقال سبحانه: [وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ][٤٣١].

ومن هذا الخلق والتقدير أن جعله ذكرًا أو أنثى، فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾[٤٣٢] فكون الإنسان ذكرًا أو أنثى جزء من خلق الله له، وليس نقصًا في قيمته. ولا يحتاج الفتى إلى أن يكون أنثى، ولا الفتاة إلى أن تكون ذكرًا، حتى تكون لحياته قيمة، ويستطيع التعلم والنجاح والعمل الصالح.

وقد وصف الله البنات والبنين بالهبة، فقال تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾[٤٣٣]، والهبة تستحق التقدير والشكر؛ فلا يصح أن نحتقر أحد الجنسين، أو نستقبل عطية الله بالتسخط.

وروي أن رجلًا من أصحاب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ولدت له بنت، فدخل عليه متسخطًا، فقال له الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أرأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك: أختار لك أو تختار لنفسك، ما كنت تقول؟». قال: كنت أقول: يا رب، اختر لي. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإن الله قد اختار لك»[٤٣٤].

والرواية تتحدث عن أب تسخط لولادة بنت، وتعلمنا الثقة باختيار الله وعدم احتقار عطيته. ومن هنا نبني القناعة: خالقنا أعلم بنا، وعدم معرفتنا بجميع حكمته

لا يعني أن خلقته لنا خطأ ينبغي رفضه.

فإذا أعجب الإنسان ببعض ما عند الجنس الآخر، فلا يجعل إعجابه سببًا لاحتقار جنسه؛ فقد يرى جانبًا يتمناه، ولا يحيط بسائر المسؤوليات والمشقات. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٤٣٥]

لكن بناء القناعة لا يعني تجاهل المعاناة. فقول الإنسان: «أنا متضايق من جسمي» يحتاج إلى فهم؛ فقد يحتاج إلى معرفة تغيرات البلوغ، أو تصحيح تصور، أو معالجة إساءة، أو مساعدة متخصصة، ولا نفسر جميع الحالات بسبب واحد.

ومجرد الشعور الذي لم يختره الإنسان لا يساوي ارتكاب فعل محرم، فلا يقابل بالسخرية أو الاتهام. وإذا استمر الضيق وأثر في حياته، فيمكنه مراجعة طبيب نفسي أو مختص مؤهل؛ فقد أشار السيد السيستاني إلى إمكان مراجعة أهل الخبرة والتخصص لمعالجة هذه المشاعر بما ينسجم مع هويته الجنسية الواقعية.[٤٣٦] ولا يعتمد في قراراته الدوائية أو الطبية على تجربة شخص أو مقطع.

ثانيًا: التفكير المستقل واختيار القدوة بوعي

من أسباب التأثر أن يرى الإنسان كثرة الموافقين، فيقول: «هل يعقل أن يكون هؤلاء جميعًا مخطئين؟».

نعم، قد يخطئ كثيرون، كما قد يصيبون؛ فالعدد وحده لا يحسم صحة الفكرة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤٣٧] روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لرجل من أصحابه: «لا تكونن إمعَة، تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس».[٤٣٨]

فإذا قيل لنا: «الجميع يقبلون أن يحدد الإنسان جنسه بشعوره، فلماذا ترفضون؟»، فلا نجعل كثرة الموافقين دليلًا على أن الفكرة حق. وإنما نزنها بهدي القرآن وتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونرجع في معرفة حكمها الشرعي إلى مراجع الدين العدول؛

فهم أهل الاختصاص في استنباط الأحكام من أدلتها. وسيرشدوننا إلى أن معرفة جنس الإنسان تقوم على خصائصه الجسدية الجنسية، لا على الشعور وحده، كما بيّنا في المبحث الأول. فلا نقبل ما يخالف الشرع لمجرد انتشاره، ولا نخجل من التمسك بالحق وإن قل الموافقون عليه.

وكذلك الشهرة؛ فقد نحب ممثلًا أو لاعبًا لموهبته، لكنه ليس مرجعًا في كل شأن. وإعجابنا بمهارته لا يلزمنا بقبول رأيه في كيفية تحديد الهوية الجنسية، ولا بتجربة ما فعله بجسمه.

وإنما نجعل قدوتنا في فهم أنفسنا وتوجيه حياتنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فنأخذ بتعاليمهم، ونقتدي بسيرتهم، ونتمسك بهديهم حين تدعونا بعض الشخصيات المشهورة إلى ما يخالف ديننا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.(٤٣٩)

ثالثًا: فحص الرسالة والرجوع إلى مصدرها

المقصود بالرسالة هنا كل مضمون يقدم فكرة، سواء في مقطع أو قصة أو إعلان أو برنامج أو نشاط. ولا ينبغي أن نصدق كل ما يعرض علينا؛ فقد تقدم الفكرة المخالفة للدين بأسلوب مؤثر، أو تعرض تجربة شخصية وكأنها دليل يصلح للجميع، وقد تكون بعض المشاهد تمثيلية أو تخفي جوانب من الحقيقة.

فمثلًا، قد يظهر شخص يصف سعادته بعد تغيير مظهره الجنسي، ويقدم ذلك بوصفه حلًا مضمونًا لكل من يعاني الضيق، دون بيان حدوده ومخاطره التي أشرنا إلى بعضها في المبحث الثاني. والتأثر بالقصة لا يثبت صحة الفكرة، ولا سلامة تطبيقها على الآخرين.

وقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان».(٤٤٠) وهذا يحذرنا من تسليم عقولنا لمن نسمعه واتباع توجيهه دون بصيرة.

ولتمييز الحق من الباطل، نعرض مضمون الرسالة على القرآن وتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونرجع إلى مراجع الدين العدول لمعرفة حكمها الشرعي، وإلى المختصين المؤهلين للتحقق من ادعاءاتها الصحية. ونحكم على المحتوى بما ثبت فيه، أما نيات أصحابه فلا نجزم بها دون دليل. ولا نعيد نشر مادة لم نتحقق منها؛ فقد نكون سببًا في تضليل غيرنا.

رابعًا: حفظ الحدود وطلب المساندة

قد يفهم الإنسان الفكرة، لكنه يضعف أمام الإلحاح أو الخوف من خسارة الآخرين. لذلك يحتاج إلى إقناع وتدريب على عبارات واضحة يستطيع استعمالها، مثل: «أحترمك، لكنني لا أوافق على هذا»، أو «لا أشارك في شيء يخالف قناعتي الدينية»، أو «أحتاج إلى التحقق قبل اتخاذ قرار».

ولا يلزمه الدخول في جدال طويل ليثبت نفسه. فإذا استمر الضغط، يستطيع إنهاء الحديث أو مغادرة المجموعة وطلب المساندة.

والصديق الجدير بالثقة يحترم الرفض، ولا يستعمل الأسرار أو السخرية لإجبار صاحبه على المشاركة.

وإذا قيل لفتى: «أنت فتاة لأنك حساس»، أو لفتاة: «أنت رجل لأنك قوية»، فهذه الصفات لا تحدد الجنس؛ وإنما يعرف بالخصائص الجسدية الجنسية، ولا سيما الأعضاء التناسلية، كما بيّنا سابقًا. وقد يقال هذا للسخرية أو للتشكيك في هوية الشخص، فلا يجعل كلام الآخرين دليلًا على حقيقة نفسه.

ويمكن الرد: «طبعي لا يغير تكوين جسمي، ولا أقبل السخرية مني». وإذا تكرر الأذى، ينبغي الابتعاد عمن يصر عليه، واختيار صحبة تحترم كرامته وقناعته، والاستعانة بمن يستطيع إيقاف الإساءة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.[٤٤١]

خامسًا: دور الأسرة في بناء القناعة والمساندة

للأسرة أثر في نظرة الأبناء إلى أنفسهم؛ فالكلام الذي يسمعونه، والمعاملة التي يعيشونها، قد يقويان اعتزازهم بخلقتهم أو يجعلانهم يربطون جنسهم بالحرمان والإهانة. فإذا سمعت فتاة دائمًا: «لو كنت ولدًا لكان أفضل»، فلا يكفي أن نطالبها بالرضا بأنوثتها، بل يجب أن نوقف الانتقاص ونشعرها بقيمتها.

وكذلك حين نسخر من فتى لأنه يساعد في رعاية أخيه، فإننا نعلمه تصورًا خاطئًا عن الرجولة. أما حين يرى أباه يرعى ويساعد، وأمه تحظى بالاحترام والتقدير، فإنه يفهم أن التعاون لا يغير الجنس، وأن الأنوثة والذكورة لا تمنعان اكتساب المهارات النافعة. وتوزع الأعمال بحسب العمر والقدرة، مع حفظ الحقوق والواجبات الشرعية، بدل تحويل كل عادة إلى علامة تحدد جنس الإنسان.

وإذا قال أحد الأبناء: «أنا حائر في مشاعري»، نسمع قبل أن نحكم؛ فقد يخفي غضبنا المشكلة، بينما يفتح الرفق باب فهمها وتصحيح الأفكار المرتبطة بها. والاستماع لا يعني إقرار كل تفسير، بل معرفة ما يحتاج إلى توضيح أو إنصاف أو مساعدة متخصصة، دون تشخيص متسرع أو فضح لخصوصيته.

فالحماية الأسرية تجمع حسن المعاملة ووضوح التوجيه الديني، وتقدم للأبناء واقعًا يصدق ما نقوله: نحترم خلقتهم، وننمي قدراتهم، ونصحح الخطأ دون إذلال.

فالوالدان يغرسان في ابنتهما الاعتزاز بأنوثتها، وفي ابنهما الاعتزاز بذكورته، ويربيانهما على أن الكرامة تظهر في الإيمان والخلق، وأن الرجولة مسؤولية وشجاعة ورحمة. ويعلمانهما أن لهما غاية في الحياة: رضا الله والثبات على طاعته، حتى في الشدائد. ولنا في الغلامين من أبناء مسلم بن عقيل أسوة حسنة؛ فقد أظهرت القصة المروية عنهما، رغم صغر سنهما، شجاعة وصلاحًا وتعلقًا بالله، حتى إنهما طلبا الصلاة وهما يواجهان الموت. فقد روى الشيخ الصدوق في أماليه:

أنه لما قتل الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسِر من معسكره غلامان صغيران فأُتي بهما إلى عبيد الله بن زياد فدعا سجاناً له وقال: «خُذْ هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ إِلَيْكَ، فَمِنْ طَيِّبِ الطَّعَامِ فَلَا تُطْعِمْهُمَا، وَمِنَ الْبَارِدِ فَلَا تَسْقِهِمَا، وَضَيِّقْ عَلَيْهِمَا سِجْنَهُمَا»، و لما طال بالغلامين المكث في سجنه أعلما سجانهما بمكانتهما من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنهما من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فانكب الشيخ على أقدامهما يقبلها ويقول:

«نَفْسِي لِنَفْسِكُمَا الْفِدَاءُ، وَوَجْهِي لِوَجْهِكُمَا الْوِقَاءُ، يَا عِتْرَةَ نَبِيِّ اللهِ الْمُصْطَفَى، هَذَا بَابُ السِّجْنِ بَيْنَ يَدَيْكُمَا مَفْتُوحٌ، فَخُذَا أَيَّ طَرِيقٍ شِئْتُمَا»

ثم أوقفهما على الطريق وقال لهما: «سِيرَا يَا حَبِيبَيَّ اللَّيْلَ، وَاكْمُنَا النَّهَارَ»، ثم خرجا فلما جنهما الليل، انتهيا إلى عجوز على باب فقالا لها: «يَا عَجُوزُ إِنَّا غُلَامَانِ صَغِيرَانِ غَرِيبَانِ حَدَثَانِ غَيْرَ خَبِيرَيْنِ بِالطَّرِيقِ، وَهَذَا اللَّيْلُ قَدْ جَنَّنَا، أَضِيفِينَا سَوَادَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ، فَإِذَا أَصْبَحْنَا لَزِمْنَا الطَّرِيقَ» فقالت المرأة العجوز: «ممن أنتما؟»، قالا: «نَحْنُ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّكِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هَرَبْنَا مِنْ سِجْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ مِنَ الْقَتْلِ»

قالت العجوز: «يَا حَبِيبَيَّ، إِنَّ لِي خَتَناً فَاسِقاً قَدْ شَهِدَ الْوَاقِعَةَ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، أَتَخَوَّفُ أَنْ يُصِيبَكُمَا هَاهُنَا فَيَقْتُلَكُمَا» قالا: «ضيفينا سَوَادَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ، فَإِذَا أَصْبَحْنَا لَزِمْنَا الطَّرِيقَ»، قالت: «شأنكما»

فلما كان في بعض الليل أقبل زوج العجوز إلى داره محدثاً العجوز عن هرب غلامين من معسكر ابن زياد وفي بعض الليل سمع زوج العجوز غطيط الغلامين يتحدثان قام حتى وقف عليهما قائلاً: «من أنتما؟»، قالا: «إِنْ نَحْنُ صَدَقْنَاكَ فَلَنَا الْأَمَانُ؟» قَالَ: نَعَمْ.

قالا: «نحْنُ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (ص)، هَرَبْنَا مِنْ سِجْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ مِنَ الْقَتْلِ»، فَقَالَ لَهُمَا: «مِنَ الْمَوْتِ هَرَبْتُمَا وَإِلَى الْمَوْتِ وَقَعْتُمَا»، وشد أكتافهما ولما صار الصبح أخذهما إلى شاطئ الفرات ليقتلهما قالا له: «يَا شَيْخُ، انطَلِقْ بِنَا إِلَى السُّوقِ وَاسْتَمْتِعْ بِأَثْمَانِنَا، وَلَا تُرِدْ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ خَصْمَكَ فِي الْقِيَامَةِ غَداً»، فَقَالَ: «لَا وَلَكِنْ

عودة إلى الفهرس

أَقْتُلُكُمَا، وَأَذْهَبُ برؤوسِكُمَا إِلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ»، قالا: «يَا شَيْخُ، فَائْتِ بنَا إِلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ حَتَّى يَحْكُمَ فِينَا بِأَمْرِهِ....»، فلم يرضَ فقالا: «يَا شَيْخُ، إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ، فَدَعْنَا نُصَلِّي رَكَعَاتٍ»

قال: «فَصَلَّيَا مَا شِئْتُمَا إِنْ نَفَعَتْكُمَا الصَّلَاةُ»، فصليا ورفعا طرفيهما إلى السماء قائلين «يَا حَيُّ يَا حَكِيمُ، يَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْحَقِّ»، ثم قتلهما وأخذ رأسيهما طمعاً بالجائزة ورمى جسديهما في الفرات ثم قدم على ابن زياد مطالباً بالجائزة فأمر ابن زياد بقتله لعنة الله عليه واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء الغلامين.[٤٤٢]

(نعي)

أقول ساعد الله قلب أمهما، وكأن لسان حالها حينما افتقدتهما:

أنـه حايـــــره واصفـج بديـه ... شـــــــــيعود ويـلادي عليـه

انه اثنيـــــــن راحولي سويه

اظلـم الوكـــت واتغـيّر الكـون ... اخـــاف اعلـه ويـلادي يضيعـون

ظلمه اويلـــــــــادي يخافون

اظلـم الوكـــت والليـل اجـاني ... وانـــــــه اعلـه جيتهـم اتـاني

يمكن يـــــرد بيهم زماني

اظلـم الوكـت بهـلي واجـه الليـل ... وياهـــــو اليـدور لي المداليـل

انه حرمه وما عندي رياجيل

ســـمعنه الـذي ضايـع طفلهـا ... اتحشـــــم اهلهـا إتـدور إلهـا

وآنـــــه هلي مذابيح كلها

ســـــمعنه التحشـم يسـمعوها ... يســـــمعون نخوتهـا ويجوهـا

وأمكـــــم اهلها ضيعوها[٥٥٤]



٢٨ شهر صفر

ذكرى شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

السلام عليك يا أمين الله

محمد رسول الله

اليوم الثامن والعشرون من شهر صفر

المناسبة: شهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

القصيدة للشيخ حسن بن الشيخ علي البحراني

هو الدهرُ بالإعجال تَسري ركائبُهْ ... كما كان بالآجال تسعى نوائبُه

تولَّعَ بالسادات في كلِّ كربةٍ ... فما سيِّدٌ إلا رمتْه صوائبه

وحسبُك موتُ المصطفى خيرِ سيدٍ ... ومَن عمَّتِ الأكوانَ طرّا مواهبه

قضى فقضى من بعده الحقُّ واختفت ... بأستار ليلِ الجورِ منه كواكبه

وجَلَّلَ ثوبَ الدينِ ثوبُ كسوفِها ... كما خَسَفَتْ بدرَ الوجودِ غياهبه

ولم أنس مهما أنسى فاطمَ مذ دعت ... أباها بدمعٍ أقرح الطرفَ ساكبه

لقد كنتَ يا خيرَ الخلائقِ مَعقِلا ... تُجِلُّ عقالَ النائباتِ جوانبه

بنورك كانت تستضيء أولوا الحِجا ... فبعدك نورُ الحقِ أظلَم لا حبه

فوا ضيعةَ الإسلامِ بعد كفيلِها ... وخيبةَ مَن أضنتْ عليه مآربه

ومن أين تعلو للمحامد رايةٌ ... وأحمدُها في التربِ رُضَّت ترائبه

فهذا هو الرزءُ العظيمُ الذي به ... عظيمُ البلا يُنسى وتَسلى مصائبه[٤٤٤]

عودة إلى الفهرس

(فائزي)

حضرت وفـــاته يـــا عـــــلي شيل الوســـاده

وغمـــــض اعيـــــونه او جبّله اوگره الشهادة

اگـــره الشـــهادة او مـــدد اشـــماله او يمـــينه

ارســـــوم المنـــيه بينـــت عايـــن جبـــينه

يرشـــح عـــرگ منه او بعـــد سكّـــن ونـــينه

ذنّي عـــــلايم مـــــوت للمـــؤمن او عاده

الله يســـاعد گـــلب ابو احســـين او يجـــبره

فاضـــت نفس طاهـــــا او ســـبط فوگ صدره

شـــــاله او تـــوجّه للـــــذي حاضر ابكتره

آجركـــــم الله ايگـــول يا شـــيعة او يســـاده

اجنـــازة نبينه لجـــل غـــــايه امعـــطّليها

اوكـــاتٍ ثـــــلاثه كل مَلـــَك صـــلى عليها

ليش الجنـــازة البـــــلعوادي امـــــرضرضيها

ظـــلت لجـــل تظـــهر كرامات الشهادة[٤٤٥]



عودة إلى الفهرس

عنوان المحاضرة التاسعة:

السحر والتابعة بين الحقيقة والوهم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾.(٤٤٦)

المبحث الأول: السحر في ضوء الآية الشريفة

تتحدّث الآية الشريفة عن جماعة من اليهود اتّبعوا السحر، وتردّ على زعمهم أن نبيّ الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ استمدّ قدرته منه. كما تذكر هاروت وماروت وإساءة استعمال ما تعلّمه الناس منهما. ويشرح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي القصة في تفسير «الأمثل»:

«شاع السحر في أرض بابل، وأدّى إلى إحراج الناس وإزعاجهم، فبعث الله ملكين بصورة البشر، وهما هاروت وماروت، وأمرهما أن يعلّما الناس طريقة إحباط مفعول السحر، ليتخلّصوا من شرّ السحرة.

كان الملكان مضطرّين لتعليم الناس أصول السحر، باعتبارها مقدّمة لتعليم طريقة إحباط السحر»(٤٤٧).

ويبيّن الشيخ الشيرازي سبب هذا التعليم، فيقول:

«وكما أن إحباط مفعول القنبلة يحتاج إلى فهم لطريقة فعل القنبلة، كذلك كانت

عملية إحباط السحر تتطلّب تعليم الناس أصول السحر، ولكنهما كانا يقرنان هذا التعليم بالتحذير من السقوط في الفتنة بعد تعلّم السحر: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٤٤٨].

وسقط أولئك اليهود في الفتنة، وتوغّلوا في انحرافهم، فزعموا أن قدرة سليمان لم تكن من النبوّة، بل من السحر والسحرة. وهذا هو دأب المنحرفين دائمًا؛ يحاولون تبرير انحرافاتهم باتّهام العظماء بالانحراف.

هؤلاء القوم لم ينجحوا في هذا الاختبار الإلهي، فأخذوا العلم من الملكين واستغلّوه على طريق الإفساد لا الإصلاح، لكن قدرة الله فوق قدرتهم وفوق قدرة ما تعلّموه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾[٤٤٩].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لا يعني رضاه بالسحر أو إباحته، بل يعني أن الساحر لا يملك قدرة مستقلّة عن الله. فكما أن النار تحرق بالقدرة التي جعلها الله فيها، لا يكون للسحر أثر خارج سلطانه سبحانه، ويبقى الإنسان مسؤولًا عن أفعاله.[٤٥٠]

وبعد فهم الآية، نأتي إلى حقيقة السحر؛ إذ يذكر الشيخ الشيرازي أن الآيات تشير إلى قسمين منه، وهما كالآتي[٤٥١]:

أولًا: السحر القائم على التخييل وخداع الحواس. وفيه يرى الإنسان الشيء على خلاف حقيقته، كما قال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[٤٥٢]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾[٤٥٣]. فالحبال والعصي لم تتحوّل إلى حيّات، وإن خاف الناظر مما خُيّل إليه.

ثانيًا: السحر الذي يترتّب عليه أثر واقعي. يستدلّ الشيخ الشيرازي عليه بقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾. ثم يبيّن أن الآيات المذكورة لا تحدّد هل تأثير السحر نفسي فقط أم يتعدّاه إلى الجسم[٤٥٤]. أي هل يؤثّر في المشاعر، كالنفور الذي يؤدي إلى التفريق بين الزوجين، أم يمتدّ إلى البدن، كالمرض؟ فهي تثبت الضرر دون تفصيل كيفية حصوله.

عودة إلى الفهرس

أما السيد الخوئي رحمه الله، فيرى السحر قائمًا على التخييل والخداع، لكن الضرر قد ينشأ من التخييل نفسه؛ كأن يُظهر الساحر للمسحور شيئًا مخيفًا، فيشتدّ خوفه حتى يصاب باختلال في عقله. فما رآه تخييل، لكن الضرر الناتج عنه حقيقي.[٤٥٥]

ولبيان وسائل السحر وآثاره، ذكر السيد الخميني رحمه الله في «تحرير الوسيلة» أنه: «ما يعمل من كتابة، أو تكلّم، أو دخنة، أو تصوير، أو نفث، أو عقد، ونحو ذلك، بحيث يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، فيؤثر في إحضاره، أو إنامته، أو إغمائه، أو تحبيبه، أو تبغيضه، ونحو ذلك، ويلحق به الكهانة، والشعبذة، والتسخير، والتنجيم»[٤٥٦].

ولتوضيح ألفاظ التعريف: الكتابة (ككتابة الطلاسم)، والتكلّم (بعبارات تُستخدم في السحر)، والدخنة (إحراق موادّ لإحداث دخان)، والتصوير (عمل صور وأشكال تُستخدم فيه)، والنفث (نفخ لطيف مع شيء من الريق)، والعقد (ربط عُقَد في الخيوط). أما إحضاره (حمله على المجيء، بحسب ظاهر العبارة)، وإنامته (جعله ينام)، وإغماؤه (جعله يفقد الوعي)، وتحبيبه أو تبغيضه (جعله يحبّ شخصًا أو شيئًا، أو يبغضه).

ويُلحق بالسحر في الحكم، وفق هذا البيان، الكهانة (ادّعاء الإخبار بالمغيّبات)، والشعبذة (إظهار غير الواقع واقعًا بسرعة الحركة)، والتسخير (كإحضار الجنّ والأرواح وتسخيرهم)، والتنجيم (الجزم بحوادث الخير والشرّ استنادًا إلى حركة الكواكب، مع اعتقاد تأثيرها استقلالًا أو مشاركةً مع الله تعالى).

المبحث الثاني: حكم السحر وخطر العاقبة

بعد بيان معنى السحر، نعرض حكمه ومسؤولية من يعمل به أو يطلبه؛ سواء للإيذاء والانتقام والتفريق بين الزوجين، أم لاستمالة الزوج وطلب الزواج. فاختلاف الأغراض لا يبيح الوسيلة المحرّمة. ونبيّن ذلك كالآتي:

أولًا: حرمة السحر ولو كانت الغاية حسنة

ورد في استفتاءات السيد السيستاني دام ظلّه:

السؤال (١): هل يجوز استخدام السحر في عمل الخير ودحر الشيطان في بعض النفوس؟

الجواب: لا يجوز.

السؤال (٢): هل عمل السحر من المحرّمات في الشريعة الإسلامية؟

الجواب: السحر حرام فعله وتعليمه وتعلّمه والتكسّب به.

السؤال (٣): ما حكم السحر الأبيض الذي يستخدم في الخير عكس السحر الأسود الذي يستخدم الشرّ؟

الجواب: السحر بجميع أشكاله وأنواعه حرام حتى المستخدم في إبطال السحر، إلّا إذا توقّفت عليه مصلحة أهمّ كحفظ النفس المحترمة المسحورة.[٤٥٧]

فالرغبة في إصلاح العلاقة الزوجية لا تبيح السحر، وتسميته «سحرًا أبيض» لا تغيّر حكمه.

ولو سرق شخص مالًا ليتصدّق به، أو اعتدى على إنسان وأخذ عضوًا من بدنه لينقذ مريضًا، لم تصبح السرقة والاعتداء مباحين بسبب الغاية التي يدّعيها.

وكذلك لا يجوز طلب محبّة الزوج أو الزواج من شخص بوسيلة محرّمة.

وقد رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن امرأة أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «يا رسول الله، إن لي زوجًا وله عليّ غلظة، وإني صنعت به شيئًا لأعطفه عليّ»، فقال لها: «أفّ لك، كدّرت دينك! لعنتك الملائكة الأخيار»؛ وكرّر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «لعنتك ملائكة السماء، لعنتك ملائكة الأرض»[٤٥٨]. وهذه الرواية من نصوص التحذير من اللجوء إلى هذا الطريق لاستمالة الزوج.

عودة إلى الفهرس

ثانيًا: طلب السحر للإضرار بالآخرين

ومن يطلب السحر لإيذاء غيره لا يُعفى من المسؤولية بقوله: «لم أعمله، وإنما طلبته من الساحر»؛ فهو يطلب الحرام والإضرار بالناس.

وهل نرضى أن يُفسد أحد حياتنا أو يفرّق بيننا وبين من نحب؟ فكيف نطلب لغيرنا ما نرفضه لأنفسنا؟ وقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، في بيان حقّ المسلم على المسلم: «أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»[٤٥٩].

فلا يجوز أن تحمل الغيرة امرأةً على السعي لإفساد حياة ضرّتها، أو تدفع الرغبة في الزواج امرأةً إلى محاولة تفريق رجل عن زوجته، أو يقود الغضب شخصًا إلى طلب الانتقام بالسحر.

وقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله من كتاب»[٤٦٠].

ثالثًا: معنى الكفر الوارد في روايات السحر

ورد في الروايات وعيد شديد، ومنه ما رُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تعلّم شيئًا من السحر قليلًا أو كثيرًا فقد كفر، وكان آخر عهده بربّه، وحدّه أن يقتل إلا أن يتوب»[٤٦١].

وهذا وعيد لا يجوز الاستهانة به. وقد يُراد بالكفر جحود الدين، أي إنكار ما يعلم الإنسان أنه منه؛ فمن ينكر حرمة السحر إنكارًا يرجع إلى تكذيب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد خرج عن الإسلام.[٤٦٢]

أما من يرتكب السحر وهو يقرّ بحرمته، فلا يخرج بذلك من الإسلام؛ فقد يُطلق الكفر على المعصية وترك ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، حيث فُسّر الكفر هنا بترك الحج.[٤٦٣] لكنّه يرتكب معصية شديدة، ولا يعفيه بقاؤه مسلمًا من المسؤولية عن أذاه

للناس واستحقاق العقاب.

فلا يستهين أحد بإفساد بيت أو التفريق بين زوجين بالسحر؛ فالغيرة والانتقام والرغبة في الزواج لا تبيح الحرام.

رابعًا: خطر الإصرار ووجوب التوبة

ومن روايات الوعيد ما رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم»(٤٦٤). وهذا تحذير من الإصرار على هذه المعاصي، وليس إغلاقًا لباب التوبة؛ قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾(٤٦٥).

فمن عمل السحر أو طلبه، فعليه تركه، والندم، والعزم على عدم العودة، والسعي إلى إزالة الأذى وتدارك حقوق المتضرّرين بالطريق المشروع؛ فالمخرج هو التوبة والإصلاح، لا مواصلة اللجوء إلى السحرة.

المبحث الثالث: السحر ليس تفسيرًا لكلّ محنة

حين يقع خلاف زوجي، أو يتغيّر سلوك الأبناء، أو يتأخّر الزواج، أو يضيق الرزق، يقول بعض الناس: «إنه السحر»، دون البحث عن الأسباب والإصلاح. لكن المشكلة لا تثبت وجود السحر؛ فقد تكون ابتلاءً، أو أثرًا لمعصية، أو نتيجة سبب طبيعي وتصرّف غير حكيم. ونوضّح ذلك كالآتي:

أولًا: الحياة ميدان للابتلاء

الابتلاء جزء من حياة الإنسان؛ قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٤٦٦)، وقال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٤٦٧).

فالإنسان يُختبر بالشكر في النعمة والصبر في الشدّة، وليس البلاء دليلًا على ضعف

إيمانه أو غضب الله عليه؛ فقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[٤٦٨].

فلا نتّهم المصاب في دينه، أو نجزم بأن مصيبته عقوبة على ذنب أو أثر للسحر.

ثانيًا: المعاصي لها آثار تستوجب محاسبة النفس

وقد يكون بعض البلاء من آثار المعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٤٦٩]. وفي دعاء كميل نقرأ: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم»، و«اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم»، و«اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»، و«اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء»[٤٧٠].

فلنراجع أنفسنا قبل نسبة مصائبنا إلى السحر: هل أدّينا واجباتنا وحفظنا حقوق الناس؟ وهل تركنا المعاصي وأصلحنا ما أفسدناه؟ ومن الأمور التي تستحقّ الوقوف عندها:

١. الغيبة وتتبع عيوب الناس

الغيبة وتتبّع عيوب الناس والتشهير بهم من المحرّمات التي نهى عنها الإسلام، وقد ورد فيها وعيد بالفضيحة؛ فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فإنه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله تعالى عورته يفضحه ولو في بيته»[٤٧١].

وإذا اقترنت الغيبة بالتعيير، أي تحقير الإنسان بسبب ذنبه، فقد قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من عيّر مؤمنًا بذنب لم يمت حتى يركبه»[٤٧٢]. أي يقع في الذنب الذي عيّر به غيره.

فكيف نطلب الستر ونحن نكشف عيوب الآخرين؟ فلنحفظ ألسنتنا ونتب من الغيبة والتشهير.

٢. الغناء المحرّم

ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك»[٤٧٣].

فقد تكون بعض المحن من آثار سماع الأغاني المحرّمة؛ والرواية تحذّر من الفجيعة، أي المصيبة المؤلمة، وعدم إجابة الدعاء. كما وردت روايات تربط الغناء والملاهي بتسلّط الشياطين.[٤٧٤] ومن مساعي الشيطان إفساد العلاقات، ومنها العلاقة بين الزوجين. فلنترك المعصية ونتب منها، بدل إرجاع كل مشكلة إلى السحر.

٣. الخيانة والعلاقات المحرّمة

الخيانة والكذب والعلاقات المحرّمة تهدم الثقة وتؤذي الأسرة. وقد رُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أربع لا تدخل بيتًا واحدة منهن إلا خرب ولم يُعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا»[٤٧٥].

فمن خان الأمانة أو دخل في علاقة محرّمة، فليصلح أفعاله ويؤدِّ الحقوق، بدل تجاهل أثرها ونسبة اضطراب حياته إلى السحر.

٤. الاستخفاف بالصلاة

قبل نسبة ضيق الرزق وزوال البركة إلى السحر، فلنراجع محافظتنا على الصلاة؛ فقد يكون ذلك من آثار التهاون بها. فقد رُوي عن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أنها سألت أباها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا أبتاه، ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟»، فقال: «يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا...».

ثم بيّن ما يصيبه في الدنيا، فقال: «فالأولى: يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّ وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة: ليس له حظّ في دعاء الصالحين»[٤٧٦].

فلنحافظ على الصلاة ونتب من تقصيرنا، بدل الانشغال باتّهام الآخرين بالسحر.

٥. إهمال التربية الدينية للأبناء

قد يكون عقوق الأبناء وكذبهم وخيانتهم نتيجة التقصير في تربيتهم على البرّ والصدق والأمانة والفرائض؛ فلا نغفل أثر التربية وننسب ذلك إلى السحر. وقد رُوي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نظر إلى بعض الأطفال فقال:

«ويل لأطفال آخر الزمان من آبائهم». فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟ فقال: «لا، من آبائهم المؤمنين، لا يعلّمونهم شيئًا من الفرائض، وإذا تعلّموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء وهم منّي براء»[٤٧٧].

ثالثًا: الأسباب الطبيعية والتصرّفات غير الحكيمة

ليس كل خطأ ذنبًا؛ فقد يستعجل الإنسان في قرار، أو يسيء فهم كلام زوجه، أو يخطئ في تنظيم إنفاقه، فتحدث مشكلة. وقد تكون للمرض أسباب طبيعية تحتاج إلى علاج؛ فعلينا فهم السبب ومعالجته، بدل إرجاعه إلى السحر.

ونفهم من ذلك ألّا نكتفي بقول: «إننا مسحورون»؛ بل نتوكّل على الله وندعوه، ونحاسب أنفسنا، ونسعى إلى التوبة والإصلاح والعلاج.

المبحث الرابع: التابعة وتلبّس الجنّ: حقيقة أم وهم؟

ترد إلى رجال الدين وبعض المستشارين أسئلة ينسب أصحابها تأخّر الزواج، أو عدم الإنجاب، أو تكرّر إسقاط الجنين إلى ما يسمّونه «التابعة». ويقصدون بها جنًّا يرافق الإنسان ويؤذيه أو يمنعه من بعض شؤون حياته. فهل ثبتت هذه الأقوال؟ وهل يمكن للجنّ أن يدخل جسم الإنسان؟

لفهم المسألة، نبيّن الأمرين الآتيين:

أولًا: الجنّ والتابعة وعلاقتها بالقرين

وجود الجنّ ثابت في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾[٤٧٨]. فنؤمن بوجودهم، لكن هذا لا يعني أن نصدّق كلّ حكاية تُنسب إليهم.

أما «التابعة»، فقد ورد ذكرها في بعض الروايات. ومن ذلك ما أورده السيد محمد حسن ترحيني العاملي في «الزبدة الفقهية»، في بحث مستحبّات الولادة، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مروا القابلة[٤٧٩] أو بعض من يليه أن يقيم الصلاة[٤٨٠] في أذنه اليمنى فلا يصيبه لمم ولا تابعة أبداً»[٤٨١].

وفسّر اللمم بالجنون الخفيف، والتابع والتابعة بالجنّي والجنّية اللذين يتبعان الإنسان حيث ذهب. وقيل إن التابعة والقرينة وأمّ الصبيان أسماء لمسمّى واحد.[٤٨٢]

ولبيان علاقتها بالقرين والآثار المنسوبة إليها، نطرح السؤالين الآتيين:

السؤال الأول: هل للتابعة علاقة بالقرين؟

الجواب: القرين هو المصاحب والملازم، ومعناه أوسع من التابعة؛ فقد يُراد به المَلَك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[٤٨٣]، بحسب تفسير العلامة الطباطبائي. وقد يُراد به الشيطان، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[٤٨٤].

فالتابعة تلتقي معه في معنى المصاحبة، بحسب تفسيرها بالجنّية التي تتبع الإنسان، لكن لا نجزم بأنها القرين المذكور في الآيات، ولا تعني المصاحبة بالضرورة الدخول في الجسم.

السؤال الثاني: هل ثبتت الآثار الشائعة المنسوبة إلى التابعة؟

الجواب: سُئل الشيخ محمد صنقور عن ذلك، وإليك نصّ السؤال وجوابه:

هل صحيح أنَّ هناك ما يُسمَّى بالتابعة؟ وهل يُوجد علاقة بين تأخُّر الحمل وما

يسمَّى بالتابعة؟

الجواب:

لم نجد فيما صحَّ عن النبيِّ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنَّ تأخُّر الحمل وشبهه قد ينشأ عما يُسمى بالتابعة، نعم ذلك موجود في المورثات الشعبية وقد تسرَّب لها من تراث العصر الجاهلي، وكذلك من كلمات وإملاءات السحرة والمشعوذين، ونَسب بعضُهم ذلك للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زوراً وافتراء، وادَّعوا أنَّ التابعة نوعٌ من نساء الجنِّ ليس لهنَّ من غاية سوى إيذاء نساء الإنس، وذلك إمَّا بعمل ما يمنعهنَّ من الزواج أو الحمل أو بعملِ ما يُوجب إجهاض الحوامل، وكذلك فهنَّ يعملن على إيذاء الاطفال والذي قد ينتهي بهم إلى الموت أو الإصابة بالفزع أو الخبل أو الصرع أو الإصابة ببعض الامراض العضوية.

وكلُّ هذه الدعاوى ليس لها أساس شرعيٌّ ولا منطقي بل هي من تسويلات السحرة والمشعوذين ليأكلوا أموال الناس بالباطل تحت ذريعة المعالجة أو الوقاية من أثر ما يُسمَّى بالتابعة والتى لاتعدو كونها من الاساطير المختلقَة.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٤٨٥) فكلُّ مَن تأخَّر زواجُها أو حملُها أو أُصيب ولدها بسوء فلْتجأ إلى الله تعالى فانَّه قريبٌ يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ولْتعتمِدْ الطريق الذي أمر الرسولُ وأهلُ بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ به وهو-مضافاً إلى الدعاء- الرجوع إلى أهل الاختصاص من الاطباء.

ثم إنْ عُوفيت وعوفيَ ولدها فذلك من فضل الله تعالى وإلا فلْتصبر فإنَّ لله في خلقه شؤونا، وهو يُجزي على الصبر والاحتساب أحسن الجزاء.

قال تعالى:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(٤٨٦)»(٤٨٧).

ثانيًا: دخول الجنّ في جسم الإنسان: هل ثبت أم لم يثبت؟

بعد بيان معنى التابعة، نأتي إلى مسألة دخول الجنّ في جسم الإنسان. وهي مسألة مختلف فيها، ويمكن عرض القولين باختصار كالآتي:

القول الأول: إمكان دخول الجنّ في الإنسان

يرى السيد جعفر علم الهدى إمكان ذلك، ويستدلّ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٤٨٨]، وبما رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم»[٤٨٩].

ويستشهد أيضًا بقصة أبي خالد الكابلي مع الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقد نُقل أن فتاة أصابها عارض، فأمر الإمام أبا خالد أن يقول: «يا خبيث يقول لك عليّ بن الحسين اخرج من هذه الجارية ولا تعد»، وجاء في الرواية: «فخرج منها فأفاقت الجارية»[٤٩٠].

ويفهم منها أن تأثير الجنّ قد يتجاوز الوسوسة إلى الدخول في الإنسان، دون أن يعني ذلك أن كلّ مريض متلبّس بالجنّ.

القول الثاني: عدم ثبوت دخول الجنّ في جسم الإنسان

يرى أصحاب هذا القول أن الثابت هو الوسوسة والإغواء، لا الدخول في الجسم، ويستدلّون بأمرين:

١. أن الشيطان يدعو الإنسان إلى المعصية، ولا يُجبره عليها

قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[٤٩١].

ويفهم أصحاب هذا القول من الآية أن تأثير الشيطان يكون بإلقاء الوسوسة وتزيين الباطل، مع بقاء الإنسان مختارًا في قبولها أو رفضها.

عودة إلى الفهرس

ولتقريب المعنى: لو دعاك شخص إلى المعصية، ودعاك آخر إلى الطاعة، فإن مجرّد دعوتيهما لا يُجبرك على أحد الأمرين؛ فأنت تختار ما تفعله. وهكذا يوسوس الشيطان، ويبقى الإنسان مسؤولًا عن استجابته.

٢. الاستدلال بحال الأنبياء والعلماء

ويستدلّ أصحاب هذا القول أيضًا بأن الأنبياء والعلماء يدعون الناس إلى مخالفة الشيطان والبراءة منه؛ فلو كان قادرًا على الدخول في أجسامهم وإيذائهم كيف شاء، لكانوا أولى الناس باستهدافه لشدّة عداوته لهم. ويرون أن عدم وقوع ذلك بالصورة المفترضة يؤيّد نفي هذه القدرة عنه.[٤٩٢]

ولكن كيف نتعامل مع هذه المسألة؟

الجواب:

التشنّجات أو فقدان الوعي أو تغيّر السلوك لا تكفي وحدها للحكم بأن الشخص متلبّس بالجنّ، كما لا يصحّ اتهامه بالتمثيل لمجرّد أننا لم نفهم حالته؛ فقد يحتاج إلى فحص وعلاج.

وقد سُئل السيد الخوئي رحمه الله عن مراجعة أشخاص يستعملون حسابات يزعمون أنها تكشف كون المرض من الجنّ أو الشيطان، وعن ممارسات تشمل كسر البيض وتلطيخ بدن المريض بدم الحيوان، فأجاب: «لا يجوز كلّ هذا»[٤٩٣].

والمقصود حسابات يزعم أصحابها الكشف عن السبب الخفيّ للمرض.

فلنطلب العلاج من الأطباء المختصّين، وندعُ الله ونتوكّل عليه، ونستعين بالأدعية والأعمال المشروعة. وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث السادس: «التحصّن بالله من السحر والشرور».

المبحث الخامس: الكهانة والتنجيم وقراءة الطالع

قد يلجأ بعض الناس إلى الكهنة والمنجّمين وقرّاء الفنجان والكفّ، رغبةً في معرفة ما غاب عنهم أو ما ينتظرهم في المستقبل. ولبيان حقيقة هذه الأعمال وأحكامها، نعرضها كالآتي:

أولًا: الكهانة

الكهانة هي الإخبار عن المغيّبات بزعم أنّ الجنّ يخبر الكاهن بها؛ كمعرفة السارق أو مكان المال الضائع أو حوادث المستقبل. فليس كلّ إخبار عن المستقبل كهانة.

وقد نصّ الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني في كتابه: منهاج الصالحين على حرمة الكهانة والتكسّب بها، وحرمة الرجوع إلى الكاهن وتصديقه فيما يقوله.[٤٩٤]

فقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تكهّن أو تُكُهِّن له فقد برئ من دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».[٤٩٥]

ورُوي عن الهيثم أنه قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن عندنا بالجزيرة رجلًا ربما أخبر من يأتيه يسأله عن الشيء يُسرق أو شبه ذلك، أفنسأله؟ فقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب».[٤٩٦]

وهذا وعيد شديد، وقد تقدّم بيان معنى الكفر في المبحث الثاني.

ثانيًا: التنجيم

يذكر الفقهاء، ومنهم سماحة السيد السيستاني، أن التنجيم المحرّم هو الإخبار عن الحوادث، كالغلاء والرخص والحرّ والبرد، اعتمادًا على حركات الكواكب واتصالاتها، مع اعتقاد أنها تؤثّر في هذه الحوادث استقلالًا أو بالاشتراك مع الله تعالى؛ وهذا الاعتقاد ينافي التوحيد الأفعالي. كما يحرم الإخبار عن هذه الأمور وغيرها دون

علم، ولو لم يعتقد المتحدّث بتأثير الكواكب؛ كأن يجزم بارتفاع الأسعار في وقت معيّن دون دليل يعتمد عليه.[٤٩٧]

أما معرفة الكسوف والخسوف والأهلّة بالحسابات الفلكية والقواعد العلمية، فليست من التنجيم المحرّم.

وبالنسبة إلى برامج الأبراج، سُئل السيد السيستاني: «نشاهد في القنوات الفضائيّة بعض البرامج التي تخبر عن موضوع الأبراج، فهل هو معتبر؟».

فأجاب: «لا اعتبار به وإن لم يكن من التنجيم المحرّم»[٤٩٨].

فلا نعتمد الأبراج في اختيار الزوج أو الصديق والحكم على الناس.

ثالثًا: قراءة الفنجان والكفّ

قد يخبر قارئ الفنجان أو الكفّ شخصًا بأنه سيتزوّج، أو يُصاب بمصيبة، أو أن أحدًا من أقاربه يضمر له الشرّ. وهذه التنبّؤات لا تصلح دليلًا لاتّهام الناس أو بناء القرارات عليها.

وقد ورد في «الفقه للمغتربين»، وفق فتاوى السيد السيستاني:

السؤال: يتنبّأ قارئ الكفّ أو الفنجان بما يجري للشخص في حاضره ومستقبله، فهل يجوز له ذلك إذا كان صاحب الفنجان يرتّب أثرًا على قراءة فنجانه؟

الجواب: «بما أنّه لا اعتبار لتنبّؤاته، فلا يجوز له الإخبار بها بنحو الجزم، كما لا يجوز للآخر ترتيب الأثر عليه، إذا كان ممّا لا يجوز ترتيبه إلّا بحجّة عقليّة أو شرعيّة»[٤٩٩].

فلا نتّهم أحدًا بالسرقة أو السحر، أو نسلبه حقّه، اعتمادًا عليها.

وسُئل عن نساء يخبرن بالأحجار أو الفنجان أو الكفّ أو بالقرآن، وعن أجرتهنّ والرجوع إليهنّ، فورد الجواب: «لا عبرة بإخبارهنّ مطلقًا، ولا ينبغي الرجوع إليهنّ، بل يحرم ذلك أحيانًا، كما يحرم أخذ الأجرة من قبلهنّ»[٥٠٠].

قد يُطرح سؤال: لماذا يحرّم الإسلام طلب معرفة المستقبل عن طريق الكهانة والتنجيم المحرّم؟

نبيّن الجواب بالنقاط الآتية:

١. لأن هذه الطرق ليست دليلًا معتبرًا لمعرفة المستقبل

ليس كلّ ما يقوله الكاهن أو المنجّم علمًا، ولا يصبح قوله موثوقًا لمجرّد موافقته الواقع أحيانًا. وقد تقدّم تحريم الكهانة والتنجيم المحرّم، والإخبار بغير علم. أما التوقّعات المبنية على دراسة وأدلّة، كحساب الكسوف أو توقّع الطقس، فهي تختلف عن هذه الادّعاءات.[٥٠١]

٢. لأن التعلّق بها قد يفسد حياة الإنسان وقراراته

لو قيل لشخص: «سيموت ولدك بعد سنة»، فقد يعيش في خوف وحزن، مع أن القائل لا يملك دليلًا على ذلك. ولو قيل له: «فلان سيؤذيك»، فقد يظلمه أو يقطع علاقته به. فالمشكلة أن يتحوّل كلام غير موثوق إلى أساس للخوف والاتهام واتخاذ القرارات.

٣. لأن علم الغيب لا يُنال بهذه الادّعاءات

الله تعالى يعلم الغيب، ويُطلع من ارتضى من رسله على ما يشاء منه؛ قال سبحانه: [عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ][٥٠٢]. فلا يثبت لشخص أنه يعلم مستقبل الناس لمجرّد ادّعائه ذلك.

٤. لأن المؤمن لا يستسلم لما يُقال عن مستقبله

قد يدفعه الخبر السارّ إلى ترك السعي، والمخيف إلى اليأس؛ والواجب أن يعمل ويتوب ويدعو ويأخذ بالأسباب. وقد كشف الله العذاب عن قوم يونس لما آمنوا؛ قال تعالى:[فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ][٥٠٣].

فلنؤدِّ واجباتنا ونخطّط بما نعلم، ونتوكّل على الله فيما غاب عنّا.

عودة إلى الفهرس

المبحث السادس: التحصّن بالله من السحر والشرور

للتحصّن من السحر وشرّ الجنّ وسائر الشرور، نلجأ إلى الله ونستعين بالآيات والأدعية والأعمال المشروعة، ومنها ما ورد عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وما أوصى به بعض العلماء. ونذكر منها ما يلي:

١. التوكّل على الله والدعاء

لا يملك الساحر قدرة مستقلّة عن الله؛ قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٥٠٤]. فلنتوكّل عليه، ونثق بقدرته على دفع الضرّ، دون الاستسلام للخوف. قالَ سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٥٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٥٠٦].

وقد رُوي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عليكم بالدعاء، فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء، وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعي الله عزّ وجلّ وسئل صرف البلاء صرفة»[٥٠٧].

٢. قراءة المعوّذتين وسور القلاقل

نقرأ الفلق والناس للاستعاذة بالله من السحر والحسد والوسوسة وشرور الجنّ والإنس. وقد أوصى بعض العلماء بقراءة القلاقل الأربع: الكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس، يوميًّا وقبل النوم، طلبًا للحفظ.[٥٠٨]

٣. قراءة آية الكرسي

من الأعمال المأثورة قراءة آية الكرسي، وقد رُوي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه

قال: «ألا أخبركم بما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول إذا أوى إلى فراشه؟ قلت: بلى، قال: كان يقرأ آية الكرسي ويقول: « بسم الله آمنت بالله وكفرت بالطاغوت، اللهم احفظني في منامي وفي يقظتي »[٥٠٩].

ولا نجعل تعليقها في البيت تعظيمًا للقرآن ضمانًا يمنع كلّ أذى.

٤. المواظبة على قراءة آيات السُّخرة

أوصى بعض العلماء بقراءة الآيات ٥٤–٥٦ من سورة الأعراف، وهي:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

٥. قراءة آية من سورة الرحمن

يوصي بعض العلماء بقراءة الآية ٣٣ من سورة الرحمن سبعين مرة على قدح فيه ماء، ثم صبّه في زوايا المحلّ والمنزل وأمام المنزل، طلبًا لدفع السحر بإذن الله.[٥١٠] والآية هي: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾.

٦. الصدقة واتّخاذ الدواجن وما ورد في الحرمل واللبان

من الأعمال التي يُستعان بها الصدقة بنيّة دفع البلاء، وقد وردت روايات في أثرها في دفع الشرور.[٥١١] ورُوي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أكثروا من الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم»[٥١٢]. والدواجن ما يألف البيوت من الحيوان والطير، كالحمام والدجاج، مع العناية بنظافتها ورعايتها.

ونُقل في «مكارم الأخلاق» عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بشأن الحرمل: «فإن الشيطان ليتنكب سبعين دارًا دون الدار التي فيها الحرمل»؛ أي يبتعد عنها. وفي تتمّة

الرواية ذُكر دخان اللبان، ووُصف بأنه «مطردة الشياطين ومدفعة للعاهة»[٥١٣]. وهذه النصوص تذكر الحرمل واللبان، لكنها لا تحدّد خلطهما وتبخيرهما معًا بكيفية معيّنة.

٧. الأذان وقراءة القرآن والأدعية والتعويذات والأحراز

نحافظ على الأذان في أوقات الصلاة، ونستعين بقراءة القرآن، ومنها آية الكرسي وسور القلاقل الأربع، كما تقدّم.

ويمكن حمل القرآن والاستعانة بالأحراز المأثورة، ومنها حرز الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك تُقرأ أدعية الأيام وتعويذاتها، ومنها تعويذة يوم الجمعة، ويمكن الرجوع إليها في كتب الأدعية، مثل «ضياء الصالحين».

٨. التوسّل والمحافظة على الطاعة وحسن الخلق

نتوسّل إلى الله بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونستعين بصلاة الاستغاثة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفق كيفيتها المنقولة.[٥١٤]

ونحافظ على الواجبات ونترك المحرّمات، ونحسن التعامل، ولا سيّما داخل الأسرة؛ فالتحصّن يصاحبه إصلاح العمل وحفظ حقوق الناس.

ونؤدّي هذه الأعمال رجاء الحفظ، مع الوقاية والعلاج؛ فالبلاء لا يثبت السحر أو عدم قبول الدعاء. ونفهم من مجموع المباحث ألّا ننسب كلّ أذى إلى السحر والعين والحسد، بل نتوكّل على الله، ونحاسب أنفسنا ونسعى إلى الإصلاح.

وعلى فرض أن شخصًا عمل لك سحرًا، فهذا لا يعني أن ضرره سيقع حتمًا؛ فالله قادر على إبطاله، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للسحرة: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٥١٥].

فلنتحصّن بالقرآن والدعاء ونتوكّل على الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٥١٦]. ومع ذلك قد يُبتلى المؤمن، فالأذى لا يدلّ على ضعف إيمانه، وجميع الأسباب تحت سلطان الله؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾[٥١٧].

وقد يسأل بعضكم: هل صحيحٌ أن السحر أثّر في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

وردت روايات في هذا الباب، لكن وجود الرواية في كتاب لا يكفي وحده لإثبات صحّتها، وقد ناقش علماء الشيعة أسانيدها ومضامينها.

فالشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» يرفض القول بتأثّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسحر، ويذكر احتمال أن بعض اليهود حاولوا سحره فلم يقدروا عليه، وأن الله أطلعه على ما صنعوه، فكان إخباره بذلك دليلًا آخر على صدقه.[٥١٨]

أما العلامة الطباطبائي، فيميّز بين تأثير السحر في العقل وتأثيره في البدن؛ فيرفض ما يتضمّن فساد عقل النبي، لكنه لا يرى دليلًا على امتناع تأثّر بدنه بمرض من هذا الطريق. وهذا بيان لإمكان التأثير البدني، وليس جزمًا بأنه وقع فعلًا.[٥١٩]

وعليه، فلا ننسب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يخلّ بعقله أو صدقه أو تبليغه عن الله، ولا نجزم بصحّة تفاصيل هذه الروايات لمجرّد نقلها. فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٥٢٠].

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مؤيّدًا من ربّه، أمينًا على رسالته، حتى أتمّ تبليغها وحان وقت رحيله. وما أشدّ تلك الساعة على أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ! وقد نُقل في وصفها:

لما اشتدّ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المرض، ونُعيت إليه نفسه، بكى بكاءً شديدًا، فقيل: يا رسول الله، أوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «أين هول المطّلع، وأين ضيق القبر وظلمة اللحد، وأين القيامة والأهوال؟».

ثم نزل جبرائيل وقال: السلام عليك يا أبا القاسم. فقال: «وعليك السلام يا جبرائيل، ادنُ منّي». فدنا منه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عند الشدائد لا تخذلني».

عودة إلى الفهرس

ثم نزل ملك الموت، وأقبل حتى وقف بين يديه، وقال: يا أحمد، إن الله أرسلني وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني؛ إن تأمرني بقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت كرهتها.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا جبرائيل، فما الذي ترى؟ فقد خيّرني ربّي بين لقائه والرجوع إلى الدنيا». فقال جبرائيل: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٥٢١]، إن الله اشتاق إلى لقائك.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا ملك الموت، امضِ لما أُمرت به». ثم جلس جبرائيل عن يمين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وميكائيل عن يساره، وملك الموت بين يديه، وجعل يقبض روحه، فقال جبرائيل:

يا ملك الموت، احفظ وصيّة الله في روح محمد.

ثم مدّ النبي يده إلى علي، وقال: «ادنُ منّي يا علي، فقد جاء أمر ربّي». ثم جذب عليًّا تحت ثوبه وتحت فراشه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه مناجاةً طويلةً حتى فارقت روحه الشريفة جسده.

فانسلّ عليّ من تحت الفراش باكيًا حزينًا، وهو يقول: «عظّم الله أجوركم في نبيّكم». فارتفعت الأصوات بالضجّة والبكاء، وضجّ أهل المدينة، وجعلوا يحثون التراب على رؤوسهم وينادون: وا سيّداه! وا نبيّاه! وا محمداه! وا أبا القاسماه![٥٢٢]

ساعد الله قلب ابنته فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ.

(نصاري)

عمت عيني غدت تصرخ الزهره — تون يم راس ابوها او تجر حسره

هوت فوكه تنوح او تشم نحره — او كلبها امن الونين انجسم نصين

يبو ابراهيم ما تكعد وحاچيك — تره روحي يعكلي ذابت اعليك

چنت عزنه يبويه نحتمي بيك — يومك صعب كيف انفاركه اسنين

(هجري)

يعزي هاشم او عدنان، بالهادي او يهل دمعه

ناده والحزن چبده، لخوه، اوصال سواها

او يمه گصدت الزهره تگله والدمع يجري

سوري العالي اتهدم،يبويه وانهدم صبري

يبويه المن ابث شكواي، لوهمي شحن صدري

انگطع عنه الوحي ابموتك اوعلينه ضاگت الوسعه

(نصاري)

وگع فوگه الحسن ويصيح يا جد — گلبي امن الحزن لجلك تمرَّد

ابعيني الكون يا جد صار اسود — اعيش ايتيم جدي ابين عدوان

شهيد الطف وگع ويلي إعله صدره — يشمه او يندبه والعين عبره

يجدي امصابك المرمر يفسره — حزني اعليك منه ايسيخ ثهلان

لله يا يومَ النبيِّ فإننا — منه أتينا بالبلاء الأشنع[٦٣٤]



عودة إلى الفهرس



٢٨ شهر صفر

ذكرى استشهاد سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

كريم أهل البيت وسيد شباب أهل الجنة (عليه السلام)

الإمام الحسن المجتبى

اليوم الثامن والعشرون من شهر صفر

المناسبة: شهادة الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للسيد محمد الطباطبائي الشهير بالكيشوان

جحدوا ولاءَ المرتضى ولَكَمْ وعى ... منهم له قلبٌ وأصغى مسمعُ

وبما جرى من حقدِهم ونفاقِهم ... في بيته كُسرت لفاطمُ أضلع

وعدَوا على الحسن الزكيِّ بسالف ... الأحقادِ حين تألَّبوا وتجمعوا

ما زال مضطهدا يُقاسي منهمُ ... غصصا بها كاسَ الردى يتجرع

حتى إذا نفذ القضاءُ محتَّما ... أضحى يُدَسُّ إليه سمٌ منقَع

وتفتت بالسمِّ من أحشائِه ... كبدٌ لها حتى الصفا يتصدع

وقضى بعينِ اللهِ يَقذف قلبَه ... قطعا غدت مما بها تتقطع

لله أيُّ رزيةٍ كادت لها ... أركانُ شامخةِ الهدى تتضعضع

رزءٌ بكت عينُ الحسينِ له ومِن ... ذوب الحشا عبراتُه تتدفع

يومَ انثنى يدعو ولكن قلبُه ... ذاوٍ ومقلتُه تفيض وتدمع

أترى يَطيفُ بي السلوُ وناظري ... من بعد فقدك بالكرى لا يهجع

خلفتني مرمى النوائب ليس لي ... عضدٌ أرد به الخطوبَ وأدفع

وتركتني أَسَفا أُردد بالشجى ... نَفَساً تُصعده الدموعُ الهُمَّعُ[٥٢٤]

عودة إلى الفهرس

(فائزي)

واحسين نـــادى عيشتي گشـــــره بليَّاك

خـــــذني يخويه للگـــبر روحـــي فدايـــاك

ايـــذوب گلبي لو بچـــت حولي يتامـاك

ما أوحـــش الدنـــيه عگـــب عينك يمسموم

ويلاه يـــوم احســـين ودَّع للشـــفيه

او نـــادى يخـــويه اتشـــمتت العدوان بيه

انته برض طيـــبه وانـــا في الغاضـــريه

جســـمي امجـدَّل والغـسل من فيـض الدمـــوم

خويه ابهـــوادي اللـيل تنعاك المحـاريب

خويه المنابر عگـــــــب عينك شگـت الجيب

يـــاخوي عيشـي من بعد عينـك فلا ايطيب

او عيني عگـــب عينك ابـــــد ما تگبل النوم[٥٢٥]



عنوان المحاضرة العاشرة:

صراع الأجيال .. بين الآباء والأبناء

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لا تَقْسِروا أوْلادَكُمْ عَلى آدابِكُم، فَإنَّهُمْ مَخْلوقونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم».(٥٢٦)

يتطلع الآباء والأمهات إلى بناء أسرة يسودها الحب والتفاهم، ويسعون إلى تربية أولادهم على القيم والمبادئ التي يؤمنون بها، مستفيدين من خبراتهم. ولكن مع نمو الأبناء واتساع علاقاتهم ومداركهم، قد تظهر اختلافات بينهم وبين والديهم في الأفكار والاهتمامات وطريقة النظر إلى الحياة؛ فالأبناء ينشؤون في ظروف تختلف عما عاشه آباؤهم، مع تغير وسائل التعليم والتواصل والعمل.

وقد تتحول هذه الاختلافات إلى خلافات متكررة؛ إذ يرى بعض الأبناء أن والديهم لا يفهمون احتياجاتهم، ويتمسكون بعادات لم تعد تناسب زمانهم، ويحاولون فرض آرائهم عليهم. وفي المقابل، يرى بعض الآباء والأمهات أن أبناءهم لا يستفيدون من خبراتهم، ولا يحترمون توجيهاتهم، ويندفعون وراء كل جديد دون تمييز. ومع غياب الحوار، يشعر كل طرف بأن الآخر لا يسمعه ولا يتفهمه، فتتسع المسافة بينهما، ويحل التوتر محل الألفة.

وهذا الاختلاف في الرؤى، حين يصاحبه اضطراب العلاقة وتأزمها بين جيل الآباء وجيل الأبناء، هو ما يعرف بصراع الأجيال. وقد يعبر عنه شاب بقوله: «يريد أهلي أن أعيش كما عاشوا، مع أن حياتنا اليوم تختلف عن حياتهم، ولي اهتمامات وطموحات لا يتفهمونها». بينما يقول أب: «أخشى على ولدي من بعض اختياراته، لكنه يعد نصيحتي تدخلا في حياته، ويرى أن خبرتي لا تصلح لزمانه».

ومن هنا تبرز الحاجة إلى معرفة ما ينبغي أن نحافظ عليه في تربية أولادنا، وما يمكن أن يتغير بتغير الزمان والظروف، واختيار الأساليب التي تعيننا على توجيههم مع حفظ المودة والثقة المتبادلة.

المبحث الأول: آثار الصراع بين الآباء والأبناء

ليس كل اختلاف بين الآباء والأبناء صراعا؛ فقد تختلف آراؤهم مع بقاء المحبة والاحترام، ويكون الحوار وسيلة لفهم بعضهم بعضا. لكن حين يتحول الاختلاف إلى خصام متكرر، وفرض للرأي، وتبادل للاتهامات، فإن آثاره تمتد إلى العلاقة الأسرية، واستقرار الأبناء وسلوكهم، وتأثير الوالدين فيهم. ومن أبرز هذه الآثار:

أولًا: ضعف الثقة والمصارحة

حين يتوقع الابن أن يقابل كلامه بالغضب أو السخرية أو العقوبة، قد يتوقف عن مصارحة والديه بما يفكر فيه أو يواجهه من مشكلات. فإذا أخطأ أخفى خطأه، وإذا احتار بحث عن الجواب بعيدا عنهما. وقد يظن الوالدان أن سكوته دليل على استقامته، بينما هما لا يعرفان ما يمر به. ومع تكرار الإخفاء والشك، تضعف الثقة المتبادلة؛ فيزداد تفتيش الوالدين وملاحقتهما، ويزداد تحفظ الابن وابتعاده، فتتسع المسافة بينهم.

ثانيًا: فقدان الشعور بالأمان داخل الأسرة

يحتاج الأبناء إلى بيت يشعرون فيه بأنهم محبوبون، وأن بإمكانهم السؤال والتعبير عن مشاعرهم من دون خوف من الإهانة. أما حين تكثر المشادات والتهديدات والمقارنات الجارحة، فقد يصبح البيت مصدرا للتوتر. فالابن الذي يسمع باستمرار: «أنت فاشل، ولا فائدة منك»، قد يدخل المنزل وهو يترقب عتابا جديدا، ويختار العزلة أو البقاء خارجه. وقد يمتد التوتر إلى الإخوة، فيخافون من وقوع خلاف آخر، وتتأثر أجواء الأسرة كلها.

ثالثًا: ضعف تأثير التوجيه التربوي

قد تكون نصيحة الوالدين صحيحة، لكن الصراع يجعل قبولها أصعب؛ لأن الابن ينشغل بطريقة معاملته أكثر من انشغاله بمضمونها. فإذا نهي عن صديق سيئ بالإهانة والتهديد، فقد يدافع عنه عنادا، أو يستمر في مصاحبته سرا. وهنا يخسر الوالدان فرصة التأثير فيه، وقد يفسران رفضه بأنه كراهية للخير، مع أن جزءا من المشكلة يتعلق بالأسلوب الذي قدمت به النصيحة. وكلما اقترنت التوجيهات بالخصام، أصبح سماعها مدخلا إلى مواجهة جديدة.

رابعًا: البحث عن الاحتواء خارج الأسرة

إذا لم يجد الابن من يسمعه داخل البيت، فقد يتعلق بمن يمنحه الاهتمام خارجه، سواء كان صديقا أو شخصا يتواصل معه عبر الإنترنت. وليس كل من يستمع إليه أمينا عليه؛ فقد يستغل بعضهم حاجته إلى القبول، ويشجعه على إخفاء أموره أو مخالفة والديه.

وقد يثق الابن بهذا الشخص لمجرد أنه يقول له: «أنا أفهمك، وأهلك لا يفهمونك». وبذلك قد يصبح الحرمان من الحوار الأسري منفذا لتأثير أشخاص لا يعرف الوالدان حقيقتهم.

خامسًا: التأثير في الاستقرار النفسي والدراسة

قد يستنزف الصراع المستمر طاقة الأبناء، فيشغلهم التفكير في الخصومات عن الدراسة والراحة والاهتمامات النافعة. فالطالب الذي يقضي ليلته في مشادة حول دراسته أو مستقبله قد يعجز في اليوم التالي عن التركيز.

وقد تظهر عليه العصبية أو الانسحاب أو اضطراب النوم، ويشتد شعوره بالحزن أو العجز إذا رأى أن محاولاته للتفاهم لا تنجح. وهذه الآثار ليست نتيجة حتمية لكل خلاف، لكنها احتمالات تستحق الانتباه حين تتكرر المشكلات وتطول.

سادسًا: اضطراب الاستقلال وتحمل المسؤولية

حين يتحول الخلاف حول الاختيارات إلى فرض دائم لرأي الوالدين، قد يعتاد الابن انتظار القرار منهما، ويخاف من الاختيار وتحمل نتائجه. وقد يسلك طريقا معاكسا، فيرفض رأيهما لمجرد إثبات استقلاله. فبدلا من أن يتعلم الموازنة بين البدائل والاستفادة من الخبرة، يصبح همه إرضاء والديه خوفا، أو مخالفتهما عنادا. وفي الحالتين تضعف فرصته في التدرب على اتخاذ قرار واع ومسؤول.

سابعًا: استمرار الجفاء بعد انتهاء الخلاف

قد تنتهي المشكلة الظاهرة، لكن تبقى آثار الكلمات الجارحة والإهانة في النفس. وربما يطيع الابن والديه ظاهرا، بينما تقل رغبته في مجالستهما ومشاركتهما تفاصيل حياته. وقد يستمر هذا الجفاء بعد كبره واستقلاله، فتضعف الزيارات والمشاركة والمساندة. ولا يعني ذلك سقوط حقوق الوالدين أو تبرير الإساءة إليهما، بل يبين أن حفظ المودة يحتاج إلى عناية بطريقة التعامل، إلى جانب العناية بصحة التوجيه.

وتبين هذه الآثار أن معالجة الصراع مسؤولية تربوية ملحة؛ فكلما بقي باب الحوار مفتوحا، أمكن اكتشاف المشكلة مبكرا، وتصحيح الخطأ، وحماية الصلة التي يحتاج إليها الأبناء والوالدان معا.

ولمعالجة الصراع بين الآباء والأبناء، يمكن الاستفادة من الحكمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تَقْسِروا أَوْلادَكُمْ عَلى آدابِكُم، فَإِنَّهُمْ مَخْلوقونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم».(٥٢٧)

وقبل أن نسلط الضوء على هذه الحكمة لنستفيد منها في الجانب التربوي، ينبغي التنبيه إلى اختلاف نسبتها عند المصنفين؛ فقد أوردها ابن أبي الحديد ضمن الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بينما نسبت إلى سقراط بلفظ: «لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»،(٥٢٨) وإلى أفلاطون بلفظ: «لا تجبروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».(٥٢٩)

ومع اختلاف نسبتها، يمكن الانتفاع بمضمونها التربوي، مع فهمه في ضوء التعاليم الشرعية؛ فلا تتخذ ذريعة لترك تربية الأولاد، أو التخلي عن العقائد الحقة والأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية.

وسنعرض وجهين لفهم المقطع الأول من الحكمة وما يرتبط بهما من تطبيقات تربوية في المبحثين الثاني والثالث، ثم نبين دلالة التعليل بقوله: «فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم» في المبحث الرابع.

المبحث الثاني: النهي عن القسر في تأديب الأولاد

يقوم التفسير الأول للحكمة «لا تَقْسِروا أَوْلادَكُمْ عَلى آدابِكُم» على أن النهي متعلق بطريقة التأديب القائمة على القهر، لا بأصل التربية والتعليم. فالمطلوب تربية الأولاد على العقائد الحقة والأحكام الشرعية والأخلاق الحسنة، باستخدام أساليب مشروعة تناسب أعمارهم وقدراتهم وظروفهم.

والقسر في اللغة هو «القهر على الكره».[٥٣٠] فالمنهي عنه، بحسب هذا التفسير، هو القهر في التأديب، بما يصاحبه من قسوة وإيذاء، كالسب والشتم والضرب المخالف للضوابط الشرعية؛ وليس المقصود أن نترك الأولاد يفعلون ما يشاؤون لمجرد كراهيتهم لبعض التوجيهات.

فقد يكره الولد إيقاف اللعب لأداء الصلاة، وقد يثقل عليه إخراج الخمس عند وجوبه. وهنا يحاوره المربي، ويوضح له أن رغبتنا في الشيء أو كراهيتنا له لا تكفي للحكم على نفعه وضرره؛ فقد نكره أمرا وتكون مصلحتنا في فعله. فالمريض قد يكره العملية الجراحية، ثم يقبلها لتوقف شفائه عليها، وقد لا يرغب الإنسان في عمل مباح خارج تخصصه، لكنه يقبله لحاجته إلى الكسب والعيش بكرامة. وهذا المعنى أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.[٥٣١]

فمسؤولية المربي أن يعين ولده على فهم ما ينفعه والالتزام به، دون إهمال توجيهه أو اتخاذ كراهيته لبعض الواجبات مبررا لقهره.

عودة إلى الفهرس

وللتأديب استعمالات متعددة؛ فمن معانيه التعليم والتهذيب، وقد جاء في لسان العرب: «وأدبه فتأدب: علمه». ومنها: المعاقبة على الإساءة بقصد الإصلاح، وهو معنى مستعمل في الفقه، ومنه تأديب الوالد لولده.

ومن التطبيقات التربوية لهذا الفهم مراجعة ما نشأ عليه المربي من طرائق التأديب؛ فلا يكرر ما تضمن قهرا أو تجاوزا محتجا بقوله: «هكذا رباني أهلي أو معلمي». بل يتعلم أساليب التربية المشروعة، ويعرف ضوابط العقوبة وصورها إذا احتاج إليها، وشروط الضرب إذا توقف التأديب عليه. ونوضح ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تنوع أساليب التربية

ينبغي للمربي أن يتعلم أساليب التربية وينوع في استخدامها بحسب أعمار الأولاد وحاجاتهم وطبيعة الموقف؛ ليغرس فيهم القيم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية، وينمي مهاراتهم الحياتية، دون الاقتصار على الأوامر والعقوبات. ومن أبرز هذه الأساليب:

١. أسلوب التربية بالحوار والموعظة

يحاور المربي أولاده بصبر ومودة، ويستمع إلى أفكارهم ومشاعرهم، ويناقشهم بما يعينهم على الفهم والاقتناع. فيكون الحديث أخذا وعطاء، لا سلسلة من الأوامر: «افعل، ولا تفعل»؛ فإن تكرارها دون استماع أو بيان قد ينفرهم من التوجيه.

مثال: إذا أهمل الابن الصلاة، يسأله المربي عن سبب إهماله، ويسمع منه، ثم يناقشه ويذكره بأهميتها، ويساعده على تجاوز ما يعوق التزامه. وإذا احتاج إلى مساعدة، استعان بالعالم الديني أو المستشار المختص.

٢. أسلوب التربية بالتجربة والخبرة.

يتعلم الناشئ من تجربة عملية آمنة أو مشاهدة خبرات واقعية ونتائجها، فتتضح له الفكرة، ويصبح أقدر على فهم عواقب السلوك.

مثال: للتحذير من التدخين، يشاهد مع المربي تسجيلا تعليميا موثوقا لتجربة توضح بعض مكونات دخان السجائر، ثم يستمع إلى تجربة شخص تضررت صحته بسبب التدخين؛ فيناقشان ما شاهده وسمعه، دون تعريضه للدخان.

٣. أسلوب التربية بالقدوة.

يتأثر الناشئ بسلوك من يثق بهم، ويتعلم من أفعالهم كيفية تطبيق ما يسمعه من توجيهات؛ ولذلك ينبغي أن يلتزم المربي بما يدعو إليه.

مثال: حين يرى الابن والده يصدق في حديثه مع أسرته ومع الناس، ويحفظ الأمانات ويردها إلى أصحابها، يتعلم منه الصدق والأمانة بالمشاهدة والمعايشة، ويكون لهذا السلوك أثر أبلغ من تكرار مطالبته بهما دون تطبيق.

٤. أسلوب التربية باللعب.

يوظف المربي الألعاب والمسابقات المشوقة لتعليم الناشئ وترسيخ ما تعلمه، فيجمع بين المتعة والفائدة.

مثال: حين يرى الابن والده يصدق في حديثه مع أسرته ومع الناس، ويحفظ الأمانات ويردها إلى أصحابها، يتعلم منه الصدق والأمانة بالمشاهدة والمعايشة، ويجد تطبيقا لما يوجه إليه.

٥. أسلوب التربية بالترغيب والثواب.

يحبب المربي السلوك الحسن إلى الناشئ ببيان قيمته وثمرته، ويعززه بالمدح المعتدل والثناء الصادق أو المكافأة المناسبة، دون مبالغة أو جعل كل عمل مرتبطا بعطاء مادي.

مثال: إذا واظب الطفل على قراءة القرآن، يثني المربي على اجتهاده، وقد يكافئه باختيار نشاط يحبه؛ تشجيعا له على الاستمرار.

٦. أسلوب التربية بالعقوبة

هو اتخاذ إجراء تأديبي مشروع يناسب السلوك الخاطئ، بقصد إصلاحه وتقليل تكراره. ويلجأ إليه عند الحاجة، إذا لم تنفع الأساليب الأخرى، كالحوار والموعظة والتشجيع، مع البدء بالأخف والاكتفاء به إذا حقق المطلوب.

ولا يكون اختلاف الأولاد مع والديهم في الأذواق والاختيارات المباحة سببا لمعاقبتهم؛ فكثير من هذه الخلافات يحتاج إلى تفاهم وتنظيم، لا إلى عقوبة.

المطلب الثاني: ضوابط التربية بالعقوبة

إذا كانت العقوبة هي الأسلوب الذي اعتاده المربي في نشأته، فلا يكرره دون مراجعة؛ فللتربية بالعقوبة ضوابط شرعية وتربوية ينبغي معرفتها، حتى لا تتحول إلى ظلم أو تنفيس عن الغضب. ومن أهمها:

أولا: مراعاة المرحلة العمرية

ينبغي في السنوات السبع الأولى أن يغلب التعليم والرحمة والاحتواء والقدوة والتشجيع؛ لأن فهم الطفل وقدرته على ضبط سلوكه لا يزالان في طور النمو. ومن الناحية التربوية، لا يتخذ العقاب البدني وسيلة معتادة لتربيته، ويستعاض عنه بالتعليم والتنبيه، وعند الحاجة بإجراء يسير يناسب إدراكه، كالحرمان المؤقت من بعض الامتيازات.

ومع تقدمه في العمر، يختار ما يناسب قدرته على الفهم وتحمل المسؤولية، مع مراعاة الضوابط الشرعية؛ فالتقدم في العمر وحده لا يبيح تشديد العقوبة.

ثانيا: أن يكون التأديب على سلوك يستوجب التقويم

لا يشرع التأديب بالعقوبة إلا على سلوك يستدعي الإصلاح، كالكذب والسرقة والاعتداء، أو السلوك القبيح، كتكرار مقاطعة الآخرين والعبث بممتلكاتهم. ولا

يصح أن يعاقب الناشئ في الحالات الآتية:

- الخطأ غير المقصود: كأن يكسر إناء دون تعمد.
- الفعل الخارج عن إرادته: كأن يدفعه طفل فيسقط على آخر فيؤذيه، أو يعجز عن أداء أمر لمرض.
- الجهل بحرمة الفعل أو قبحه: كأن يردد كلمة سيئة لا يعرف معناها؛ فيعلم ويوجه أولا.
- الفعل المشروع أو الطاعة: كمعاقبة الفتاة على التزامها بالحجاب؛ فهنا يحتاج المربي إلى تصحيح فهمه وسلوكه، ولا يجوز له معاقبتها على طاعتها.

ثالثا: التثبت من وقوع الخطأ

لا يبادر المربي إلى العقوبة لمجرد الشك أو سوء الظن أو اتهام الآخرين؛ فقد يكون الأمر سوء فهم أو نقلا غير دقيق. بل يسمع من الناشئ ويتحقق من الواقعة قبل مؤاخذته، حتى لا يظلمه. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.(٥٣٢)

رابعا: بيان سبب التأديب

يوضح المربي للناشئ خطأه، وسبب الإجراء المتخذ، وما المطلوب لإصلاحه؛ حتى يفهم أن المؤاخذة متعلقة بسلوكه، وليست انتقاصا من شخصه أو تشفيا منه.

فإذا تعمد إفساد أغراض أخيه، بين له أن المؤاخذة بسبب الاعتداء على حق غيره، وعلمه كيف يصلح ما أفسده. ويستأنس في أهمية البيان قبل المؤاخذة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.(٥٣٣)

عودة إلى الفهرس

خامسًا: غرس مراقبة الله تعالى

يربط المربي الناشئ بالله تعالى، ويعلمه أن رضاه هو الغاية، وأن اجتناب الذنب مطلوب في السر والعلن. فلا يجعل دافعه الوحيد الخوف من عقوبة الوالدين؛ لأنه قد يترك الخطأ أمامهما ثم يعود إليه عند غيابهما.

وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه».[٥٣٤] فالمقصود تنمية رقابته على نفسه، إلى جانب توجيه والديه ومتابعتهما.

سادسًا: الابتعاد عن الغضب والانتقام

يكون التأديب بقصد الإصلاح، لا لتفريغ الغضب. فإذا فقد المربي هدوءه، أخر العقوبة حتى يستعيد اتزانه؛ لئلا يتجاوز حدود الشرع، فيؤذي ولده ويقع في الإثم، وقد تلزمه الدية بحسب ما أحدثه.

وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا أدب مع غضب».[٥٣٥] وقال السيد الكلبايكاني: «لا يجوز ضرب الصبي المميز للغضب وتشفي القلب».[٥٣٦]

لذلك ينبغي للمربي سريع الغضب أن يبدأ بتربية نفسه على ضبط انفعاله، ويمكنه مراجعة محاضرة «كيف نتحكم بالغضب» في الجزء الأول من كتاب «زاد المبلغات».[٥٣٧]

المطلب الثالث: صور التربية بالعقوبة

لا تنحصر العقوبة في الضرب، فلا يبادر إليه المربي لمجرد أنه الأسلوب الذي استخدمه والداه أو معلموه معه. ومن صور التأديب التي يختار منها ما يناسب الموقف، مع مراعاة المشروعية والعمر والقدرة:

أولا: الحرمان المؤقت

حرمان الولد من أمر يحبه مدة مناسبة ومعلومة؛ كتقليل استخدام الإنترنت أو إيقافه للترفيه فترة محددة، بسبب تكرار مخالفته للاتفاق المتعلق باستخدامه.

ثانيا: إظهار عدم الرضا عن السلوك

يظهر المربي استنكاره للتصرف بملامح وجهه وكلامه؛ ليفهم الولد أن ما فعله غير مقبول، دون شتم أو تحقير. وقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة».(٥٣٨)

مثال: إذا تعمد الولد السخرية من أخيه، يقابله المربي بوجه جاد، ويقول: «هذا التصرف يؤذيه، ولا أرضاه منك».

ثالثا: اللوم والتوبيخ المنضبط

تنبيه الولد إلى قبح تصرفه وحثه على مراجعته، بكلام واضح يخلو من الإهانة والتجريح.

مثال: يقول له: «كيف ترضى لنفسك أن تكذب على من وثق بك؟ إن الصدق يحفظ ثقة الناس بك».

رابعا: تحمل مسؤولية الخطأ وإصلاحه

يشرك المربي الولد في إصلاح ما أفسده، بحسب قدرته؛ ليتعلم أن لأفعاله نتائج يتحمل مسؤوليتها.

مثال: ينظف ما تعمد بعثرته، أو يتفق معه على المساهمة تدريجيا من مصروفه في تعويض ما أتلفه، مع مراعاة الحكم الشرعي المتعلق بالمال والضمان.

خامسا: التكليف بأعمال إضافية مناسبة

يكلف الولد بعمل إضافي يناسب عمره وقدرته.

عودة إلى الفهرس

مثال: إذا تعمد ترك مخلفات نشاطه في غرفة الجلوس رغم تنبيهه، يكلف بجمعها وإعادة ترتيب المكان الذي استخدمه

سادسا: سحب المسؤولية التشريفية

تسحب منه مؤقتا مسؤولية أساء استخدامها، مع بيان سبب سحبها وما يلزمه لاستعادتها.

مثال: إذا كان مسؤولا عن تنظيم نشاط في الحسينية، وتعمد الإخلال بالمهمة رغم تنبيهه، تسند إلى غيره حتى يظهر استعداده لتحملها بأمانة.

سابعا: إشراك الولد في اختيار العقوبة

يعرض المربي ثلاثة خيارات مناسبة، ويطلب منه اختيار أحدها؛ كتنظيف الحديقة، أو ترتيب مكتبة المنزل، أو التوقف عن الترفيه الإلكتروني يومين.

ثامنا: الضرب

لا يلجأ إليه إلا إذا توقف التأديب عليه ولم تنفع الوسائل الأخرى المشروعة، مع مراعاة شروطه التي سنبينها في المطلب الرابع؛ فهو آخر الوسائل، وكما قيل: «آخر الدواء الكي».

المطلب الرابع: شروط العقوبة البدنية

إذا توقف التأديب على الضرب، فلا يكفي أن يكون المربي قد اعتاده في نشأته؛ بل عليه معرفة حدوده الشرعية، وما يرتبط به من آداب تربوية. وفيما يأتي أهم ما ينبغي مراعاته، مع التمييز بين الحكم الملزم والتوجيه التربوي:

١. مراعاة تمييز الطفل وقدرته على فهم سبب التأديب، ولا تمتد سلطة المربي إلى ضرب أولاده بعد بلوغهم؛ فالأحوط وجوبا، وفق فتوى السيد السيستاني، عدم ضرب

البالغ مطلقا.[٥٣٩]

٢. أن يكون الضارب هو الولي الشرعي، كالأب أو الجد للأب، أو مأذونا منه؛ فلا يجوز للأم أو الأخ أو المعلم ضربه دون إذن الولي.[٥٤٠]

٣. أن يكون القصد إصلاح سلوكه، لا التشفي منه أو الانتقام أو تفريغ الغضب.[٥٤١]

٤. ألا يلجأ إلى الضرب مع إمكان إصلاحه بالحوار والموعظة والترغيب وغيرها من الوسائل؛ فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أدب صغار أهل بيتك بلسانك».[٥٤٢]

٥. أن تقدم وسائل العقوبة الأخف إذا كانت كافية للتأديب، كإظهار عدم الرضا أو الحرمان المؤقت المناسب؛ فلا يلجأ إلى الضرب مع إمكان التأديب بغيره.[٥٤٣]

٦. أن يرجى منه إصلاح السلوك؛ فلا يتخذ إجراء متكررا مع ظهور عدم فائدته.

٧. أن يكون بسبب سلوك يستوجب التأديب ثبت صدوره من الطفل، لا لمجرد التهمة أو الشك، ولا لخطأ يتوقع وقوعه مستقبلا.

٨. أن يعرف الطفل أن سلوكه غير مقبول؛ فيعلم الصواب وينبه إلى الخطأ قبل معاقبته.

٩. ألا يتجاوز ثلاث ضربات خفيفة على الأحوط وجوبا، مع مراعاة الرفق واجتناب الشدة.[٥٤٤]

١٠. أن يقتصر على ما يكفي للتأديب؛ فإذا كفت ضربة واحدة، لم تجز الزيادة عليها.

١١. أن يتجنب المواضع الحساسة، كالرأس والوجه، وأي طريقة تعرض الطفل للإصابة.

١٢. ألا يكون الضرب شديدا أو مدميا، ولا يسبب احمرارا أو ازرقاقا أو اسودادا؛ فإن أحدث أثرا يوجب الدية، لزمت الضارب ولو كان الأب.

وتجب الدية للمضروب، ولو كان الضارب أباه: ففي احمرار الوجه دينار ونصف من الذهب، وفي ازرقاقه ثلاثة دنانير، وفي اسوداده ستة دنانير، ونصف هذه المقادير في سائر البدن، مع كون دية الاسوداد على الأحوط. والدينار نحو ٥ , ٣ غرامات من الذهب.[٥٤٥]

المبحث الثالث: مراجعة العادات الموروثة

بعد بيان التفسير الأول للحكمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي يركز على طريقة التعامل مع الأولاد وتجنب القسر في تأديبهم، ننتقل إلى التفسير الثاني الذي يركز على ما يفرض عليهم من ممارسات واختيارات اعتادها المربي. ونوضح هذا التفسير، ثم نبين الثوابت والمتغيرات في التربية، في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المقصود بالآداب الاجتماعية

بحسب هذا التفسير، يراد بالآداب في الحكمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تَقْسِروا أوْلادَكُمْ عَلى آدابِكُم، فَإنَّهُمْ مَخْلوقونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم»[٥٤٦] العادات والتقاليد التي ألفها الآباء، ويريد بعضهم إلزام الأبناء بها، مع اختلاف ظروفهم وحاجاتهم.

فقد يعتاد الإنسان طريقة معينة في اللباس أو التعلم أو العمل أو المناسبات، ثم يرى كل ما يخالفها خطأ. وهنا تدعوه الحكمة إلى مراجعة ما اعتاده، بدلا من جعله مقياسا يلزم أولاده باتباعه.

والعادات تصرفات يألفها الإنسان بتكرارها؛ كطريقة تناوله الطعام أو تنظيمه للزيارات. وقد عرف المعجم الوسيط العادة بأنها: «كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد».[٥٤٧]

أما التقاليد فهي عادات تنتقل من جيل إلى آخر؛ فيتبع الأبناء فيها الآباء والأجداد. وقد عرفها المعجم بأنها: «العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف».[٥٤٨]

ومن الأمثلة التي تتصل بحياة الأسر:

١. فرض التخصص الدراسي أو مهنة الأسرة

قد يرغب الأب في أن يواصل ابنه مهنته، أو يصر على أن يصبح طبيبا أو مهندسا؛

لأن الأسرة اعتادت هذه التخصصات أو ترى فيها مكانة اجتماعية، دون النظر إلى قدرات الابن وميوله.

مثال: يميل الابن إلى تخصص تقني يناسب قدراته، بينما يصر والده على الطب. والأقرب إلى حسن التربية أن يناقشا استعداد الابن وفرصه وصعوبات اختياره، ويستعينا بالمختص، دون جعل التخصص وسيلة للمفاخرة أو إثبات الطاعة.

فمهنة الأب لا ترفض لقدمها، والمهنة الجديدة لا تفضل لمجرد حداثتها؛ بل ينظر إلى مشروعيتها وملاءمتها لقدرات الابن وفرصه.

٢. إلزام الأبناء بصورة واحدة من اللباس

قد يتغير شكل اللباس وقماشه ولونه مع بقاء الضوابط الشرعية. فلا يجعل المربي ذوقه الشخصي الصورة الوحيدة للستر والوقار، ولا يتخذ الأبناء تغير الموضة حجة لتجاوز تلك الضوابط.

مثال: تفضل الأم تصميما اعتادته، بينما تختار ابنتها لباسا مختلفا مستوفيا لشروط اللباس الشرعي. يناقش الاختيار بحسب صفاته، لا لمجرد اختلافه عن لباس الأم.

ومن الشواهد المناسبة ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين سئل عن اختلاف لباسه عن لباس أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: «إن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله».[٥٤٩]

٣. اعتبار زواج الأرملة أو المطلقة عيبًا

تستقبح بعض العوائل زواج الأرملة أو المطلقة مرة أخرى، وقد تردد عبارات تجعل بقاءها دون زواج دليلا على الوفاء أو الشرف. وينشأ الأبناء على هذه الفكرة، ثم يمارسون الضغط نفسه على أخواتهم أو غيرهن.

والصحيح ألا تتحول العادة الاجتماعية إلى منع لما أباحه الشرع؛ فزواج الأرملة أو المطلقة بعد انتهاء عدتها، مع استيفاء شروط الزواج، لا يصبح عيبا لمجرد استنكار

بعض الناس له. وقد قال تعالى في شأن المتوفى عنهن أزواجهن: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.(٥٥٠)

٤. إثقال الزواج بتكاليف اعتادتها الأسرة

قد تصر الأسرة على احتفال أو مشتريات مرتفعة التكلفة لأن الأقارب فعلوا مثلها، وتعد التخفيف منها انتقاصا من مكانتها.

مثال: يرغب شاب في زواج بسيط يناسب دخله، لكن أهله يطالبونه بالاقتراض للمظاهر. هنا تراجع العادة، ويختار ما يحقق الفرح ويحفظ الحقوق دون إثقاله بما لا يطيق.

ومن الممارسات التي تحتاج إلى مراجعة أيضا: التشاؤم من زيارة قبر المتوفى قبل الأربعين، واعتقاد أنها تسبب موت شخص آخر من العائلة؛ فشيوع هذا الاعتقاد لا يثبت صحته. وكذلك رفض تعليم الفتيات في بعض البيئات لمجرد العادة، أو اعتبار جلوس الأبناء مع والدهم إلى الطعام ومشاركتهم في الحديث منافيا لهيبته. فالموروث يحتاج إلى تمييز، ولا يقدم للأولاد بوصفه واجبا لمجرد أن الأسرة اعتادته.

المطلب الثاني: الثوابت والمتغيرات في التربية

مراعاة اختلاف الزمان لا تعني تغيير العقائد الحقة، أو ترك الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية؛ فهذه من ثوابت الدين، ولا تصبح عادات قابلة للإلغاء لمجرد تغير المجتمع أو رغبات الناس. وإنما يحتاج المربي إلى التمييز بينها وبين العادات والوسائل التي تتغير بحسب الحاجات والظروف.

- فالعقائد، كالإيمان بالله تعالى ونبوة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمعاد، أساس تقوم عليه التربية الإيمانية، ولا يسقط بتعاقب الأجيال. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.(٥٥١)

◆ والأحكام الشرعية لا يملك الإنسان تبديلها بحسب هواه؛ فقد روى أبو جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب وبينتهما لكم في سنتي وسيرتي».(٥٥٢)

فلا يسقط وجوب الصلاة أو الستر الشرعي بتغير العادات، ولا يصبح الغش والكذب جائزين لأن الأسرة اعتادتهما.

فإذا طلب الأب من ولده أن يقول للمتصل: «أبي غير موجود»، وهو حاضر، فعليه تصحيح سلوكه، وتعليمه الاعتذار الصادق؛ فمسؤوليته أن يربيه على طاعة الله، لا أن ينقل إليه ما اعتاده من مخالفات.

◆ وكذلك القيم الأخلاقية، كالعدل والأمانة والرحمة، تبقى مطلوبة؛ فلا يصبح الظلم فضيلة أو الخيانة مقبولة لشيوعهما. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾(٥٥٣) وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن الآداب ما كفك عن المحارم»(٥٥٤)، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تحري الصدق، وتجنب الكذب، أجمل شيمة وأفضل أدب».(٥٥٥) فميزان صلاح الأدب هو ما يحمله من خير واستقامة، لا مجرد قدمه وشيوعه.

أما المتغيرات فتشمل العادات والتقاليد والوسائل التي تقبل التبدل؛ كطرائق التعلم وأشكال اللباس وتنظيم المناسبات. وهذه تراجع في ضوء الشرع: فما أعان على الخير انتفعنا به، وما كان مباحا اتسع فيه الاختيار، وما خالف الشرع صححناه، سواء ورثناه عن السابقين أم استحدثه جيل اليوم.

فطلب العلم يبقى مطلوبا مع تغير وسائل التعلم، والستر الشرعي يبقى واجبا مع اختلاف تصاميم الملابس المستوفية لضوابطه. وعند الاشتباه في الحكم، يرجع المربي إلى فتوى مرجع تقليده أو يسأل مكتبه؛ فلا يجعل عادة الأسرة حكما دينيا، ولا يتخذ اختلاف الزمان مبررا لترك الدين.

عودة إلى الفهرس

المبحث الرابع: دلالة اختلاف الزمان في التربية

بعد بيان وجهي فهم المقطع الأول من الحكمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ننتقل إلى التعليل الوارد في مقطعها الثاني:

السؤال: ما دلالة التعليل بقوله: «فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم»؟

الجواب: يفهم من هذا التعليل أن التربية تحتاج إلى فهم واقع الأولاد والاستعداد لمستقبلهم؛ فقد تختلف حاجاتهم ووسائل تعلمهم وعملهم عما عرفه آباؤهم، وتظهر تحديات جديدة تستدعي تطوير وسائل توجيههم. ويتضح ذلك فيما يأتي:

١. تغير متطلبات الحياة وما يحتاج الأولاد إلى تعلمه

تتغير بعض متطلبات التعلم والعمل والمعيشة بمرور الزمن، فتظهر معارف ومهارات يحتاج إليها الأولاد، وربما لم يحتج إليها آباؤهم من قبل. ولهذا ينبغي إعدادهم لما سيواجهونه، مستفيدين من خبرة الماضي ومعارف الحاضر.

مثال: اعتاد الأب أن يعتمد في دراسته على الكتاب وشرح المعلم، بينما يحتاج ابنه اليوم إلى استخدام الحاسوب والبحث في المصادر الإلكترونية. فإذا منعه من تعلم هذه الوسائل بحجة أنه نجح من دونها، فقد يحرمه من مهارات يحتاج إليها في دراسته وعمله.

والتصرف الحكيم أن يعينه على الجمع بين القراءة والفهم والحفظ، وبين البحث والتحقق من المعلومات وحسن استخدام التقنية.

٢. ظهور تحديات تستدعي تجديد وسائل التوجيه والحماية

قد يواجه الأولاد مشكلات لم تكن موجودة في طفولة آبائهم بالصورة نفسها، أو كانت محدودة ثم اتسع تأثيرها. فلا تكفي معرفة المربي بالمخاطر القديمة، بل يحتاج إلى التعرف على مصادر التأثير الجديدة وكيفية التعامل معها.

مثال: يوصي الأب ولده بألا يصاحب الغرباء في الشارع، ويطمئن عليه ما دام في المنزل، لكنه لا يعلم أنه يتواصل عبر إحدى الألعاب الإلكترونية مع شخص مجهول يطلب منه صورا أو معلومات خاصة.

هنا تحتاج النصيحة القديمة إلى ما يكملها؛ فيعلمه حدود التواصل، وما ينبغي ألا يشاركه مع الآخرين، ومتى يطلب المساعدة، ويشجعه على إخباره بأي موقف مقلق، مع وضع قواعد للاستخدام تناسب عمره.

وكل ذلك يجري ضمن التمييز السابق بين الثوابت والمتغيرات؛ فتطور وسائل التربية لا يبيح تغيير العقائد الحقة أو ترك الأحكام والقيم. والمقصود إعداد الأولاد ليحسنوا العيش في زمانهم متمسكين بدينهم، مع الاستفادة من خبرة آبائهم، دون إلزامهم بتكرار تفاصيل حياتهم.

المبحث الخامس: معالجة الصراع بين الآباء والأبناء

تحتاج معالجة الصراع إلى مراجعة ما يدفع المربي إلى القهر، وبناء علاقة تعين الطرفين على التفاهم وتصحيح الأخطاء. ونبين ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: معالجة أسباب القهر في التربية

قد يظهر القهر في صورة انفعال بسبب تصرف الولد، لكن وراءه أسبابٌ تحتاج إلى فهم ومعالجة؛ حتى لا يكتفي المربي بالندم ثم يعود إلى الأسلوب نفسه. ومن أبرزها:

١. الإرث التربوي والتطبيع الاجتماعي: «كما ربيت أربّي»

يمارس بعض المربين القسوة لأنهم نشؤوا في بيئات استخدمت الضرب والقهر أسلوبا أساسيا للتقويم. فيعتقدون أنها الطريقة الصحيحة، ويحتجون بأنهم تعرضوا لها وأصبحوا ناجحين، دون مراجعة آثارها المؤذية. وقد يعزز المحيط هذا الاعتقاد

بتشجيع الشدة واعتبار الرفق ضعفا.

العلاج: يراجع المربي تجربته بإنصاف، فيحافظ على ما فيها من خير، ويترك ما يتضمن ظلما أو تجاوزا. فالنجاح في بعض جوانب الحياة لا يثبت صحة كل ما تعرض له الإنسان في تربيته. كما يتعرف إلى واقع أولاده، فلا يجعل ظروف الماضي مقياسا وحيدا لتوجيههم.

٢. الضغوط الحياتية ونفاد الطاقة النفسية

قد تستنزف الضغوط اليومية طاقة المربي، أو يتعرض للتسلط والإهانة فيفرغ غضبه في أولاده؛ فيتحملون أثر مشكلات لم يكونوا سببا فيها؛ كأم تتعرض لمعاملة جارحة، ثم تثور على طفلها لمجرد سكبه الماء دون قصد.

العلاج: يفصل المربي بين ضيقه وخطأ ولده، ويؤجل معالجة الخطأ حتى يهدأ، ويتذكر أن ضعف الأولاد يستدعي الرحمة؛ فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أحبوا الصبيان وارحموهم».[٥٥٦] ويعتذر عن إساءته ويصححها، ويستعين بمختص إذا تكرر فقدانه السيطرة.

٣. الجهل بالبدائل التربوية

قد يعرف المربي السلوك الصحيح الذي يريده، لكنه لا يعرف كيف يعلمه أو يعالج مخالفته؛ فيرى أن اختياراته محصورة بين ترك الأولاد يفعلون ما يشاؤون وبين الصراخ والضرب. وقد يجرب الحوار أو التشجيع مرة واحدة، ثم يتركهما لعدم ظهور نتيجة فورية، ويحسب السكوت خوفا اقتناعا وإصلاحا.

العلاج: يتعلم المربي أساليب الحوار والقدوة والتدريب والتشجيع، وكيفية وضع قواعد واضحة ومتابعتها. ويمنح التعلم وقتا مناسبا، ويقدر التحسن التدريجي، ويراجع طريقته إذا لم تنفع، بدلا من تصعيد العقوبة تلقائيا. ويستعين بالمختص عند الحاجة.

٤. الشعور بتملك الأولاد والرغبة في السيطرة عليهم

قد يتعامل بعض المربين مع أولادهم كأنهم مُلك لهم، فيرون أن حقهم في التربية يبيح فرض كل رأي واختيار عليهم. وقد يعدون مناقشتهم أو استقلالهم باختيار مباح انتقاصا من مكانتهم، فيستخدمون القهر لإخضاعهم.

العلاج: يتذكر المربي أن أولاده أمانة استرعاه الله عليها، وأن مسؤوليته تربيتهم ورعايتهم وحفظ حقوقهم. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[٥٥٧] ومن مقتضيات الأمانة أن يعلمهم ما يصلحهم ويعينهم على طاعة الله، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[٥٥٨] فلا يهمل توجيههم، ولا يظلمهم بحجة الحرص، ولا يجعل احترامه مرادفا لموافقته في كل اختيار.

٥. التوقعات غير الواقعية وسوء فهم خصائص النمو

قد يطالب المربي ولده بما يفوق عمره وقدرته؛ كأن ينتظر من طفل في الرابعة الجلوس ساكنا طوال زيارة طويلة، ثم يعد حركته تمردا. وقد يقارن بين الإخوة دون مراعاة اختلاف قدراتهم وحاجاتهم.

العلاج: يفهم المربي مرحلة ولده وقدراته، ويشرح له بما يدرك، ويشاركه اللعب والحديث، ويدربه بالتدرج؛ فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من كان عنده صبي فليتصاب له».[٥٥٩] وإذا استمر عجز واضح رغم التعليم، بحث عن سببه واستعان بالمختص.

٦. الخوف المفرط على مستقبل الأولاد

قد يدفع الخوف من الانحراف أو الفشل أو الأذى إلى المنع الواسع والمراقبة المستمرة، دون تقدير لحجم الخطر؛ كأم تمنع ابنها المراهق من رحلة مدرسية لمجرد خوفها عليه. وحين لا يقابل التزام الأولاد بمزيد من الثقة، قد تضعف مصارحتهم ويزداد الخلاف.

عودة إلى الفهرس

العلاج: يتحقق المربي من الخطر ويضع ضوابط تناسبه؛ فتتعرف الأم إلى مكان الرحلة والمشرفين ووسيلة النقل، وتتفق مع ابنها على التواصل ووقت العودة. ويعلم المربي أولاده الحماية وحسن الاختيار، ويمنحهم مسؤوليات بحسب نضجهم والتزامهم.

٧. اختلاف الوالدين واضطراب القواعد

قد يسمح أحد الوالدين بما يمنعه الآخر، أو تتغير التعليمات دون بيان؛ كأن تحدد الأم ساعة للعب الإلكتروني، بينما يسمح الأب باستمراره دون وقت محدد، فيحتار الولد بين تعليماتهما، وقد يعاقب على تصرف سمح له به أحدهما.

العلاج: يتفق الوالدان على قواعد واضحة ومناسبة، ويناقشان اختلافاتهما بعيدا عن الأولاد؛ فيحددان وقت اللعب ويبلغانه لولدهما، ولا يعاقبانه على تضارب سابق لم يكن سببه، ويبينان أي تغيير قبل المؤاخذة عليه.

المطلب الثاني: بناء علاقة قائمة على المودة والثقة

إلى جانب معالجة أسباب القهر، يحتاج الوالدان إلى علاقة تقربهما من أولادهما وتعينهم على المصارحة وقبول التوجيه. ومن أهم ما يساعد على بنائها:

١. السعي إلى مصادقة الأولاد

لا تتحقق الصداقة بمجرد قول الأب: «أنا صديق ولدي»، بل بوقت يمنحه له، واهتمام بشؤونه، واحترام لخصوصيته، ووفاء بالوعد. وتبدأ منذ الصغر، وتنمو بالمشاركة في الحديث والاهتمامات والأنشطة، مع بقاء حقوق الوالدين ومسؤوليتهما.

مثال: يخبر مراهق والده بضغط أصدقائه عليه لتجربة التدخين. يقدر مصارحته، ويناقش معه كيفية رفض دعوتهم؛ فيطمئن إلى الرجوع إليه عند المشكلة.

وقد فصلنا قواعدها في محاضرة «كيف نصادق أولادنا» في الجزء الأول من كتاب

«زاد المبلغين»[٥٦٠].

٢. إدراك مشروعية الاختلاف

اختلاف الأولاد في الاهتمامات والاختيارات المباحة لا يعني سوء التربية؛ فلا يجعل الوالدان كل اختلاف خلافا على الطاعة والاحترام.

مثال: يفضل الأب الزيارات العائلية، ويرغب ابنه في نشاط رياضي مباح. ينظمان الوقت بما يحفظ صلة الأهل ويتيح النشاط، بدلا من اعتبار رغبته ابتعادا عن الأسرة.

٣. الانتقال من فرض السيطرة إلى المشاركة في المسؤولية

بدلا من أن يقرر الوالدان كل التفاصيل ويطالبا الأولاد بالتنفيذ فقط، يشركانهم، بحسب أعمارهم، في مناقشة ما يخصهم، والاستماع إلى اقتراحاتهم، والاتفاق على مسؤوليات واضحة. فالمقصود تدريبهم على حسن الاختيار وتحمل نتائجه، مع بقاء التوجيه والمتابعة.

مثال: بدلا من أن تحدد الأم لابنتها وقت كل واجب دراسي، تسألها: «كيف ستوزعين وقتك لإنجاز واجباتك قبل النوم؟». تساعدها على وضع خطة مناسبة، ثم تتابع التزامها؛ فتتعلم الابنة تنظيم وقتها، بدلا من انتظار الأوامر في كل خطوة.

٤. الاستماع للفهم قبل الرد والحكم

يمنح المربي ولده فرصة لإتمام حديثه، ويسأل عما لم يفهمه، دون مقاطعة أو سخرية أو تعجل في الاتهام؛ ففهم المشكلة يسبق توجيه صاحبها.

مثال: تقول ابنة جامعية: «لا أريد الذهاب إلى الجامعة». يستمع والدها، فيتبين أنها تتعرض لمضايقات من زميلات؛ فيساعدها على المعالجة مع الجهة المختصة، بدلا من اتهامها بالكسل.

٥. تقليص الفجوة الرقمية والثقافية بالتعلم المشترك

يتعرف الوالدان إلى اهتمامات أولادهما، ويشاركانهم التعلم ومناقشة المنافع والمخاطر، فلا يرفضان ما يجهلانه، ولا يقلل الأبناء من خبرتهما لضعف معرفتهما بالتقنية.

مثال: يتعرف الأب إلى لعبة ابنه، ثم يناقشان التواصل مع الغرباء والمشتريات ووقت الاستخدام، ويضعان ضوابط مناسبة.

٦. وضع حدود واضحة

يعرف الأولاد المطلوب والممنوع ونتائج المخالفة، من خلال قواعد مناسبة وثابتة، لا تتبدل بحسب المزاج.

مثال: يتفق الوالدان مع المراهق على موعد العودة وإبلاغهما عند التأخير. فإذا تأخر، يسمعان السبب ويتعاملان وفق الاتفاق، دون تغيير الموعد بأثر رجعي.

٧. ضبط الانفعالات وإدارة الخلاف

يوقف النقاش مؤقتا عند اشتداد الانفعال، مع تحديد وقت للعودة إليه. ويبدأ الوالدان بأنفسهما، فيعتذران عن التجاوز ويعلمان أولادهما إدارة الخلاف دون اعتداء.

مثال: يحتد نقاش حول الإنفاق، فيقول الأب: «ارتفعت أصواتنا؛ نهدأ ونكمل بعد العشاء». ثم يناقشان الاحتياجات والمصروف بدلا من تبادل الاتهامات.

٨. الفصل بين السلوك الخاطئ وشخصية الولد

يحدد المربي التصرف المرفوض وطريق إصلاحه، دون وصف الولد بالفشل أو انعدام الفائدة؛ فالتجريح لا يعلمه الصواب.

مثال: يخفي طفل نتيجة امتحانه. يقول له المربي: «إخفاء النتيجة غير صحيح؛ صارحني لنعرف الصعوبة ونعالجها»، بدلا من: «أنت فاشل وكذاب، ولن تنجح».

٩. تعليم حسن اختيار الأصدقاء

يتعلم الأولاد معايير الصديق الصالح وكيفية رفض الضغط، ويتعرف الوالدان إلى أصدقائهم دون اتهام الجميع.

مثال: يشجع صديق الابن على التغيب عن الدروس. يناقش الأب أثر ذلك، ويدربه على الرفض: «لن أتغيب، نلتقي بعد الدوام»، ويعينه على صحبة تحترم التزامه.

ولتعليم الأولاد حسن اختيار الصديق، ننصح بقراءة كتاب «لمسات تربوية» المختص بهذه القيمة.(٥٦١)

١٠. الاستعانة بالله والدعاء للأولاد

يأخذ الوالدان بأسباب التربية، ويسألان الله الحكمة وصلاح الذرية؛ فالدعاء يصاحب العمل ولا يغني عنه. ومن الدعاء القرآني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.(٥٦٢)

مثال: يقلقان لابتعاد ابنهما عن العبادة، فيدعوان له، ويراجعان أسلوبهما، ويهيئان صحبة وبيئة تعيناه على الالتزام.

١١. إظهار المحبة والحنان

يحتاج الأولاد إلى الشعور بالمحبة بالكلمة الطيبة، والتقبيل والاحتضان بما يناسب أعمارهم، والاهتمام والثناء الصادق؛ فلا تقتصر العلاقة على الأوامر ومحاسبتهم على الأخطاء، بل ينبغي إظهار المحبة والرحمة بهم، كما حثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فقد روي أنه قبل الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فذكر الأقرع بن حابس أنه لم يقبل أحدا من أولاده العشرة، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما علي إن نزع الله الرحمة منك».(٥٦٣)

مثال: يعود مراهق متعبا، فيستقبله والده ببشاشة ويمنحه وقتا للحديث؛ فيشعر أنه محبوب، وليس مطلوبا منه تقديم حساب في كل لقاء.

عودة إلى الفهرس

ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة في إظهار محبته لأهل بيته؛ فقد روي أنه كان يحمل صاحب الذكرى، الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه».(٥٦٤)

وظل يحيطه بحبه وحنانه إلى أيامه الأخيرة، فقد روي أنّ الحسن دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلما رآه بكى ثم قال: إليَّ إليَّ يا بني فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه الأيمن وسأل عن بكائه فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

أما الحسن فإنه ابني وولدي ومني وقرة عيني وضياء قلبي وثمرة فؤادي وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة أمره أمري وقوله قولي فمن تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني وإني لما نظرت إليه ذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلما وعدوانا فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ومن زاره في البقيع ثبتت قدماه على الصراط يوم تزل الأقدام.(٥٦٥)

ومضت الأيام، ووقع ما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فدس السم إلى سبطه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روي أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على أخيه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرضه الذي استشهد فيه فلما رأى ما به بكى، فقال له الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقال: أبكي لما صنع بك فقال الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الذي أُتي إليَّ سمٌّ أُقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفا يدعون الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رمادا ودما، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.

هذا وقد أثر السم في الحسن وكان رأسه في حجر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يقذف بين الحين والآخر أحشاءه في الطشت قطعة قطعة.

(نصاري)

اشكثر الدهر فرّگ بين الاحباب — او سهمه اعله ابو امحمد بالگلب صاب

گعد ينحب ولن الدگ على الباب — صاح الحسن شيل الطشت يحسين

وإذا بالباب يطرق فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: من الطارق؟ فقالت زينب: أنا أختك.

(نصاري)

أنا الفاجدة أمي وأبيّ — وانا الجايه التعافه لخيّ

يخويه احسين اخاف ايزول فيّ — لو مات الحسن هاليوم يحسين

فقال الحسن لأخيه الحسين: يا أخي ارفع الطشت لكي لا تراه أختنا زينب وباقي بنات أمير المؤمنين.

(مجردات)

يحسين شيل الطشت عني — خواتك يبو السجاد اجني

يردن يشبعن شوف مني — او يردن يخويه ايودعني

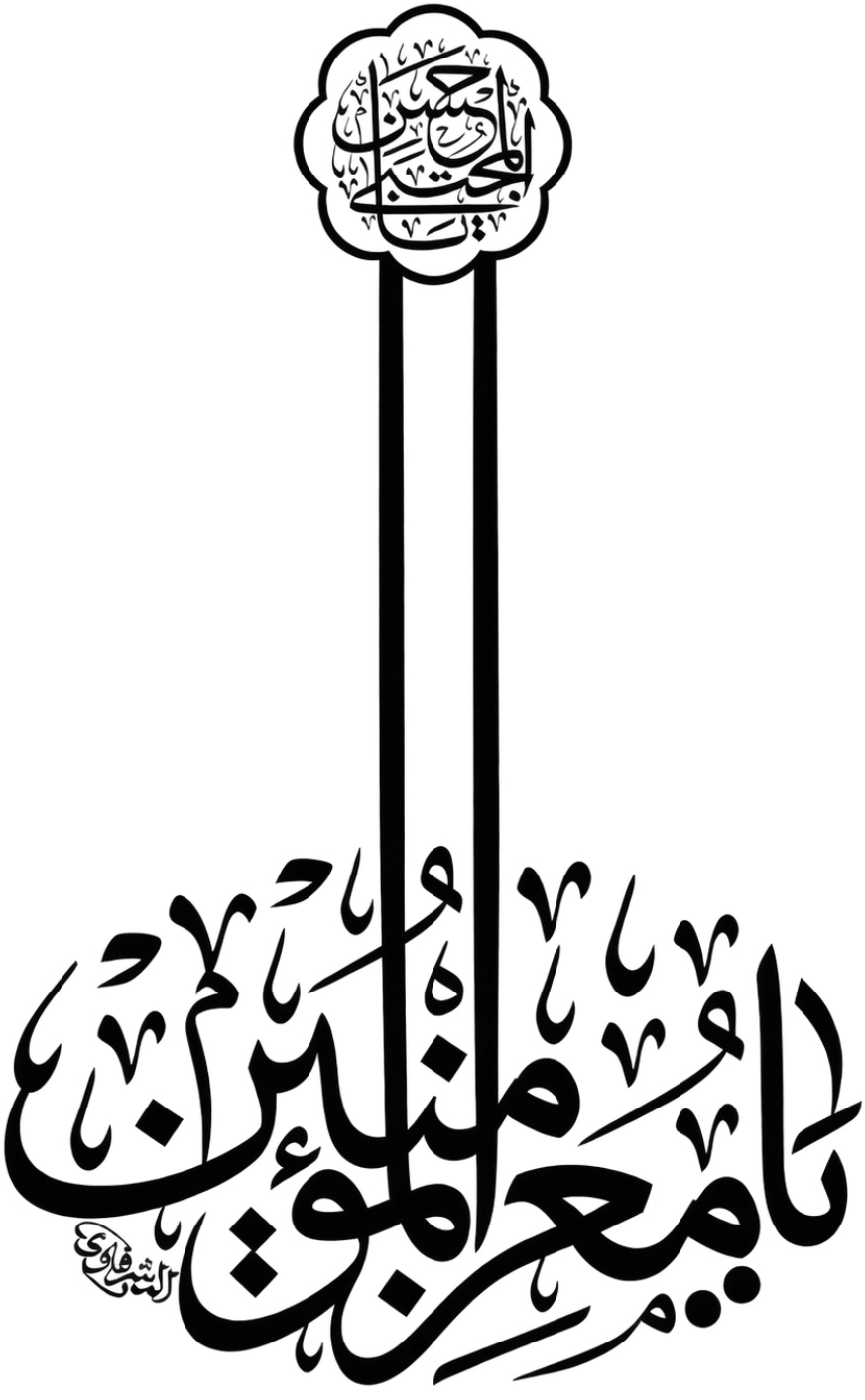
او ينوحن عليه او يندبني

ففتح الباب فدخلت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ صارخة:

(نصاري)

ولن اتشوف اخوها الحسن مطروح — ويده اعله الكبد ويجود بالروح

بچت زينب او گامت تحن واتنوح — واتنادي الحنينه ابدمع سچاب[٥٦٦]


يا أمير المؤمنين
الشرفاوي

الْهَوَامِشُ

(١) الأحزاب/ ٣٩.

(٢) التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف-ص١١-١٢.

(٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٢٣.

(٤) شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحديد -ج ٧ -ص ١٨٣.

(٥) ذكر أن السيد حيدر (رحمه الله) رأى في ما يرى النائم جدته السيدة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وهي تخاطبه بقولها:

أناعي قتلى الطف لازلت ناعيا تهيج على مر الليالي البواكيا

فاستيقظ باكيا وصار يتمشى في غرفة نومه وهو ينظم الشعر على غرار البيت الذي سمعه في نومه من جدته الزهراء عليهاالسلام حتى تكاملت عنده تلك الليلة قصيدة عصماء انتخبنا منها هذا المقطع.

(٦) ديوان السيد حيدر الحلي.

(٧) مجمع مصائب أهل البيت ع- الشيخ الهنداوي-ج٣-ص١٤٣-١٤٤.

(٨) البرهان في تفسير القرآن-البحراني-ج٢-ص ٥٨٢.

(٩) م.ن.

(١٠) الذاريات/ ٥٦.

(١١) تعليقة على معالم الأصول، ج٧، ص٤٤١؛ ذُكر فيه تفسير «ليعبدون» بمعنى «ليعرفون»، مع الاستشهاد برواية علل الشرائع.

(١٢) علل الشرائع -الشيخ الصدوق-ج١-ص٩.

(١٣) محمد/ ١٩.

(١٤) نهج البلاغة -الإمام علي بن أبي طالب ع -الدكتور صبحي صالح -ص٣٩.

(١٥) آل عمران/ ١٠٠.

(١٦) نهج البلاغة-شرح الشيخ محمد عبده-الكتاب ٣١، من وصيّته عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ-ج ٣-ص ٤٠.

(١٧) الكافي-الكليني-ج٦-ص٤٧-باب تأديب الولد-ح٥.

(١٨) البقرة/ ١٧٠.

(١٩) الغاشية/ ١٧.

(٢٠) الذاريات/ ٢١.

عودة إلى الفهرس

(٢١) بحار الأنوار -العلامة المجلسي-ج٢-ص١٠٥-ح٦٧.
(٢٢) التوحيد-الشيخ الصدوق-ص٢٣١.
(٢٣) العنكبوت/ ٦٥.
(٢٤) يونس/ ٩٠.
(٢٥) يونس/ ٩١
(٢٦) الروم/ ٣٠.
(٢٧) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ١ -ص ٧٨٠.
(٢٨) الأعراف/ ١٧٢.
(٢٩) تفسير القمي-علي بن إبراهيم القمي-ج ١-ص ٢٤٨-في تفسير سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
(٣٠) بحار الأنوار -العلامة المجلسي -ج ٥٨ -ص ١٨٧.
(٣١) المطففين/ ١٤.
(٣٢) نهج البلاغة -خطب الإمام علي (ع) -ج ١ -ص ٢٣.
(٣٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٣-ص ٥٥-ح ٢٨.
(٣٤) م.ن-ج ٣-ص ٥٥-ح ٢٧.
(٣٥) التوحيد-الشيخ الصدوق-ص ٢٤٤-ضمن مناظرة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الزنديق.
(٣٦) الكافي-الكليني -ج ١-ص ٨٠-باب «حدوث العالم وإثبات المحدث» -ح ٤.
(٣٧) الذاريات/ ٢٠-٢١.
(٣٨) «وفي وِرْدِها لصَدَرِها»: أي تجمع الغذاء في أيام قدرتها على الحركة، وتدّخره لأيام عجزها عنها. والوِرْد هو الورود، والصَّدَر هو الرجوع بعد الورود.
(٣٩) نهج البلاغة-الشريف الرضي-الخطبة ١٨٥-مقتطف من المقطع المتعلّق بوصف النملة.
(٤٠) هل تحب معرفة الله-السيد محمد الحسيني الشيرازي-ص١٠-١١، بتصرف.
(٤١) يس/ ٤٠.
(٤٢) الأنفال/ ١٧.
(٤٣) فاطر/ ١٥.
(٤٤) أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ -السيد محمد حسين الطباطبائي -ج٢-ص٥٣٥.
(٤٥) الشيخ الصدوق-من لا يحضره الفقيه-ج٢-ص٦٢٢.
(٤٦) شجرة طوبى -الشيخ محمد مهدي الحائري -ج ٢ -ص ٣٩٢.
(٤٧) المطففين/ ١٤.
(٤٨) نهج البلاغة-الشريف الرضي-الخطبة الأولى-المقطع المتعلّق ببعثة الأنبياء، ابتداءً من قوله

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه».

(٤٩) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ١ -ص ٢٠٩.

(٥٠) نفس المهموم-الشيخ عباس القمّي؛ نقلًا عن موسوعة كربلاء-لبيب بيضون-ص ٤١٩.

(٥١) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص١٤٤-١٤٥.

(٥٢) نفس المهموم-عباس القمي-ص٤٣٦-٤٤٢.

(٥٣) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص١٤٤-١٤٥.

(٥٤) شعراء الغري -على الخاقاني-ج٢-ص١٠١.

(٥٥) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٣٥٧-٣٥٨.

(٥٦) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي-ج٢٢-ص٤٠٢-أبواب الكفارات-الباب ٣١، الحديث ١، رقم الحديث العام ٢٨٨٩٤. وهذا المقطع من رواية خالد بن سدير عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد اختلف الفقهاء في اعتبار سندها؛ فاعتمد صاحب الجواهر الخبر في بحث الكفّارات، بناءً على انجباره بفتاوى الفقهاء والإجماع المحكي في ذلك البحث، وإن كان بعض الفقهاء قد ضعّف سنده. انظر: جواهر الكلام، ج٣٣، ص١٨٣-١٨٤

(٥٧) قاموس الشعائر الحسينيّة -لمؤلفه حيدر السلامي.

(٥٨) فلسفة الشعائر الحسينية-إحسان الفضلي-ص١٠-بتصرف.

(٥٩) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية- السيد السيستاني-ج٢- م٥٣٠، نقلًا بالمعنى عن النص الفارسي المنشور في موقع مكتبه الرسمي.

(٦٠) السيد الخوئي، صراط النجاة، ج١، ص٤٦٨، س١٣١٦.

(٦١) موقع مكتب السيد السيستاني/ aqaed.net/ الاستفتاءات، «الشعائر الحسينية»، س٨.

(٦٢) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية- السيد السيستاني-ج٢-المسألة ٥٣٣، نقلًا بالمعنى عن النصّ الفارسي ؛ وانظر: موقع مكتبه الرسمي-الاستفتاءات- «الشعائر الحسينية»- س١٧.

(٦٣) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٤-ص ٥٠٥-باب استحباب البكاء لقتل الحسين ع.

(٦٤) الكافي-الكليني-ج٣-ص٢٢٢-كتاب الجنائز-باب الصبر والجزع والاسترجاع.

(٦٥) موسوعة الأسئلة العقائدية-ج١-ص٤٥٣.

(٦٦) انظر: الشيخ محمد صنقور/ alhodacenter.com/ «موقع العُرف في العملية الاستنباطية» -مركز الهدى للدراسات الإسلامية-بتصّرف في بيان التعريف.

(٦٧) محمد/ ٢٢-٢٣.

(٦٨) موقع مكتب السيد السيستاني/ aqaed.net/ الاستفتاءات-«صلة الأرحام»- السؤالان ١ و٢.

(٦٩) الإسراء/ ١٥.

عودة إلى الفهرس

(٧٠) انظر: مصباح الأصول، تقرير أبحاث السيد أبي القاسم الخوئي-السيد محمد سرور الواعظ البهسودي-ج٢-ص٢٥٥-مبحث البراءة؛ حيث قرّب الاستدلال بالآية بأنّ بعث الرسول كناية عن بيان الأحكام وإتمام الحجة.

(٧١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net/ موسوعة الأسئلة العقائدية-ج١-ص٤٩٢-٤٩٣-وص٤٩٨.

(٧٢) انظر: دروس في علم الأصول-السيد محمد باقر الصدر-الحلقة الثانية-مبحث «دلالة السكوت والتقرير»؛ وعلم أصول الفقه في ثوبه الجديد-الشيخ محمد جواد مغنية-مبحث «البيان بالتقرير»، ص٢١، بتصّرف.

(٧٣) تهذيب الأحكام-الشيخ الطوسي-ج٨ -ص ٣٢٥ .

(٧٤) جواهر الكلام-النجفي-ج٤-ص٣٧١.

(٧٥) الإرشاد-المفيد-ج٢-ص٩٣-٩٤.

(٧٦) م.ن-ج٢-ص٩٠.

(٧٧) مقتل الحسين-الخوارزمي-ج٢-ص٤٤.

(٧٨) المزار الكبير-ابن المشهدي-ص ٥٠٤ .

(٧٩) اللهوف في قتلى الطفوف-ابن طاووس-ص١١٤.

(٨٠) بحار الأنوار-المجلسي-ج٤٥ -ص ٢٥٦ .

(٨١) البقرة/ ١٩٥

(٨٢) انظر: مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net/ موسوعة الأسئلة العقائدية-ج١-ص٤٩٥؛ والتوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٢-المسألة ٥٣٠، الموقع الرسمي لمكتب السيد السيستاني، نقلًا بالمعنى عن النصّ الفارسي.

(٨٣) انظر: مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net/ موسوعة الأسئلة العقائدية-ج١-ص٤٩٥؛ والتوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني ج٢-المسألة ٥٣٠.

(٨٤) كويوا وآخرون-مجلة Circulation، ١٩٩٧م-المجلد ٩٥-العدد ١-ص١٥٦-١٦٢.

(٨٥) هوفمان وغيل-مجلة Thrombosis Journal-٢٠١٢م-المجلد ١٠-المقالة ٢٣.

(٨٦) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٢-باب «أحكام مجالس مذهبى» ـ أحكام المجالس الدينية، المسألة ٥٣٠، الفقرة الأخيرة، الموقع الرسمي لمكتب السيد السيستاني، نقلًا بالمعنى عن النصّ الفارسي.

(٨٧) يوسف/ ٨٤.

(٨٨) الذاريات/ ٢٩.

(٨٩) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-تفسير سورة الذاريات-الآية ٢٩-قسم «المعنى».

(٩٠) تفسير الجلالين-جلال الدين المحلّي وجلال الدين السيوطي-تفسير سورة الذاريات-الآية ٢٩.

(٩١) الملهوف على قتلى الطفوف-السيد ابن طاووس-ص٢٠١-خبر مجلس ابن زياد.

(٩٢) أضواء على ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ-السيد محمد الصدر-ص١٠٤.

(٩٣) الإرشاد الشيخ-المفيد-ج٢-ص٩٤.

(٩٤) الشيخ محمد صنقور/ alhodacenter.com «حكم شقّ الجيب على الميّت» -موقع مركز الهدى للدراسات الإسلامية-قسم «جواب السؤال الثاني» -مناقشة سند رواية الشيخ المفيد.

(٩٥) دعائم الإسلام-القاضي النعمان-ج١-ص٢٢٦.

(٩٦) الشيخ محمد صنقور/ alhodacenter.com «حكم شقّ الجيب على الميّت»، موقع مركز الهدى للدراسات الإسلامية، مناقشة أسانيد روايات المنع من شقّ الجيب، ومنها رواية «دعائم الإسلام».

(٩٧) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي-ج١٤-ص٥٠٥-باب استحباب البكاء لقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٩٨) الشيخ محمد صنقور/ alhodacenter.com «حكم شقّ الجيب على الميّت»، مركز الهدى للدراسات الإسلامية، الفقرة الأخيرة من الجواب، بتصّرف وتبسيط.

(٩٩) م.ن.

(١٠٠) فلسفة الشعائر الحسينية-إحسان الفضلي-ص٧.

(١٠١) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي-ج٢٢-ص٤٠٢-أبواب الكفارات-الباب ٣١-الحديث ١، وهذا المقطع من رواية خالد بن سدير عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد اختلف الفقهاء في اعتبار سندها؛ فاعتمد صاحب الجواهر الخبر في بحث الكفّارات، بناءً على انجباره بفتاوى الفقهاء والإجماع المحكي في ذلك البحث، وإن كان بعض الفقهاء قد ضعّف سنده. انظر: جواهر الكلام-ج٣٣-ص١٨٣-١٨٤.

(١٠٢) عوامل خلود الثورة الحسينية -الشيخ محمد الهنداوي-ص١٨٦.

(١٠٣) جمع قوصرة، وعاء معروف يصنع من سعف النخيل يستخدم لكبس التمور الجافة.

(١٠٤) الأمالي-الشيخ الصدوق-ص٤٧٧-٤٧٨.

(١٠٥) مقتل الحسين -محمد تقي بحر العلوم-ص٢٩٧.

(١٠٦) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ محمدالهنداوي-ص٢٠٢-٢٠٣.

(١٠٧) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد الآمدي-ح٥٥٠٣.

(١٠٨) هيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية (NHS)- «اضطراب تشوه الجسم (BDD)»- التعريف والأعراض وطلب المساعدة- ترجمة بتصرف.

(١٠٩) هيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية (NHS)-«اضطراب تشوه الجسم (BDD)»- الأعراض وطلب المساعدة- ترجمة بتصرف.

عودة إلى الفهرس

(١١٠) الأعراف/ ٣٢.

(١١١) الكافي- الشيخ الكليني، ج٦-ص٤٣٨ وص٤٤٠- باب التجمل وإظهار النعمة.

(١١٢) غرر الحكم ودرر الكلم- عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي-ج١- ص٤١-ح١٢٣٧ وح١٢٣٨.

(١١٣) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد الآمدي-ح٥٥٠٣.

(١١٤) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ فضل بن الحسن الطبرسي-تفسير المسد/ ١.

(١١٥) المسد/ ١-٣.

(١١٦) بحار الأنوار -المجلسي-ج١٣ -ص٤٢٣.

(١١٧) لقمان/ ١٢.

(١١٨) تفسير القمي-علي بن إبراهيم القمي-ج٢ -ص١٦٢.

(١١٩) المنافقون/ ٤.

(١٢٠) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ فضل بن الحسن الطبرسي-ج١٠-ص١٩-تفسير المنافقون/ ٤.

(١٢١) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد التميمي الآمدي-ص٣٣٨-ح٣٧.

(١٢٢) م.ن-ص٣٣٦-ح٣.

(١٢٣) م.ن-ص٣٩٠-ح٥.

(١٢٤) م.ن- ص٣٣٨- ح٣١ وح٣٢.

(١٢٥) الحجرات/ ١٣.

(١٢٦) المقصود بالأجنبي من ليس زوجًا ولا من المحارم، كابن العم وأخي الزوج.

(١٢٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ الاستفتاءات/ الزينة-السؤال ١-بتصرف.

(١٢٨) ألا يكون إبداؤهما بقصد إيقاع الغير في النظر المحرم: أي ألا تقصد المرأة بإظهار الخاتم والسوار أن تجعل الرجل الأجنبي ينظر إليها بشهوة وتلذذ جنسي.

(١٢٩) معنى(ولا موجبًا لإثارة الفتنة نوعًا): أي ألا يكون إظهار الخاتم والسوار مما يجذب الأنظار إلى المرأة عادة ويدعو إلى النظر إليها بشهوة، حتى لو لم تقصد إثارة الرجال؛ فالعبرة هنا بالأثر المعتاد لإظهارهما، لا بنيتها وحدها. أما مجرد الانتباه إلى جمال الخاتم أو السوار فلا يعني تحقق الفتنة.

(١٣٠)معنى (وألا تخاف المرأة على نفسها الوقوع في الحرام بسببه): أي ألا تخشى أن يؤدي إظهارهما إلى وقوعها هي في معصية، كأن تنجر بسببه إلى تبادل النظرات الشهوانية أو إلى تواصل محرم مع رجل أجنبي. مصدر الشرح المختصر: موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-التوضيح الشامل للمسائل الشرعية ـ ج٤ ـ أحكام الحجاب والستر ـ المسألتان ٣٠ و٣٢. ترجمة بتصرف.

(١٣١) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الزينة-السؤال ٨-بتصرف.
(١٣٢) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الزينة-السؤال ٧-بتصرف.
(١٣٣) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني ـ الاستفتاءات ـ عمليات التجميل ـ السؤال ١٠ ـ بتصرف.
(١٣٤) المجيب-مركز العقيلة للإفتاء-حسب رأي السيد السيستاني-«ما حكم توريد الشفه ونفخها؟»- السؤال رقم ٤٥٨١٦٤.
(١٣٥) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-المرأة-الزينة-السؤال ٧-بتصرف.
(١٣٦) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-المرأة -الزينة -السؤال ٣-بتصرف.
(١٣٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الزينة-السؤال ٢-بتصرف.
(١٣٨) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الوشم-السؤال ٨-بتصرف.
(١٣٩) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-ج١-المسألة ٣٢٧؛ ومنهاج الصالحين-ج١-أحكام الجبائر-المسألتان ١٠٣ و١٠٦-بتصرف.
(١٤٠) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني، الاستفتاءات، عمليات التجميل، السؤالان ١٢ و١٤؛ ومبطلات الوضوء بالفارسية، السؤالان ٤ و٦؛ والغسل بالفارسية، الاستفتاء ١٣٣٧٠، بتصرف.
(١٤١) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-عمليات التجميل-السؤالان ١٢ و١٤؛ ومبطلات الوضوء بالفارسية-السؤالان ٤ و٦؛ والغسل بالفارسية-الاستفتاء ١٣٣٧٠-بتصرف.
(١٤٢) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الزينة-السؤال ٤١ ـ بتصرف.
(١٤٣) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-عمليات التجميل-السؤالان ١٢ و١٤؛ ومبطلات الوضوء بالفارسية، السؤالان ٤ و٦؛ والغسل بالفارسية، الاستفتاء ١٣٣٧٠-بتصرف.
(١٤٤) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الصلاة-مكياج المرأة-السؤال ٩. بتصرف.
(١٤٥) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني-الاستفتاءات-الصلاة-مكياج المرأة-السؤال ١٢. بتصرف.
(١٤٦) موقع مكتب السيد السيستاني-المسائل المنتخبة-مقدمات الصلاة-المسألة ٢١٠.
(١٤٧) موقع مكتب السيد السيستاني-المسائل المنتخبة-موارد وجوب الوضوء-المسألة ٣٥، وفيها حرمة مس كتابة القرآن على غير المتوضئ.
(١٤٨) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج١، المسألة ٢٥٨.
(١٤٩) المسائل المنتخبة-السيد علي الحسيني السيستاني-أحكام غسل الجنابة-م٤١-٤٢.
(١٥٠) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-عمليات التجميل-الأسئلة ٥ و٩ و١٠ و١٦ و١٧ و١٨-بتصرف.
(١٥١) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-عمليات التجميل-الأسئلة ٥ و٩ و١٠ و١٦

عودة إلى الفهرس

و١٧ و١٨-بتصرف.

(١٥٢) التين/ ٤

(١٥٣) التغابن/ ٣.

(١٥٤) السجدة/ ٧.

(١٥٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن-السيد محمد حسين الطباطبائي-ج١٩-ص٢٩٥-٢٩٦-تفسير التغابن/ ٣؛ وج٢٠-ص٣١٩-٣٢٠، تفسير التين/ ٤.

(١٥٦) الإسراء/ ٧٠.

(١٥٧) التغابن/ ٣.

(١٥٨) الرعد/ ٢٨.

(١٥٩) الحجرات/ ١٣.

(١٦٠) الأمالي-الطوسي-ص٥٣٦.

(١٦١) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-الحكمة ٤٢٣.

(١٦٢) الأمالي-الصدوق-ص١٦٤.

(١٦٣) وسائل الشيعة-الشيخ الحر العاملي-ج٢٧-ص١٢٨-أبواب صفات القاضي-الباب ١٠-ح١٣، رقم ٣٣٣٩٤.

(١٦٤) NHS، «نقل الدهون جراحيًا»؛ FDA، «الحشوات الجلدية»؛ CDC، «السلامة عند تلقي حقن البوتولينوم»، بتصرف.

(١٦٥) الحجرات/ ١١.

(١٦٦) هيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية NHS-«اضطراب تشوه الجسم»- الأسباب. بتصرف.

(١٦٧) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ فضل بن الحسن الطبرسي-ج٨-ص٤٩٦-فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان.

(١٦٨) الكافي-الشيخ الكليني-ج٥، ص٥٩-كتاب الجهاد-باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-ح١٤.

(١٦٩) المؤمنون/ ٧٠.

(١٧٠) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-الخطبة ٢٠١.

(١٧١) الروم/ ٥٤.

(١٧٢) الواقعة/ ٣٥-٣٦.

(١٧٣) مستدرك الوسائل-الميرزا النوري-ج٨-ص٤١٠-أبواب أحكام العشرة-الباب٦٦-ح٩.

(١٧٤) احذروا هوس التجميل-مياسة شبع-العلاج النفسي المعرفي السلوكي.

(١٧٥) هيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية (NHS)- «اضطراب تشوه الجسم (BDD)»- العلاج النفسي والعلاج الدوائي- ترجمة بتصرف.

(١٧٦) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد الآمدي-ح٥٥٠٣.

(١٧٧) المنتخب في جمع المراثي والخطب-الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي-ج١-ص١٢٩-١٣٠.

(١٧٨) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص٢٠٣-٢٠٥.نقلًا عن نفس المهموم-عباس القمي-ص٤٥٦.

(١٧٩) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص٢٠٣-٢٠٥.

(١٨٠) أدب الطف-جواد شبر-ج٨-ص١٨١.

(١٨١) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٥٧-١٥٨.

(١٨٢) البقرة/ ٢٢٨.

(١٨٣) البقرة/ ٢٢٨.

(١٨٤) البقرة/ ٢٢٨.

(١٨٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، تفسير البقرة/ ٢٢٨، نقل بالمعنى.

(١٨٦) الميزان في تفسير القرآن-العلامة الطباطبائي-ج٢-تفسير البقرة، الآية: ٢٢٨.

(١٨٧) القصص/ ٧٣.

(١٨٨) مختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-ج١-ص١٨٥-تفسير البقرة/ ٢٢٨.

(١٨٩) النساء/ ١٩.

(١٩٠) البقرة/ ٢٢٨.

(١٩١) النساء/ ١.

(١٩٢) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق-ج٣-ص٣٧٩-٣٨٠.

(١٩٣) الحجرات/ ١٣.

(١٩٤) إرشاد القلوب-الحسن بن محمد الديلمي-ج١-ص١٧٥.

(١٩٥) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-ج٢-ص١٠٠-١٠١-تفسير البقرة، الآية: ٢٢٨-بتصّرف.

(١٩٦) الكافي-الشيخ الكليني-ج٥-ص٥١٠-باب حقّ المرأة على الزوج-ح١.

(١٩٧) أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور إسلامي-الشيخ حسن الجواهري-ص٧٧-بتصّرف.

(١٩٨) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-ج٢-ص١٠٠-١٠١-تفسير البقرة، الآية:

عودة إلى الفهرس

٢٢٨-بتصّرف.

(١٩٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن-السيد عبد الأعلى السبزواري-ج٤-ص١٠-١١-بتصّرف.

(٢٠٠) النساء/ ٣٤.

(٢٠١) موقع مكتب السيد السيستاني/ www.sistani.org/ الاستفتاءات/ الحقوق الزوجية/ السؤال ٣٠: «ما هو حقّ القوامة للرجل وحدودها؟»-بتصّرف.

(٢٠٢) منهاج الصالحين-السيد محمود الهاشمي الشاهرودي-ج٢-ص٤٠٢-المسألة ١٤٠٧-بتصّرف.

(٢٠٣) منهاج الصالحين-السيد أبو القاسم الخوئي-ج٢-مسألة ١٤٠٧-نقل بالمعنى. موقع مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية.

(٢٠٤) منهاج الصالحين-السيد علي السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-الفصل العاشر في حقوق الزوجية، مسألة ٣٣٧-نقل بالمعنى.

(٢٠٥) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-الفصل الحادي عشر: أحكام النشوز والشقاق-المسألتان ٣٥٨ و٣٦٠-بتصّرف.

(٢٠٦) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-المسألة ٣٣٨؛ ومناسك الحج-المسألة ٥٩-بتصّرف.

(٢٠٧) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-الحقوق الزوجيّة-جوابا السؤالين المتعلّقين بمنع صلة الرحم وإساءة معاملة الزوجة. والشرح بتصّرف.

(٢٠٨) م.ن.

(٢٠٩) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-أحكام النشوز والشقاق-المسألة ٣٥٥-بتصّرف.

(٢١٠) النساء/ ١٩.

(٢١١) منهاج الصالحين، السيد السيستاني، ج٣، كتاب النكاح، الفصل العاشر: حقوق الزوجيّة، المسألة ٣٣٨، بتصّرف.

(٢١٢) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«الحقوق الزوجيّة»-السؤال ١٧-بتصّرف. والشرح للتوضيح.

(٢١٣) م.ن-السؤال ٢٠، بتصّرف.

(٢١٤) كاثلين فوهس، وكاثلين كاتانيز، وروي باوميستر-فصل «الجنس في علاقاته وعلاقاتها»، ضمن كتاب «دليل الجنسانيّة في العلاقات الحميمة»، ٢٠٠٤، ص٤٥٥-٤٧٤. العناوين مترجمة للتعريف؛ والكتاب باللغة الإنجليزية، وعنوانه الأصلي: The Handbook of Sexuality in Close Relationships.

(٢١٥) الخصال-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٥٨٨-ذيل الحديث ١٢.

(٢١٦) الكافي-الشيخ الكليني-ج٥-ص٤٩٥-٤٩٦-باب كراهية الرهبانية وترك الباه-ح٣.

(٢١٧) م.ن-ج٥-ص٤٩٦-ح٤-نقل بالمعنى.
(٢١٨) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسألة ٩-بتصّرف.
(٢١٩) م.ن-المسألتان ٣٣٧ و٣٤١-بتصّرف.
(٢٢٠) م.ن-المسألتان ٣٥٤ و٣٥٨-بتصّرف.
(٢٢١) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسألة ٣٣٧-بتصّرف.
(٢٢٢) موقع مكتب السيد السيستاني، الاستفتاءات، «الحقوق الزوجيّة»، السؤال ١١؛ والتعليقة على العروة الوثقى، ج١، فصل أحكام الحائض-الأمر السابع-بتصّرف.
(٢٢٣) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«مرض الإيدز وأحكامه»-جواب السؤال المتعلّق بمقاربة الزوج المصاب لزوجته السليمة-بتصّرف.
(٢٢٤) يس/ ١٢.
(٢٢٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج٢-ص٣٧٠-٣٧١-باب الإذاعة-ح٥.
(٢٢٦) الحجرات/ ١٣.
(٢٢٧) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«الوكالة»-السؤال ١-بتصّرف.
(٢٢٨) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسائل ٣٥٦ و٣٥٨ و٣٦٠-بتصّرف.
(٢٢٩) البقرة/ ٢٢٩.
(٢٣٠) البقرة/ ٢٣١.
(٢٣١) النساء/ ١٩.
(٢٣٢) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسألة ٣٦١-بتصّرف.
(٢٣٣) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي-ج٢٢-ص٢٨٢-٢٨٣-أبواب الخلع والمباراة-الباب ٢-ح١-نقلًا عن عقاب الأعمال.
(٢٣٤) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٥٤-كتاب الطلاق-باب كراهية طلاق الزوجة الموافقة-ح٢.
(٢٣٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٥٦-كتاب الطلاق-باب تطليق المرأة غير الموافقة-ح٤.
(٢٣٦) يُنظر من مناقشات العلماء لهذه الأخبار: كتاب «مختصر مفيد: أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة» -السيد جعفر مرتضى العاملي-المجموعة التاسعة-السؤال ٥٠٣-بتصّرف.
(٢٣٧) مركز الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ للدراسات التخصّصية-«الشبهة الثالثة عشر: شبهة أنّ الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ مطلاق ذوّاق في روايات الشيعة الإمامية».
(٢٣٨) معالي السبطين-الشيخ محمد مهدي-ج١-ص٥٠.
(٢٣٩) معالي السبطين -الشيخ محمد مهدي الحائري-ج١-ص٤٧-٤٨.
(٢٤٠) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٥٨-١٦٠.

عودة إلى الفهرس

(٢٤١) هو من أعلام الأدب توفي في النجف الأشرف ١٢٨٥ ه.

(٢٤٢) باب الحوائج الإمام موسى الكاظم (ع)-حسين الحاج حسن-ج١-ص ٣١٦.

(٢٤٣) نهج البلاغة-كلام الإمام علي بن أبي طالب ع-الكتاب ٣١.

(٢٤٤) الأعراف/ ١٥٧.

(٢٤٥) البقرة/ ٢٥٦.

(٢٤٦) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-الكتاب ٣١.

(٢٤٧) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة-الشيخ محمد باقر المحمودي-ج١-ص١٩٨.

(٢٤٨) المدرسة الإسلامية-السيد محمد باقر الصدر-ص٨٥.

(٢٤٩) فاطر/ ١٥.

(٢٥٠) الكهف/ ٢٩.

(٢٥١) بحار الأنوار-المجلسي -ج٧٥-ص١٢٦-ح٧.

(٢٥٢) الملك/ ١٤.

(٢٥٣) علل الشرائع-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٥٩٢.

(٢٥٤) جامعة ديوك-«الزائدة الدودية ليست عديمة الفائدة: إنها ملجأ للبكتيريا»-٨ أكتوبر ٢٠٠٧- موقع الجامعة (corporate.dukehealth.org).

(٢٥٥) وكالة الأدوية الأوروبية-«بيان بشأن سحب دواء فيوكس ـ روفيكوكسيب»-أكتوبر ٢٠٠٤، موقع الوكالة (ema.europa.eu).

(٢٥٦) دو تويت وآخرون/ nejm.org/ «تجربة عشوائية لتناول الفول السوداني لدى الرضّع المعرّضين لحساسيته» -مجلة نيو إنغلاند الطبية، ٢٠١٥-مج٣٧٢-ص٨٠٣-٨١٣.

(٢٥٧) لمعرفة تفاصيل هذه الآراء ورأي الإسلام في ذلك، راجعوا: تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٧٣.

(٢٥٨) الإسراء/ ٨٥.

(٢٥٩) الوكالة السويسرية للمنتجات العلاجية «سويسميديك»/ swissmedic.ch/ «تحذير من منتجات إنقاص الوزن المزيّفة والمضلّلة المرتبطة بـ GLP-١» ٢٦ أغسطس ٢٠٢٥، موقع الوكالة.

(٢٦٠) النساء/ ٤٠.

(٢٦١) الكافي-الكليني-ج١-ص٥٣-كتاب فضل العلم، باب «رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب» -ح١٤.

(٢٦٢) فاطر/ ١٥.

(٢٦٣) إبراهيم/ ٨.

(٢٦٤) الذاريات/ ٥٦.
(٢٦٥) الفاتحة/ ٥.
(٢٦٦) المدرسة الإسلامية-السيد محمد باقر الصدر- ص٨٥.
(٢٦٧) م.ن-ص٩٥.
(٢٦٨) قضايا الجمهورية الإسلامية-مرتضى مطهري-ص٣٢.
(٢٦٩) آل عمران/ ٦٤.
(٢٧٠) الكافي-الكليني-ج٢-ص٣٩٨-كتاب الإيمان والكفر-باب الشرك-ح٨.
(٢٧١) تفسير العياشي-محمد بن مسعود العياشي -ج٢-ص٨٦-ح٤٥.
(٢٧٢) القصص/ ٤.
(٢٧٣) الإسراء/ ٧٠.
(٢٧٤) نهج البلاغة-كلام الإمام علي بن أبي طالب ع-الكتاب ٣١.
(٢٧٥) الكافي-الكليني-ج١-ص١١-كتاب العقل والجهل-ح٣.
(٢٧٦) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-الحكمة ٢١١.
(٢٧٧) غرر الحكم ودرر الكلم ـ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي-ح١٠٣١٧.
(٢٧٨) يوسف/ ٢٣.
(٢٧٩) يوسف/ ٣٣.
(٢٨٠) الكافي-الكليني-ج٢-ص٨٩-كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر-ح٦.
(٢٨١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net/ الأسئلة والأجوبة العقائدية / الحرية في الإسلام/ الحريّة والديمقراطية-بتصرف.
(٢٨٢) تحف العقول عن آل الرسول-ابن شعبة الحرّاني -ص٢٤٥.
(٢٨٣) منهاج الكرامة -العلّامة الحلّي -ص٥٩-بتصّرف.
(٢٨٤) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي-ح١٣٢٢.
(٢٨٥) مناقب آل أبي طالب-ابن شهرآشوب- ج٣-ص٤١٥-٤١٦-بتصّرف.
(٢٨٦) الغيبة-الشيخ محمد بن الحسن الطوسي-ص٢٥.
(٢٨٧) الإمام الكاظم وذراريه-إسماعيل الخفاف-ص٤٥٤.
(٢٨٨) المجالس السنية-السيد محسن الأمين-ج٢-ص٦١٢.
(٢٨٩) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٢٦٥-٢٦٦.
(٢٩٠) بحار الأنوار -المجلسي-ج٥٢-ص١٢٢-الباب ٢٢-ح٢.
(٢٩١) بحار الأنوار-المجلسي -ج٥٢-ص١٢٥-الباب ٢٢-ح١١.

عودة إلى الفهرس

(٢٩٢) الجامع الصغير-السيوطي-ج ١ -ص ٤١٧.
(٢٩٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج٧٧-ص ١٤٣.
(٢٩٤) مستدرك سفينة البحار-الشيخ علي النمازي الشاهرودي-ج ١٠.
(٢٩٥) فلاح السائل ونجاح المسائل-السيد علي بن طاووس-ص١٢٧.
(٢٩٦) الاحتجاج-أحمد بن علي الطبرسي-ج١-ص١٣٤-ضمن خطبة السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ-تحقيق السيد محمد باقر الخرسان.
(٢٩٧) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة «رقب»، وفيه: «والتَّرَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارتقاب».
(٢٩٨) مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم-السيد محمد تقي الموسوي الأصفهاني-ج٢، ص١٣٦-المقام الثالث في معنى الانتظار المأمور به في الأخبار.
(٢٩٩) كمال الدين وتمام النعمة-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٣٧٧-الباب ٣٦-ح١.
(٣٠٠) النور/ ٥٥.
(٣٠١) الغيبة-محمد بن إبراهيم النعماني-ص٢٤٧-الباب ١٣-ح٣٥.
(٣٠٢) هود/ ١٢١-١٢٢.
(٣٠٣) القائد المنتظر-السيد صدر الدين القبانجي-تقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ-ص١٢٢-بتصّرف.
(٣٠٤) الأحزاب/ ٢٣.
(٣٠٥) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-تفسير سورة الأحزاب-الآية ٢٣.
(٣٠٦) الغيبة-محمد بن إبراهيم النعماني-ص٢٠٥-الباب ١١-ح١٦.
(٣٠٧) كمال الدين وتمام النعمة-الشيخ الصدوق-ج١-ص٣٢٠-الباب ٣١-ح٢.
(٣٠٨) الكافي-الشيخ-الكليني-ج١-ص٣٣٥-٣٣٦.
(٣٠٩) كمال الدين وتمام النعمة-الشيخ الصدوق-ج١-ص٣١٧-الباب ٣٠-ح٣.
(٣١٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٥٢-ص ٣٥٨.
(٣١١) الاحتجاج-الطبرسي-ج٢-ص٣٢٥.
(٣١٢) النور/ ٥٥.
(٣١٣) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-ج٧-ص٢٣٩-٢٤٠.
(٣١٤) النازعات/ ٢٤.
(٣١٥) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٣٧٧.
(٣١٦) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٠٩، الباب ٣٨، ح٩.
(٣١٧) الكافي-الشيخ الكليني -ج١-ص٣٧١.

(٣١٨) الإسراء/ ٧١.

(٣١٩) الخصال-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٦١٦-حديث الأربعمائة.

(٣٢٠) الشمس/ ٩.

(٣٢١) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٣٣٣-٣٣٤.

(٣٢٢) الاحتجاج-الطبرسي-ج٢-ص٣٢٥.

(٣٢٣) كيمياء المحبّة-محمد محمدي الريشهري-مبحث «جزاء الإنصاف» -حكاية «إنصاف الناس والتشّرف بلقاء صاحب الزمان» -ص٦-٨-بتصرف.

(٣٢٤) النساء/ ١٣٥.

(٣٢٥) التوبة: ١٠٥

(٣٢٦) الكافي-الكليني-ج١-ص٢١٩-باب عرض الأعمال على النبي والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-ح٢.

(٣٢٧) الغدير -الشيخ الأميني -ج ٢-ص ٣٦٠-٣٦١.

(٣٢٨) المجالس السنية-السيد محسن الأمين. نقلًا عن مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٢٦٧-٢٦٨-بتصرف.

(٣٢٩) م.ن.

(٣٣٠) التِّرات: جمع تِرَة، بمعنى الثأر.

(٣٣١) شعراء القطيف-على المرهون -ج٢-ص٥١.

(٣٣٢) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ محمد الهنداوي-ج٣-ص٢٣٦-٢٣٧.

(٣٣٣) المزار-الشيخ المفيد-ص٥٣.

(٣٣٤) مفاتيح الجنان-الشيخ عبّاس القمّي-المطلب الثالث: في زيارات الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المخصوصة.

(٣٣٥) تهذيب الأحكام-الشيخ الطوسي-ج ٦-ص ١١٣-١١٤-ح ٢٠١.

(٣٣٦) صَلَاةُ إِحْدَى وَخَمْسِيَن: مجموع ركعات الفرائض اليومية، وهي سبع عشرة ركعة، والنوافل اليومية، وهي أربع وثلاثون ركعة، مع احتساب ركعتي نافلة العشاء من جلوسٍ بركعةٍ واحدة. وذكرُ الصلاة بفرائضها ونوافلها أوّلَ علامات المؤمن يؤكّد أهميّتها والعناية بها. وقد ورد أنّ النوافل تُتمّ ما نقص من الفريضة بسبب ضعف الإقبال القلبي، فلا يُقصد بذلك أنّها تعوّض الأجزاء أو الشروط التي تتوقّف عليها صحّة الصلاة.

(٣٣٧) التَّخَتُّمُ بِالْيَمِين: لبس الخاتم في اليد اليمنى، وهو من المستحبّات التي ورد الحثّ عليها، وقد رُوي أنّ النبي محمّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلّم وأئمّةً من أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يتختّمون في أيمانهم، فيكون التختّم باليمين اقتداءً بهم. أمّا بعض أتباع المذاهب الأخرى، فقد خالفوا هذه السنّة وتختّموا باليسار، تبعًا لقول بعض فقهائهم.

عودة إلى الفهرس

(٣٣٨) تعفير الجبين: وضع الجبين على التراب، وهو مظهرٌ للخضوع والتواضع لله تعالى. وفي السجود يضع المؤمن جبهته على الأرض تعبّدًا لربّه، واقتداءً بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في عبادتهم وسجودهم. ويصحّ السجود على الأرض أو ما أنبتته من غير المأكول والملبوس، والسجود على التربة الحسينية أفضل، وليس واجبًا؛ إذ يصحّ السجود على غيرها ممّا يصحّ السجود عليه.

(٣٣٩) الجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: البسملة من أعظم آيات القرآن الكريم، وقد وردت رواياتٌ تدلّ على أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يجهرون بها في صلاتهم. ومن المناسب هنا ذكر قول الفخر الرازي، أحد علماء أهل السنّة، في تفسيره: «وأمّا أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر»، ثمّ قال: «ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى». المصدر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، تفسير سورة الفاتحة، المسألة التاسعة في الجهر بالتسمية.

(٣٤٠) المزار-الشيخ المفيد-ص٥٣. وبحار الأنوار-المجلسي-ج٨٢-ص٧٥.

(٣٤١) معاني الأخبار-الشيخ الصدوق-ص ١٨٧-باب معنى الإسلام والإيمان-ح ٣.

(٣٤٢) مناقب آل أبي طالب-ابن شهرآشوب-ج ٢-ص ١٧٠-فصل فيما ظهر بعد وفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣٤٣) م.ن.

(٣٤٤) كامل الزيارات-ابن قولويه-الباب ٢٦-ح ٦-ص ٨١.

(٣٤٥) كامل الزيارات-ابن قولويه-الباب ٢٨.

(٣٤٦) الأمالي-الشيخ الصدوق-المجلس ٢٤-ح ٣-ص ١٧٧-١٧٨-رقم ١٧٩.

(٣٤٧) مفاتيح الجنان-الشيخ عبّاس القمّي-زيارة عاشوراء.

(٣٤٨) علل الشرائع-الشيخ الصدوق-ج ١-ص ٢٢٥-الباب ١٦٢-ح ١.

(٣٤٩) أنا الحسين بن علي: أوراق من السيرة المغيّبة عن الأمّة-الشيخ فوزي آل سيف-ص ٢٥٦ و٢٥٩.

(٣٥٠) م.ن-ص ٢٥٤-٢٥٧. والكلام الوارد في المتن تلخيصٌ لمناقشته.

(٣٥١) الكافي-الكليني-ج ٨-ص ٢٣٤.

(٣٥٢) مسارّ الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة-الشيخ المفيد-ص ٤٦-أحداث شهر صفر.

(٣٥٣) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٩٨-ص ٣٣٤.

(٣٥٤) مجلة الإصلاح الحسيني-العدد الأول-مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية-مبحث «القول الأول: رجوع الرأس إلى كربلاء المقدّسة» -بقلم الشيخ موحّد همام.

(٣٥٥) مقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ-السيّد عبد الرزّاق المقرّم-ص ٣٦١-٣٦٢.

(٣٥٦) موسوعة عاشوراء-جواد محدّثي-ترجمة خليل زامل عصامي-ص ١٩٣، عنوان «رأس الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ» -بتصّرف يسير.

(٣٥٧) موسوعة الأسئلة العقائدية-تأليف مركز الأبحاث العقائدية-ج ٥-ص ١٢٤.
(٣٥٨) موقع مكتب السيد السيستاني/ sistani.org/ توجيهات بخصوص زيارة الأربعين.
(٣٥٩) إبراهيم/ ٥.
(٣٦٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج ٧-مبحث «التذكّر لأيام الله» -ضمن تفسير الآيات ٥-٨ من سورة إبراهيم.
(٣٦١) تهذيب الأحكام-الشيخ الطوسي-ج ٦-ص ١١٣-ح ٢٠١.
(٣٦٢) المزار الكبير-محمّد بن جعفر المشهدي-ص ٥١٥-زيارة الأربعين.
(٣٦٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ١٨٦-باب تذاكر الإخوان-ح ٢.
(٣٦٤) الحجرات/ ١٣.
(٣٦٥) الإنسان/ ٨-٩.
(٣٦٦) المائدة/ ٢.
(٣٦٧) كامل الزيارات-ابن قولويه-الباب ٤٨: «كيف يجب أن يكون زائر الحسين بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» -ح ١.
(٣٦٨) التحريم/ ٦.
(٣٦٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٤-ص ٥٦٧-ح ٢-مقتطف من الحديث.
(٣٧٠) إقبال الأعمال-السيّد ابن طاووس-ج ٣-ص ١٠٣.
(٣٧١) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٣-ص ٢٢٨-باب زيارة القبور-ح ٣.
(٣٧٢) تهذيب الأحكام-الشيخ الطوسي-ج ١-ص ٤٦٥-ح ١٥٢٣.
(٣٧٣) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي-ج ١٠-ص ٣٣٩.
(٣٧٤) كامل الزيارات-ابن قولويه-الباب ٤٣-ح ٣.
(٣٧٥) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٩٨-ص ٧٥-ح ٢٥.
(٣٧٦) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة-الشهيد الأوّل-ج ٢-ص ٦٣.
(٣٧٧) المصنّف-عبد الرزّاق الصنعاني-ج ٣-ص ٥٦٩-ح ٦٧٠٤.
(٣٧٨) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ-الشيخ الصدوق-ج ١-ص ٢٤٣.
(٣٧٩) حاشية ردّ المحتار على الدرّ المختار-ابن عابدين-ج ٢-ص ٥٠٧.
(٣٨٠) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٤٣-ص ٣٣٢-ح ٢-٣.
(٣٨١) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد الآمدي-ح ٤٦٩٠.
(٣٨٢) كامل الزيارات-ابن قولويه-ص ٢٥٣-الباب ٤٩.
(٣٨٣) كامل الزيارات-ابن قولويه-ص ٢٥٧-الباب ٤٩-ح ٩.

عودة إلى الفهرس

(٣٨٤) الموقع الصحي السويدي الرسمي ١١٧٧-«تدريب اللياقة»- في فوائد النشاط البدني المنتظم واختيار النشاط المناسب للشخص.

(٣٨٥) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج ٣، كتاب الأيمان والنذور والعهود-الفصل الثاني في النذور، المسألة ٧٢٤.

(٣٨٦) آل عمران/ ٩٧.

(٣٨٧) تحف العقول-ابن شعبة الحرّاني-ص ٢٤٨.

(٣٨٨) مناسك الحجّ وملحقاتها-السيد السيستاني-قسم «الحجّ المندوب» -السؤال ٦. والسؤال خاصّ بزيارة يوم عرفة والحجّ المندوب.

(٣٨٩) سنن الترمذي-كتاب الدعوات، ح ٣٤٧١.

(٣٩٠) سنن الترمذي-كتاب الحجّ-باب ما جاء في عمرة رمضان-ح ٩٣٩.

(٣٩١) كنز العمّال-المتّقي الهندي-ج ٨-ص ٣٣٨-رقم ٢٣١٥٧.

(٣٩٢) المقصود أنّ هذا الثواب مذكورٌ للزيارة في غير يوم العيد، أمّا في العيد فذكرت الرواية ثوابًا أكبر؛ إذ قالت: «ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل».

(٣٩٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٤-ص ٥٨٠.

(٣٩٤) كامل الزيارات-جعفر بن محمّد بن قولويه-الباب ٢٢-الحديث ١-ص ٦٨.

(٣٩٥) نوع من الطيب.

(٣٩٦) تظلم الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ-المولى رضّي الدين بن نبيّ القزويني-ص ٣٤٤.

(٣٩٧) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص٢٣٢-٢٣٥.

(٣٩٨) موقع ديوان/ diwandb.com/ الشعراء/ محسن أبو الحب/ قصيدة دَمعُ المَحاجرِ قد تفايضَ بالدم.

(٣٩٩) الكافي-الكليني-ج١-ص٢٦-٢٧-كتاب العقل والجهل-ح٢٩-ص٢٧.

(٤٠٠) الأمم المتحدة-دليل نظام إدارة الأمن بشأن الجندر-قسم التعريفات-تعريف الهوية الجندرية؛ -وكتاب تكامل الذكر والأنثى في الحياة -السيد محمد باقر السيستاني-ص١١ والحاشية المتصلة بها- بتصرف.

(٤٠١) النجم/ ٤٥-٤٦.

(٤٠٢) تكامل الذكر والأنثى في الحياة-السيد محمد باقر السيستاني-ص٤٠ وص٦٤-٧٣، بتصرف؛ والتوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٦٩٧.

(٤٠٣) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-تغيير الجنسية-السؤال الأول-بتصرف.

(٤٠٤) الأمم المتحدة-«الصياغة الشاملة جنسانيا/ un.org/ مبادئ توجيهية»-توضيح الفرق بين الجنس (Sex) والجنسانية (Gender)-بتصرف.

(٤٠٥) الكافي-الكليني-ج١-ص٥٨-كتاب فضل العلم-باب البدع والرأي والمقاييس-ح١٩.

(٤٠٦) الميزان في تفسير القرآن-الطباطبائي-ج١-ص٣٧٩.

(٤٠٧) النساء/ ١٢٤.

(٤٠٨) الأحزاب/ ٣٦.

(٤٠٩) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٦٩٨: حكم التغيير الشكلي للجنس-نقل المعنى من الفارسية بتصرف.

(٤١٠) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٦٩٨-نقل المعنى من الفارسية بتصرف.

(٤١١) كتاب «السياسة الجنسية» (Sexual Politics) -كيت ميليت-الفصل الثاني: «نظرية السياسة الجنسية» -ولا سيما القسم المتعلق بالتربية والأدوار.

(٤١٢) المائدة/ ٢.

(٤١٣) موقع المعارف للدراسات الثقافية-مقال «الجندر...، المرأة بين ضياع الهوية والهوية الجندرية» -الشيخ حسن أحمد الهادي-فقرة «الفيمينيزم وحركة تحرير المرأة».

(٤١٤) كتاب «جدلية الجنس: قضية الثورة النسوية» (The Dialectic of Sex) -شولاميث فايرستون١٩٧٠-الفصل الأول.

(٤١٥) لقمان/ ١٤.

(٤١٦) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: تغيير الجنسية-السؤال الأول؛ والتوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني -ج٤-المسألة ٦٩٨-بتصرف.

(٤١٧) الهيئة البريطانية للإخصاب البشري وعلم الأجنة-معلومات تأثير العلاجات الهرمونية والجراحية في الخصوبة وحفظها.

(٤١٨) النساء/ ١١٩.

(٤١٩) صراط النجاة، مع تعليقات الميرزا التبريزي-ج١- ص٣٣٠-السؤال ٩٠٤. والسؤال متعلق باستبدال الأعضاء التناسلية بالعمليات التي يجريها الأطباء.

(٤٢٠) النجم/ ٤٥-٤٦.

(٤٢١) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٦٩٧نقل المعنى من الفارسية بتصرف.

(٤٢٢) م.ن-المسألة ٦٩٨؛ ومكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: تغيير الجنسية، السؤال الأول-

عودة إلى الفهرس

بتصرف.

(٤٢٣) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: تغيير الجنسية-السؤال الأول-بتصرف.

(٤٢٤) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٧٠٠-نقل المعنى من الفارسية بتصرف.

(٤٢٥) م.ن-المسألة ٦٩٩؛ وموقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: تغيير الجنسية-السؤال الأول، بتصرف.

(٤٢٦) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: المحرمات-السؤال الأول-البندان ١٦ و١٩.

(٤٢٧) م.ن-والتوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد السيستاني ج٤-المسألة ٦٩٨-نقل المعنى من الفارسية-بتصرف.

(٤٢٨) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية- السيد السيستاني-ج٤-المسألة ٦٩٨-نقل المعنى من الفارسية -بتصرف.

(٤٢٩) م.ن

(٤٣٠) التين/ ٤.

(٤٣١) التغابن/ ٣.

(٤٣٢) النجم/ ٤٥-٤٦.

(٤٣٣) الشورى/ ٤٩.

(٤٣٤) الكافي-الكليني-ج٦-ص٦-باب فضل البنات.

(٤٣٥) البقرة/ ٢١٦.

(٤٣٦) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات: تغيير الجنسية-السؤال الأول-بتصرف.

(٤٣٧) الأنعام/ ١١٦.

(٤٣٨) معاني الأخبار-الشيخ الصدوق -ص٢٦٦-باب «معنى الإمعة» -ح١.

(٤٣٩) الأحزاب/ ٢١.

(٤٤٠) الكافي-الكليني-ج٦-ص٤٣٤-باب الغناء-ح٢٤.

(٤٤١) الحجرات/ ١١.

(٤٤٢) الأمالي-الشيخ الصدوق-ص١٤٣-١٤٥-بتصرف.

(٤٤٣) ديوان عبرات الموالين-أم حسين الهلالي-ج١-ص١٠٨-١١٠.

(٤٤٤) مجمع مصائب اهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص ١٧-١٨.

(٤٤٥) م.ن-ص١٨.

(٤٤٦) البقرة/ ١٠٢.

(٤٤٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١-ص٣١٧، بحث «قصة هاروت وماروت» -بتصرف.

(٤٤٨) البقرة/ ١٠٢.

(٤٤٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١، ص٣١٦-تفسير الآيتين ١٠٢-١٠٣ من سورة البقرة.

(٤٥٠) م.ن-ج١، ص٣١٩، بحث «لا قدرة لأحد على عمل دون إذن الله»، بتصّرف وتبسيط.

(٤٥١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١-ص٣٢٠-بتصّرف.

(٤٥٢) طه/ ٦٦.

(٤٥٣) الأعراف/ ١١٦.

(٤٥٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١-ص٣٢٠.

(٤٥٥) مصباح الفقاهة-تقرير أبحاث السيد أبي القاسم الخوئي-بقلم الشيخ محمد علي التوحيدي التبريزي-ج١-ص٢٨٦-بتصّرف وتبسيط.

(٤٥٦) تحرير الوسيلة-السيد روح الله الموسوي الخميني-ج١-مقدّمة كتاب المكاسب والمتاجر-المسألة ١٦-ص٤٩٨-بتصّرف.

(٤٥٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ السحر-الأسئلة ١-٣.

(٤٥٨) النوادر-فضل الله الراوندي-ص١٥٢.

(٤٥٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج٢-ص١٦٩-باب «حق المؤمن على أخيه وأداء حقه» -ح٢.

(٤٦٠) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٧، ص١٥٠-أبواب ما يكتسب به-الباب ٢٦-ح٣.

(٤٦١) م.ن-ج١٧-ص١٤٨-الباب ٢٥-ح٧-رقم الحديث ٢٢٢١٣.

(٤٦٢) المسائل المنتخبة-السيد السيستاني-أحكام الطهارة-«النجاسات»-تعريف الكافر.

(٤٦٣) سورة آل عمران/ ٩٧؛ وانظر: الميزان-السيد الطباطبائي-تفسير الآية-بتصّرف.

(٤٦٤) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٧-ص١٤٨-الباب ٢٥، ح٦-رقم الحديث ٢٢٢١٢.

(٤٦٥) الزمر/ ٥٣.

(٤٦٦) الأنبياء/ ٣٥.

(٤٦٧) العنكبوت/ ٢-٣.

(٤٦٨) الكافي-الشيخ الكليني-ج٢-ص٢٥٢-باب «شدّة ابتلاء المؤمن» -ح١.

(٤٦٩) الشورى/ ٣٠.

(٤٧٠) مصباح المتهجّد-الشيخ الطوسي-دعاء كميل-ص٨٤٤-٨٥٠.

(٤٧١) الكافي-الشيخ الكليني-ج٢، ص٣٥٤-باب «من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم» -ح٢.

عودة إلى الفهرس

(٤٧٢) م.ن-ج٢-ص٣٥٦-باب «التعبير»-ح٣.

(٤٧٣) م.ن-ج٦-باب «الغناء»-ح١٥.

(٤٧٤) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٣٣-باب «الغناء»-ح١٤؛ في تسلّط الشيطان عند العزف بالبربط في المنزل أربعين يومًا مع دخول الرجال.

(٤٧٥) الأمالي-الصدوق-ص٤٨٢-ح٦٥٢-المجلس الثالث والسبعون-الحديث ١٢.

(٤٧٦) بحار الأنوار-المجلسي-ج٨٣-ص٢١-ح٣٩.

(٤٧٧) مستدرك الوسائل الميرزا النوري-ج١٥-ص١٦٤-باب ٥٩ من أبواب أحكام الأولاد-ح١.

(٤٧٨) الجنّ/ ١.

(٤٧٩) القابلة هي التي تتولّى الولادة.

(٤٨٠) المقصود بإقامة الصلاة هنا قراءة الإقامة في أذن المولود.

(٤٨١) الزبدة الفقهيّة-السيد محمد – العاملي-ج٦-ص٥٨٠، مبحث مستحبّات الولادة؛ وأصل الرواية: الكافي-الشيخ الكليني- ج٦-ص٢٣-ح٢. وقد سمّى السيد ترحيني الرواية «صحيح حفص الكناسي»، بينما وصفها العلامة المجلسي بأنها «ضعيف على المشهور»؛ فلا يصحّ القول إن العلماء اتفقوا على تضعيفها.

(٤٨٢) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.net / «أسئلة حول الجنّ (١)»/ جواب السؤال عن حقيقة التابعة، منشور في موقع المجيب-رقم السؤال ١١٥٩٥-بتصّرف.

(٤٨٣) ق/ ٢٣؛ الميزان في تفسير القرآن-السيد الطباطبائي-تفسير الآية المذكورة-بتصّرف.

(٤٨٤) الزخرف/ ٣٦.

(٤٨٥) يونس/ ١٠٧.

(٤٨٦) الشورى / ٤٩-٥٠.

(٤٨٧) الشيخ محمد صنقور/ alhodacenter.com/ مركز الهدى للدراسات الإسلامية/ «أثر ما يُسمَّى بالتابعة؟!».

(٤٨٨) البقرة/ ٢٧٥.

(٤٨٩) مستدرك الوسائل-الميرزا حسين النوري-ج١٦-ص٢٢٠.

(٤٩٠) مناقب آل أبي طالب-ابن شهرآشوب-ج٤-ص١٥٧-١٥٨.

(٤٩١) إبراهيم/ ٢٢.

(٤٩٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٦٣-ص٣٣١، ضمن نقل أدلّة المنكرين لنفوذ الجنّ في بواطن البشر، بتصّرف وتبسيط.

(٤٩٣) فقه الأعذار الشرعية والمسائل الطبية من صراط النجاة-تعليقات الميرزا جواد

التبريزي-ص٢٧٠، جواب السيد الخوئي. هذا الجواب يتعلّق بالممارسات المذكورة، ولا يُنسب إليه من خلاله نفي التلبّس مطلقًا.

(٤٩٤) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٢-مقدّمة كتاب التجارة-المسألة ٢٦.

(٤٩٥) جواهر الكلام -الجواهري -ج ٢٢ -ص ٩٠.

(٤٩٦) بحار الأنوار -العلامة المجلسي-ج ٢ -ص ٣٠٨.

(٤٩٧) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٢-مقدّمة كتاب التجارة-المسألة ٢٨-بتصّرف.

(٤٩٨) موقع مكتب السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ «التنجيم»-السؤال ١.

(٤٩٩) الفقه للمغتربين-جمع وفق فتاوى السيد السيستاني-سؤال قراءة الكفّ والفنجان.

(٥٠٠) شبكة النجف الأشرف/ holynajaf.com/ أجوبة استفتاءات السيد السيستاني/ قسم «قراءة الفنجان» -السؤال ٣.

(٥٠١) منهاج الصالحين-السيد السيستاني-ج٢-مقدّمة كتاب التجارة-المسألتان ٢٦ و٢٨.

(٥٠٢) الجنّ/ ٢٦-٢٧.

(٥٠٣) يونس/ ٩٨.

(٥٠٤) البقرة/ ١٠٢.

(٥٠٥) الزمر/ ٣٨.

(٥٠٦) الطلاق/ ٣.

(٥٠٧) الكافي-الشيخ الكليني-ج٢-ص٤٧٠-ح٨.

(٥٠٨) موقع السيد الشيرازي/ alshirazi.com/ «الأبراج والتنجيم والسحر» / جواب السؤال ٢٤-بتصّرف في عرض التوصيات.

(٥٠٩) الكافي -الشيخ الكليني -ج٢-ص٥٣٦.

(٥١٠) موقع السيد الشيرازي/ alshirazi.com/ «الأبراج والتنجيم والسحر» / جواب السؤال ٢٤-بتصّرف.

(٥١١) الكافي-الشيخ الكليني-ج٤-ص٥-باب «أن الصدقة تدفع البلاء».

(٥١٢) طبّ الأئمة-عبد الله والحسين ابني بسطام-ص١١٧.

(٥١٣) مكارم الأخلاق-الشيخ الطبرسي-ص١٨٦-١٨٧-فقرة «في الحرمل» -نقل موضع الشاهد.

(٥١٤) مفاتيح الجنان-الشيخ عباس القمي-الباب الأول-الفصل السابع: «في ذكر نبذ من الدعوات النافعة» -فقرة «الاستغاثة بالحجّة عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(٥١٥) يونس/ ٨١.

(٥١٦) الطلاق/ ٢-٣.

(٥١٧) البقرة/ ١٠١.
(٥١٨) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-تفسير سورة الفلق-الآيات ١-٥، بتصّرف.
(٥١٩) الميزان في تفسير القرآن-السيد الطباطبائي-تفسير سورة الفلق-البحث الروائي-بتصّرف.
(٥٢٠) النجم/ ٣-٤.
(٥٢١) الضحى/ ٤-٥.
(٥٢٢) الكوكب الدري -الشيخ محمد مهدي الحائري-ج١، ص١١٤.
(٥٢٣) مجمع مصائب اهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٢٨-٢٩.
(٥٢٤) مثير الأحزان-ابن نما الحلي-ص١٠٨.
(٥٢٥) مجمع مصائب اهل البيت ع -الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٦١-١٦٢.
(٥٢٦) شرح نهج البلاغة-ج ٢٠ -ص ٢٦٧ -رقم الحكمة ١٠٢.
(٥٢٧) شرح نهج البلاغة-ج ٢٠ -ص ٢٦٧ -رقم الحكمة ١٠٢.
(٥٢٨) الملل والنحل-الشهرستانّي-ج٢ص١٤٤-في فصل رأي الحكماء.
(٥٢٩) لباب الآداب-أسامة بن منقذ -ج١-ص٢٣.
(٥٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٩١، مادة «قسر».
(٥٣١) البقرة/ ٢١٦.
(٥٣٢) الحجرات/ ٦.
(٥٣٣) الإسراء/ ١٥.
(٥٣٤) بحار الأنوار-المجلسي-ج٦٦-ص٣٧٦.
(٥٣٥) غرر الحكم ودرر الكلم-الآمدي-الحكمة رقم ١٠٥٢٩.
(٥٣٦) الدر المنضود-السيد الكلبايكاني-ج٢-ص٢٩١.
(٥٣٧) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج١-ص١١٦.
(٥٣٨) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٦-ص١٤٣-ح٢١١٩٤.
(٥٣٩) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«الضرب»-السؤال ٨.
(٥٤٠) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«الضرب»-السؤال ٩.
(٥٤١) الدر المنضود-السيد الكلبايكاني-ج٢-ص٢٩١.
(٥٤٢) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج١-ص٥٦.
(٥٤٣) موقع مكتب السيد السيستاني-الاستفتاءات-«الضرب»-السؤال ٩.
(٥٤٤) م.ن -الأسئلة ٧ و٩ و١٠ و١١.
(٥٤٥) موقع السيد السيستاني-استفتاءات «الضرب»-السؤال ٧.

(٥٤٦) شرح نهج البلاغة-ابن أبي الحديد-ج٢٠-ص٢٦٧-الحكمة ١٠٢.
(٥٤٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة-المعجم الوسيط-مادة «عود»-تعريف «العادة».
(٥٤٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط-مادة «قلد»-تعريف «التقاليد».
(٥٤٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٤٤-ح١٥، باب اللباس.
(٥٥٠) البقرة/ ٢٣٤.
(٥٥١) آل عمران/ ٨٥.
(٥٥٢) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٨-ص ١٢٤.
(٥٥٣) النحل/ ٩٠.
(٥٥٤) غرر الحكم ودرر الكلم-الآمدي-الحكمة رقم: ٣٢٤١، ٣٢٩٨.
(٥٥٥) غرر الحكم ودرر الكلم-الآمدي-الحكمة رقم :٣٢٤١، ٣٢٩٨.
(٥٥٦) الكافي-الكليني-ج٦-ص٤٩-ح٣-باب بر الأولاد.
(٥٥٧) النساء/ ٥٨.
(٥٥٨) التحريم/ ٦.
(٥٥٩) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق-ج٣-ص٤٨٣-ح٤٧٠٧.
(٥٦٠) زاد المبلغين-مياسة شبع-ج١-المحاضرة المعنونة: كيف نصادق أولادنا؟
(٥٦١) لمسات تربوية في مرحلة المراهقة والشباب-مياسة شبع-ج١٨-«حسن اختيار الصديق».
(٥٦٢) الفرقان/ ٧٤.
(٥٦٣) مكارم الأخلاق-الطبرسي -ص٢٢٠-الفصل السادس: «في الأولاد وما يتعلق بهم».
(٥٦٤) الأمالي-الشيخ الطوسي-ص٢٤٩-ح٤٤٢.
(٥٦٥) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٥٣، نقلا عن معالي السبطين-ج١-ص٥٢-٥٣.
(٥٦٦) مجمع مصائب اهل البيت ع -الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٦٢-١٦٤.


الحمد لله